رسوم دار الخلافة

تأليف

أبي الحسين هلال بن المحسّن الصابئ

(٣٥٩ - ٤٤٨هـ)

عني بتحقيقه والتعليق عليه

ميخائيل عوّاد

رسوم دار الخلافة

تأليف

أبي الحسين هلال بن المحسن الصابئ

(٣٥٩ ـ ٤٤٨هـ)

عني بتحقيقه والتعليق عليه

ميخائيل عواد



طبعة

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م

دار الآفاق العربية

٥٥ شارع محمود طلعت من شارع الطيران - مدينة نصر

القاهرة - ت : ٢٦١٠١٦٤

رقم الايداع	١١٦٢٤ / ٢٠٠٣
I.S.B.N الترقيم الدولي	977 - 344 - 065 - 6

القسم الأول : هلال بن المُحَسِّن الصابىء ٠

القسم الثاني : مخطوطة « رسوم دار الخلافة » ٠

ملاحظة :

راعينا في إيراد اسماء المراجع التي استندنا اليها في حواشي المقدمة والمتن ، السياقَ الزمنيَّ لتاليفها •

القسم الأول

هلال بن المحسن الصابئ

(٣٥٩ – ٤٤٨هـ)

١ – توطئة :

قدم بغداد في صدر الدولة العبّاسية جماعة من الصابئة ، نزحت اليها من حَرّان والرَّقّة المشتهرتَيْن قديماً بمنازل الصابئة • وكان ممَّن قَدِمها « آل زَهْرُون » ، وأنسباؤهم « آل قُرَّة »[١] •

أصاب هؤلاء الصابئة في بغداد حظّاً وافراً من العلم والأدب • فبرع بعضهم في الطبّ والصيدلة ، وبعضهم في الموسيقى والحساب والهندسة والفلك ، ومنهم مَن عُني بتدوين التاريخ وأخبار الزمان •

تقلّد غير واحد منهم جلائل الأعمال في خدمة خلفاء بني العبّاس ، وأمرائهم ووزرائهم ، وملوك بني بوَيْه ووزرائهم • فسار ذكرهم في الآفاق ، ووسدت اليهم الأعمال الجليلة والأسرار الخطيرة ، فنهضوا بأعبائها نهوضاً حسناً •

---

(١) في الفهرست لابن النديم (ص ٢٧٢) ، واخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي (ص ١١٥) ، وطبقات الاطباء لابن أبي أصيبعة (١ : ٢١٥ – ٢١٦) ، في ترجمة أبي الحسن ثابت بن قرة الحرّاني ، قولهم : « وكان ثابت بن قرّة صيرفياً بحرّان ، ثم استصحبه محمد بن موسى بن شاكر لمّا انصرف من بلد الروم ، لانّه رآه فصيحاً ، ••• فوصله بالمعتضد وأدخله في جملة المنجّمين ، وهو أدخل رئاسة الصابئة الى أرض العراق ، فثبتت أحوالهم وعلت مراتبهم وبرعوا ••• ، وكذلك جاء جماعة كثيرة من ذريته ومن أهله يقاربونه فيما كان عليه من حسن التخرّج والتمهّر في العلوم ••• » •

وممّا زاد في علوّ شأن أبناء هـذه الأسرة ، ان لجماعة منهم تآليف في الأدب والتاريخ والطبّ والفلك والرياضيات والرُسُوم ، وغير ذلك ، كان لها عظيم الأثر في الفكر العربي •

وسنتكلّم على عَلَم من أبنـاء هـذه الأسرة وصَدر من صـدورها ؛ هو : هلال بن المُحَسِّن الصابىء •

٢ ـ كلمة في « الصابئة » :

الصابئـة الـذين ينتمـي اليهـم هـلال الصـابىء ، هـم الصابئـة « الحَرْنانيّة » ، نسبة الى مدينة حَرّان ـ على غير قياس[١] ـ • وهم قوم معروفون بعبـادة الـكواكب يجرون مجـرى عَبَدة الأوثان[٢] • ورواية تسميتهم بالصابئة ترتقي الى عصر المأمون ، وخلاصتها : انّ هذا الخليفة اجتاز في سنة ٢١٥هـ • (٨٣٠م) بديار مضر ، يريد بلاد الروم للغزو ، فتلقّاه الناس يدعون له ، وفيهم جماعة من الحرنانيين ، وكان زيّهم اذ ذاك لبس الأقبية ، وشعورهم طويلة بوفرات ، فأنكر المأمون زيّهم ، وقـال لهم : مَن أنتم ؟ من الذمّة ؟ فقالوا : نحن الحرنانية ! فقال : أنصارى أنتم ؟ قالوا : لا ! قـال : فيهـود أنتم ؟ قالوا : لا ! قـال : فمجوس أنتـم ؟ قالوا : لا ! قال لهم : أفلـكم كتاب أم نبيّ ؟ فمجمجوا في القول • فقال لهم : فأنتم اذاً الزنادقة ، عَبَدة الأوثان • وأنتم حلال دماؤكم ، لا ذمّة لـكم ! فاختاروا الآن أحد أمرَيْن : امّا أن تنتحلوا دين الاسلام أو ديناً من الأديان التي ذكرها الله في كتـابه ، والا قتلتكم عن آخركم ! فانّي قـد أنظرتكم الى أن أرجع من سفرتي هذه • ورحل المأمون يريد بلد الروم • فغيّروا زيّهم ، وحلقوا شعورهم ، وتركوا لبس الأقبية ، وتنصّر كثير منهم ، وأسلم طائفة ، وبقي منهم شرذمة بحالهم • وجعلوا يحتالون ويضطربون حتى انتدب لهم

---

(١) المشهور « حَرّاني » والاصحّ « حَرْناني » • راجع : معجم البلدان (٢ : ٢٣١) ، وفيات الاعيان (١ : ١٤٠ ـ ١٤١) ، تاج العروس (٩ : ١٧٣) •

(٢) اخبار العلماء بأخبار الحكماء (ص ٣١١) •

شيخ من أهـل حـَرّان فقيه . فقـال لهم : قد وجدتُ لـكم شيئاً تنجون به وتَسْلمون من القتل ، فحملوا اليه مالاً عظيماً . فقـال لهم : اذا رجـع المأمون ، فقولوا له : نحن الصابئون ! فهـذا اسم دين قـد ذكـره الله في القرآن ، فانتحلوه فأنتم تنجون به . وقضى انّ المأمون توفي في سفرته تلك ، وانتحلوا هذا الاسم منذ ذلك الوقت ، لانّه لم يكن بحـَرّان ونواحيها قوم يسمّون بالصابئة[1] .

وهنـاك الصابئة « المندائية »[2] ، وهي فرقة موحّدة عرفانية نشـأت في فلسطين قبل ظهور النصرانية ، وهم من أتباع « يُوحَنّا المعمدان » المشهور في المراجع العربية باسم « يحيى بن زكريا » ، وقد أطلق عليهم العرب اسم « المغتسلة » لأنّهم يسكنون على ضفاف الانهر لتسهيل التعميد في الماء الجاري كمـا هي سنّتهم . ولا تزال بقاياهم ماثلة حتى اليوم في اقليم خوزستان من ايران ، وفي بعض أنحاء العراق كالبصرة وسوق الشيوخ والناصرية والـكوت والعمارة وقلعة صالح وبغداد وكركوك وخانقين .

وتسمّى أيضاً الصابئة « البطائحية » نسبة الى بطائح جنوبي العـراق . فصابئة العراق اليوم هم صابئة البطائح .

٣ ـ مولد هلال الصابىء ونشأته :

هو أبو الحسين ـ وقيـل أبو الحسن[3] ـ هـلال بن المُحَسِّن بن أبي اسـحاق ابراهيـم بن هـلال بن ابراهيـم بن زَهْرُون بن حَيُّون الصابىء الحَرّاني .

---

(١) هـذه هي رواية أصحـاب معظم الـكتب العربية : كابن النـديم والشهرستاني ، ومن نقل عنها من المستشرقين : كدوزي .

(٢) لفظة صابئية معناها « من أدّى بالحقّ والتجأ الى الوحدانية » .

(٣) وردت كنية هلال في صدر كتاب « رسوم دار الخلافة » وفي خاتمته أيضاً بصورة « ابي الحسين » ، كما ورد مثل ذلك في أغلب تراجمه ، وصرّح بها ولده غرس النعمة محمد . قال القفطي (تاريخ الحكماء ، ص ٣٩٨ ـ ٣٩٩) : « حكى غرس النعمة محمد بن الرئيس أبي الحسين هلال بن المحسن بن =

وُلِد في بغداد في شوّال[1] ، وقيل في يوم الاحد النصف من شوّال[2] سنة تسع وخمسين وثلاثمئة للهجرة (٢٣ حزيران سنة ٩٧٠م) ، ونَشأ بها .

٤ ــ اسلامه :

أجمع مَن ترجم لهلال بن المُحَسِّن الصابىء انه « أسْلم في آخر عمره » . وقد نقل هذه العبارة بعضهم عن بعض .

= ابراهيم الصابىء ، قال : كان والدي اعتلّ ... والرئيس أبو الحسين [هلال] يزيد في مرضه ... » . وانظر :

نسب عدنان وقحطان للمبرّد (صفحة العنوان ، ص١ ؛ تحقيق عبدالعزيز الميمني) ، تاريخ بغداد للخطيب (١٤:٧٦) ، المنتظم (٨:١٧٦) ، معجم الادباء (٢ : ٧٨ ــ ٧٩ ، و ٣ : ١٨٧ ــ ١٨٨ ، و ٥ : ١٥٢ ، ١٥٣ ، ٢٢٤) ، معجم البلدان (١ : ٣٨٢ ؛ مادة أنطاكية ، و ٢ : ٢٧٢ ؛ مادة حشاش) ، ذيل تاريخ بغداد المعروف بـ « التاريخ المجدّد لمدينة السلام » : لابن النجّار (٦٤٣ هـ) ، نسخة مصوّرة في خزانتنا عن نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ، برقم ٢١٣١ عربي ، (الورقة ٤٨ ب ، ٦٩ أ) ، مرآة الزمان (نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ؛ برقم ١٥٠٦ عربي ، الورقة : ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢) ، وفيات الاعيان (٢ : ٨٦ ، ٥٦٢) ، الوافي بالوفيات (٣ : ١٠٤) ، صبح الاعشى (٩ : ٢٨٠ ــ ٢٨٢ ، ٢٨٥ ــ ٢٨٦ ، و ١٣ : ٥٩ ، ٢١١ ــ ٢١٣ ، ٣٣٩) ، خطط المقريزي (٢ : ٤٤) ، الاعلان بالتوبيخ (ص ٩٧ ، ١٥٩) .

ووردت « أبو الحسن » في : المنتظم (٨ : ١٧٩) ، معجم الادباء (١ : ٣٥٨ ، و ٥ : ٣٥٢ ، و ٧ : ٢٥٥) ، وفيات الاعيان (١ : ٥٣٣ ، و ٢ : ٢٩٩) ، عيون الانباء في طبقات الاطباء (١ : ٢١٦ ، ٢٤٣) ، الوافي بالوفيات (المخطوطة) ، كشف الظنون (٢ : ٢٦٣ ؛ ط . استانبول الاولى) .

ووردت في البداية والنهاية (١٢ : ٧٠) « أبو الخير » وهو تحريف ظاهر .

ولعلّ لهلال الصابىء كنيتَيْن : « أبي الحسين » و « أبي الحسن » ، أو انّ احداهما مصحّفة ، ونظنّها « أبو الحسن » ، فانّ كثيراً من الكتبة والنسّاخ يهملون تنقيط الياء ، فيكتبونها « الحسن » .

(١) تاريخ بغداد للخطيب (١٤ : ٧٦) نقلاً عن هلال الصابىء نفسه .

(٢) مرآة الزمان (المخطوط ، الورقة ١١) ، نقلاً عن غرس النعمة محمد بن هلال الصابىء .

والظاهر انّ المَعين لتلك الرواية ما ذكره ابن الجوزي[1] وهو قوله : « أَسْلَم متأخِّراً » ، فذهب أولئك القوم الى انّه أسلم في آخر عمره . والفرق بين العبارتين واضح .

وُلِد هلال سنة ٣٥٩هـ . ، وأسلم في حدود سنة ٤٠٣هـ . ، ومات سنة ٤٤٨هـ . وعمره ٨٩ سنة ، فيكون قد أسلم وله من العمر أربع وأربعون سنة ، ومعنى ذلك انّه أسلم في أواسط عمره ، وحسن اسلامه .

يُعَدّ هلال أوّل مَن أسلم من بني زَهْرُون . وقصّة اسلامه نقلها ابن الجوزي عن أحد شيوخه وهو محمد بن ناصر ، عن الرئيس أبي علي محمد بن سعيد بن نَبْهان الكاتب سِبْط هلال . وبهذه الصورة :

« قال هلال بن المُحَسِّن : رأيتُ في المنام سنة تسع وتسعين وثلثمائة ، رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، قد وافَى الى موضع مقامي ، والزمان شتاء ، والبرد شديد ، والماء جامد ، فأقعدني فارتعدتُ حين رأيتُه ، فقال : لا ترع ، فانّي رسول الله ، وحملني الى بالوعة في الدار عليها دورق خزف ، وقال : توضّأ وضوء الصلاة ، فأَدْخلتُ يديّ في الدورق فاذا الماء جامد ، فكسرتُه وتناولتُ من الماء ما أَمررتُه على وجهي وذراعيّ وقدميّ ، ووقف في صفّة وصلّى وجذبني الى جانبه وقرأ الحمد واذا جاءَ نَصْرُ اللهِ والفَتْحُ[2] ، وركع وسجد وأنا أفعل مثل فعله ، وقام ثانياً وقرأ الحَمْد وسورة لم أعرفها[3] ، ثمّ سلّم وأقبل عليَّ ، وقال أنت رجل عاقل مُحَصِّل ، والله يريد بك خيراً ، فَلِمَ تَدَعُ الاسلامَ الذي قامت عليه الدلائل والبراهين ، وتقيم على ما أنت عليه ؟ هات يدك وصافِحْني ، فأعطيتُه يدي ، فقال : قُلْ أَسْلَمتُ وجهي لله وأَشهدُ

(١) المنتظم (٨ : ١٧٦) .

(٢) سورة النصر : الآية ١ .

(٣) في ترجمة هلال الصابيء المثبتة في مقدّمة « تحفة الامراء » : وسورة النصر .

انّ الله الواحد الصَمَد الذي لم يكن له صاحبة ولا ولد وانّك يا محمّد رسوله الى عباده بالبيّنات والهُدى • فقلتُ ذاك ونهض ونهضتُ ، فرأيتُ نفسي قائماً في الصفّة ، فصحتُ صياح الانزعاج والارتياع ، فانتبه أهلي وجاءوا ، وسمع أبي ، فقال : ما لكم ؟ فصحتُ به ، فجاءوا وأَوقدنا المصباح وقصصتُ عليهم قصّتي ، فوجموا الا ّ أبي فانّه تبسّم ، وقال : ارجع الى فراشك فالحديث يكون عند الصباح • وتأمّلْنا الدورق فاذا الجمد الذي فيه متشعّث بالكسر • وتقدّم والدي الى الجماعة بكتمان ما جرى ، وقال : يا بنيّ ، هذا منام صحيح وبشرى محمودة ، الا ّ انّ اظهار هذا الأمر فجاءة والانتقال من شريعة الى شريعة يحتاج الى مقدّمة وأهبة ، ولكن اعتَقِدْ ما وُصِّيتَ به ، فانّني معتقد مثله ، وتصرّفْ في صلاتك ودعائك على أحكامه • ثمّ شاع الحديث ومضت مدّة ، فرأيتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ثانياً على دجلة في مشرعة باب البستان[1] ، وقد تقدّمت اليه وقبّلتُ يده ، فقال : ما فعلتَ شيئاً ممّا وافقتني عليه وقرّرْتَه معي ؟ قلتُ : بلى يا رسول الله ، أَلَم أعتقد ما أمرتني به ؟ وتصرّفتُ في صلاتي ودعائي على موجبه • فقال : لا ، وأظنّ أن قد بقيت في نفسك شبهة • تعال ! وحملني الى باب المسجد الذي في المشرعة وعليه رجل خراساني نائم على قفاه وجوفه كالغرارة المحشوّة من الاستسقاء ، ويداه وقدماه منتفختان ، فأَمَرَّ يده على بطنه وقرأَ عليه ، فقام الرجل صحيحاً مُعافى • فقلتُ : صلّى الله عليك يا رسول الله ، فما أحسن تصديق أمرك وأعجز فعلك ، وانتبهتُ • فلمّا كان في سنة ثلاث وأربعمائة ، رأيتُ في بعض الليالي كأَنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم راكباً على باب خيمة كنتُ فيها ، فانْحنَى على سرجه حتّى أراني وجهه ، فقمتُ وقبّلْتُ ركابه ، ونزل • فطرحتُ له مخدّة وجلس ، وقال : يا هذا ! كم آمرك بما أريد فيه الخير لك ، وأنتَ تتوقّف عنه • قلتُ :

---

(١) موضع كان في المُخرّم بالجانب الشرقيّ من بغداد ايّام بني العبّاس • وقد عرف هذا « البستان » بالزاهر ، ولعله كان حيث موضع « المستشفى الجمهوري » اليوم •

يا مولاي ! ما أنا متصرّف عليه . قال : بلى ولكن لا يغني الباطن الجميل مع الظاهر القبيح . وانْ [كنتَ] تُراعي أمرءاً فمراعاتك الله أَوْلَى . قُم الآن وافعلْ ما يجب ولا تخالفْ . قلتُ : السمع والطاعة . فانتبهتُ ودخلتُ الى الحمّام وجئتُ الى المشهد(١) وصليّتُ فيه ، وزال عنّي الشكّ . فبعث اليَّ فَخْرُ المُلْكُ [محمد بن عليّ بن خلف] ، فقال : ما الذي بلغني ؟ فقلتُ : هذا أَمْرٌ كنتُ أعتقده وأكتمه ، حتّى رأيتُ البارحة في النوم كذا وكذا . فقال : قد كان أصحابنا يحدثونّي انّك كنتَ تصلّي بصلاتنا وتدعو بدعائنا ، وحَمَلَ اليَّ دَسْتَ ثياب ومائتي دينار . فرددتُها ، وقلتُ : ما أحبّ أن أخلط بفعلي شيئاً من الدنيا ، فاستحسن ما كان منّي . وعزمتُ أن أكتب مُصْحَفاً ، فرأى بعض الشهود رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، في المنام وهو يقول له : تقول لهذا المسلم القادم ، نويتَ أن تكتب مُصْحَفاً فاكتبه فبه يتمّ اسلامك . قال : وحدّثتني امرأة تزوّجتُها بعد اسلامي ، قالت : لمّا اتصلتُ بك قيل لي انّك على دينك الاول ، فعزمتُ على فراقك ، فرأيتُ في المنام رجلاً قيل انّه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ومعه جماعة قيل هم الصحابة ، ورجل معه سيفان [قيل] انّه عليّ بن أبي طالب ، وكأنّك قد دخلتَ ، فنزع عليّ أحد السيفَيْن فقلّدك اياه ، وقال: هاهنا هاهنا . وصافحك رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فرفع أمير المؤمنين رأسه اليَّ وأنا مطّلعة من الغرفة ، فقال : ما ترين الى هذا ؟ هو أكرم عند الله وعند رسوله منك ومن كثير من الناس ، وما جئناك الاّ لنعرّفك موضعه ونعلمك انّنا زوّجناك به تزويجاً صحيحاً ، فقرّي عيناً وطيبي نفساً فما ترين الاّ خيراً . فانتبهتُ وقد زال عنّي كلّ شكّ وشبهة . قال أبو عليّ بن نَبْهان(٢) في اثر هذا الحديث

(١) يريد به مشهد الامام موسى بن جعفر الكاظم .

(٢) الرئيس محمد بن سعيد بن ابراهيم بن نَبْهان أبو علي ابن أبي الغنائم الكاتب ، سبط هلال بن المُحَسِّن الصابىء . كان شاعرا أديبا . توفي سنة ٥١١هـ . عن مئة سنة كاملة ، ودفن بداره في الكرخ . أخباره في المنتظم (٩ : ١٩٥) ، ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد : لابن الدبيثي =

عن جدّه لأمّه أبي الحسن الكاتب ، انّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال له في المرّة الثالثة : وتحقيق رؤياك اياي انّ زوجتك حامل بغلام ، فاذا وضَعَتْهُ فسمّه محمداً ، فكان ذلك كما قال ، وانّه وُلد له وَلَد فسمّاه محمداً وكنّاه أبا الحسن »[1] [وهو صاحب التاريخ أيضاً] .

٥ ـ هلال يتولى ديوان الانشاء[2] ببغداد :

يرجع الفضل في تعلّم هلال فنون الكتابة وأصول البلاغة ، الى جدّه أبي اسحاق ابراهيم الصابيء . وكان أبو اسحاق يتولّى ديوان الانشاء[3] في بغداد . وخدم هلال في هذا الديوان حيناً من الزمن[4] مع جدّه أبي اسحاق ، فبرع في ذلك ، وتيسّر له ـ وهو في دار الخلافة العباسية ـ

= (٦٣٧هـ) : نسخة مصورة في خزانتنا عن نسخة دار الكتب الوطنية بباريس، (برقم ٥٩٢١ عربي) : (الجزء الاول الورقة ٥١ ب) ، الوافي بالوفيات (٣ : ١٠٤) ، البداية والنهاية (١٢ : ١٨١) ، النجوم الزاهرة (٥ : ٢١٤) ، شذرات الذهب (٤ : ٣١) .

(١) المنتظم (٨ : ١٧٧ ـ ١٧٩) . ونقل الرواية أيضا سبط ابن الجوزي : (مرآة الزمان ؛ المخطوط ؛ الورقة : ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢) .

(٢) هو أوّل ديوان وضع في الاسلام ، كان يعبّر عنه حين انشيء بـ « ديوان الرسائل » وقيل أيضا « ديوان المكاتبات » ، ثمّ غلب عليه بعد ذلك ، هذا الاسم أي « ديوان الانشاء » .

ومن يتولاّه كان يلقب بـ « صاحب ديوان الانشاء » ، وله أرفع محلّ وأشرف قدر . كان معظّماً عند الخلفاء ، يلقون اليه أسرارهم ويخصّونه بخفايا أمورهم . ويكون فصيح الالفاظ ، طلق اللسان ، وقوراً ، وأن يكون من كتمان السرّ بالمنزلة التي لا يدانيه فيها أحد . ويخاطب صاحبه بالاستاذ الرئيس . ويسلّم المكاتبات الواردة مختومة فيعرضها على الخليفة . وهو الذي يأمر بتنزيلها والاجابة عنها للكتّاب . وله حاجب وفرّاشون ، وله المرتبة الهائلة والمخاد والمسْنَد واللواة .

أنظر : مفاتيح العلوم (ص ٧٨) ، قانون ديوان الرسائل (ص ٩٤ ـ ١١٧) ، معجم الادباء (٥ : ١٥٢ ـ ١٥٣) ، تاريخ الحكماء (ص ١٥٦ ، ٢٩٤ ، ٣٩٨) ، صبح الاعشى (١ : ٨٩ ـ ١٣٩ ، و ١١ : ٢٩٤) ، خطط المقريزي (٢ : ٢٤٤) .

(٣) تقلّده في سنة ٣٤٩هـ . راجع : تكملة تاريخ الطبري (ص ١٧٩) .

(٤) ممّا جاء في خبر ذكره هلال الصابيء ، في هذا الشأن ، قوله =

أن يقف على شؤون تلك الدار من رُسُوم ، وما كان داخل أسوارها من خبـايا وخفايا وأسرار ، ويستقرىء أبنيتهـا ومجالسها ودُورها ومسالـكها وصحونها وخزائنها ودواخلها وغوامضها ، فأُتيحت له معرفة أحوال الخلفاء ، فوقف على عاداتهم وأخلاقهم ، ورسومهم في الملبس والمآكل والمشرب ونحو ذلك ، حتى فاق جـدّه ابراهيم الصـابىء . ولعلّ هلالاً صنّف كتـابه « رسوم دار الخلافة » حين كان يعمل في ديوان الانشاء .

مِن ذلك ما قاله في موضوع « الانتساب الى مولى أمير المؤمنين » : « ... وأذكر ـ وقد كَتَبَ رافع بن محمد بن مقَن على كتبه : مِن رافع بن محمـد ابن عمّ أمير المؤمنين . فأنكر أمير المؤمنين القـادر بالله ، صلوات الله عليه فعْلَه ، وأمر بمنعه منه ، فتردّد معه خوض طويل ، حضرتُ بعضه وتَرَسَّلْتُ فيه ... » .

والمعروف انّ لديوان الانشاء الصدارة في ترتيب الألقاب والرسوم . ففي فَصْل « الألقاب » الذي كتبه هلال خير شاهد على ذلك .

٦ ـ هلال كاتب أسرار فخر الملك :

كان فَخْر المُلْك وهو أبو غالب محمد بن علي بن خلف ، وزير بهاء الدولة بن عضد الدولة البويهي . وبعـد وفاة بهاء الدولة وُزر لولده سلطان الدولة .

يُعَدّ فخرالمُلْك من أعاظم وزراء آل بويه بعد ابن العميد والصاحب. أصله من واسط . كان واسـع النعمة ، جمّ الفضائل ، جزيل العطـايا . قصَده جماعة من أعيان الشعراء ومدحوه ، منهم أبو نَصْر عبدالعزيز بن نباتة الشاعر ، ومهيار الديلميّ .

ومن محاسن أعماله : انّه سدّ البثوق ، وعمّر سواد الـكوفة ، وعمل

= « ... وعهدي وأنا أوقع في قصص المتظلّمين في ايام صمصام الدّولة عن أبي اسحاق جدّي في ديوان الانشاء الى قضـاة الحضرة ... » : تحفة الامراء (ص ١٥١) .

الجسر ببغداد وكان قد نسي وبطل ، وعمل له درابزينات ، وعمّر المارستان .

ولم يزل فخر الملك في عزّه وجاهه وحرمته ، الى أن نقم عليه سلطان الدولة بسببٍ اقتضى ذلك ، فحبسه ثم قتله سنة ٤٠٧هـ .

وقد أسهب هلال الصابيء في ذكره واستوفى أخباره وطوّل ترجمته[1] .

قال الصفدي : « كتب أبو الحسين [هلال] لفخر الملك أبي غالب محمد بن [عليّ بن] خلف . ولمّا مات أودعه ثلاثين ألف دينار ، ولم تُؤخَذ منه لأنّ الوزير مؤيد المُلْك أبا عليّ الحسن بن الحسين الرُخَّجيّ كان صاحبه واعترف هو له بذلك ، فقال : هي لك . فعاش فيها الى أن مات »[2] .

أمّا الحكاية ، فقد رواها أبو الفرج ابن الجوزي ، وفيها كثير من أحوال هلال الصابيء ، ننقلها ها هنا لطرافتها ، قال : « ... وكان فَخْر المُلْك قد أودع أقواماً ولحن بأسمائهم[3] وكنّى عن ألقابهم ، فكان فيها : عند الكَوْسَج اللحياني عشرون ألف دينار ، وعند بُسْرَة بقَمْعها ثلاثون ألف دينار . فلم يعرف [الحسن بن الحسين الرُخَّجيّ] مَن هذان ؟ فدخل عليه رجل كان يتطايب لفَخْر المُلْك ويأنس به ، وكان يلقّبه الكَوْسَج اللحياني لكثافة الشعر في أحد عارضيه وخفّته في الآخر ، فدخل على الرُخَّجي متظلّماً من جارٍ له ، متقرّباً اليه بخدمة فَخْر المُلْك ، فقال له : يا مولانا ، انّه كان يطلعني فَخْر المُلْك على أسراره

(١) وفيات الاعيان (٢ : ٩٦) ، والوافي بالوفيات (٤ : ١١٩) ، وتاريخ الاسلام للذهبي (تاريخ هلال الصابيء الملحق بذيل تجارب الامم ، ص ٤٦٠ ، الحاشية ١) .

(٢) مقدّمة تحفة الامراء (ص ٦) . ولكن سيأتي بنا انّ هلالاً امتنع عن التصرّف فيه لانّه كان يتقاضى ما يمكّنه من العيش من الدولة ، فترك الارث لابنه محمد غرس النعمة .

(٣) أي جعل لها رموزاً .

ويلقّبني بالكوسج اللحياني • فقال [الرُخّجي] لأصحابه : لا تفارقوه الاّ بعشرين ألف دينار ، وتهدّده بالعقوبة ، فحملها بختومها • ثمّ تفكّر في قوله عند بُسْرة بقَمْعها ، فقال : هو الصابىء ، فأُحضِر هلال بن المُحَسِّن ، فخاطبه سرّاً ، وكان هذا أحد كُتّاب فَخْر المُلْك ، فلم ينكر • فقال له [الرُخّجيّ] : قمْ أيّها الرئيس آمناً ، ولا تظهر هذا الحديث لأحد ، وانفق المال على نفسك وولدك • ثمّ حضر ابن الصابىء على أبي سعد بن عبدالرحيم[1] في وزارته ، فقال له : قد عرفتَ ما دار بينك وبين الرُخّجيّ ، وأنتَ تعلم حاجتي الى حبّة واحدة وتأوّلي على مَن لا معاملة بيني وبينه ، ولا يسبقني الرُخّجيّ الى مكرمة ، وما كنتُ لأنكب مثلك ، والصواب أن تشتغل بتاريخ أخبار الناس • فاشتغل ابن الصابىء من ذلك الوقت بتاريخه الذي ذيّله على تاريخ [ثابت بن] سنان • فاستخدمه الملوك ، فلم يحتج الى انفاق شيء من المال • وخلف ولده أبا الحسن غَرْس النِعْمة وخلّف له أملاكا نفيسة على نهر عيسى ، وأنفق مقتصداً في النفقة ، وعَمَّر الأملاك ، ولمْ يطّلع أحد من أولاده على ذلك • وظنّ أولاده انّ تركته تقارب الألف دينار ، فوجدوا له تذكرة تشتمل على دفائن في داره ، فحفروها فكانت اثني عشر ألف دينار • وكان ما خلفه من القماش وغيره لا يبلغ خمسين ديناراً • وأنفق أولاده التركة في أسرع زمان »[2] •

٧ ــ هلال المؤرّخ :

اشتهر هلال بتاريخه كما اشتهر جدّه ابراهيم برسائله • وقد أدرجه القفطي (٦٤٦هـ) في عداد مَن اشتهر بتدوين التاريخ قال في ترجمة ثابت بن سنان : « ••• كان خال هلال بن المُحَسِّن بن ابراهيم الصابىء الكاتب البليغ • عمل ثابت هذا ، كتاب التاريخ المشهور في الآفاق الذي

---

(١) وزر دفعات للملك أبي كاليجار المرزبان بن سلطان الدولة أبي شجاع بن بهاء الدولة • مات سنة ٤٣٩هـ •

(٢) المنتظم (٨ : ١٠١ ــ ١٠٢) •

ما كُتِب كتاب في التاريخ أكثر ممّا كتب ، وهو من سنة نيف وتسعين ومائتين والى حين وفاته في شهور سنة ثلاث وستين وثلثمائة . وعليه ذَيَّل[١] ابن اخته هلال بن المُحَسِّن بن ابراهيم ، ولولاهما لجُهل شيء كثير من التاريخ في المدّتَيْن » .

ثمّ أردف القفطي قائلاً : « واذا أردتَ التاريخ متّصلاً جميلاً ، فعليك بكتاب أبي جعفر الطبري رضي الله عنه ، فانّه من أوّل العالَم والى سنة تسع وثلثمائة . ومتى شئت أن تقرن به كتاب أحمد بن أبي طاهر[٢] وولده عبيدالله ، فنِعم ما تفعل ، لأنّهما قد بالغا في ذِكْر الدولة العبّاسية وأتيا من شرح الأحوال بما لم يأت به الطبري بمفرده ، وهما في الانتهاء قريبا المدّة ، والطبري أزيد منهمـا قليلاً . ثمّ يتلو ذلك كتاب ثابت فانّه يداخل الطبري في بعض السنين ويبلغ الى بعض سنة ثلاث وستين وثلثمائة ، فانْ قرنت به كتاب الفرغاني[٣] الذي ذيّل به كتاب الطبري ، فنِعم الفعل تفعله ، فانّ في كتاب الفرغاني بسطاً أكثر من كتاب ثابت في بعض الأماكن ، ثم كتاب هلال بن المُحَسِّن بن ابراهيم الصابىء ، فانّه داخل كتاب خاله ثابت وتمم عليه الى سنة سبع وأربعين وأربعمائة . ولم يتعرّض أحد في مدّته الى ما تعرّض له من احكام الأمور والاطلاع على أسرار الدول ، وذلك انّه أخذ ذلك عن جدّه لأنّه كاتب الانشاء ويعلم الوقائع ، وتولّى هو الانشاء أيضاً ، فاستعان بعلم الأخبار الواردة على ما جمعه . ثمّ يتلوه[٤]

---

(١) في مرآة الزمان (المخطوط) انّ « لهُ التاريخ الذي ذيّله على تاريخ سنان بن ثابت ... » ، وهو وَهْم . والصواب « ثابت بن سنان بن ثابت » .

(٢) هو المعروف بـ « طيفور » ، صاحب كتاب « بغداد » ، وقد ذيّل عليه ابنه « عبيد الله » .

(٣) سمّى الفرغاني تاريخه بـ « الذيل » . أنظر : صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي (ص ١٥٦) .

(٤) أتمّ أبو يعلي حمزة ابن القلانسيّ ، المتوفى سنة ٥٥٥هـ . (١١٦٠م) تاريخ هلال الصابىء ، فوصل به الى عام ٥٥٥هـ . ، وسمّاه « ذيل تاريخ دمشق » . وقد نشره آمدروز (بيروت ، سنة ١٩٠٨) .

كتاب ولده غَرْس النِعْمة محمد بن هلال ، وهو كتاب حسن[1] الى بعد سنة سبعين وأربعمائة بقليل »[2] .

وذكر السخاوي هلالاً بقوله انّ له « تاريخاً في أربعين مجلّداً »[3] .

والظاهر انّ هلالاً تفرّغ لكتابة « تاريخه » المشهور ، في حدود سنة ٤٣٠ للهجرة ، وقد جاوز عمره السبعين عاماً . ودليلنا على ذلك ما وَرَدَ في قصّته مع مؤيّد المُلْك الرُخَّجيّ ، وقد نقلناها قبل هذا بقليل .

ومن أفصح الأخبار التي تكلّمت على « تاريخ » هلال ، ما كتبه ابنه محمد غَرْس النعمة في « تاريخه » الذي ذيّله على تاريخ أبيه . « قال في خطبة الكتاب : وبعدُ ، فكان والدي أوصى اليّ لمّا أحسّ بقدوم الوفاة ، ويئس من أيام الحياة ، ولمعت له لوامع المنية ، وقرعت سمعه قوارع البليّة ، رغبة في زيادة الذكر ونمائه ، وانتشاره وبقائه ، بصلة كتاب التاريخ الذي ألّفه الى آخر سنة سبع وأربعين وأربعمائة ، تأليفاً يعجز عنه من يروم مثله ، ويفتضح من يتعاطى فضله ، اذْ هو السحر الحلال ، والعذب الزلال ، والصادر عن أوحد دهره ، وفريد عصره ، وشرع فيه وقد أتت عليه سنة [كذا][4] جرّب فيها الأمور ومارسها ، وخبرها ولابسها ، وأنا عارٍ من

(١) قال ابن تغري بردي (النجوم الزاهرة ٥ : ١٢٦) : « وفيها [سنة ٤٨٠هـ .] توفي محمد بن هلال بن المحسن بن ابراهيم الصابىء أبو الحسن الملقب بغرس النعمة ، صاحب التاريخ المسمّى بـ (عيون التواريخ) ، ذيّله على تاريخ أبيه ، وأبوه ذيّله على تاريخ ثابت بن سنان ، وثابت ذيّل على تاريخ محمد بن جرير الطبري . وكان تاريخ الطبري انتهى الى سنة اثنتين أو ثلاث وثلثمائة ، وتاريخ ثابت انتهى الى سنة ستين وثلثمائة ، وتاريخ هلال انتهى الى سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ، وتاريخ غرس النعمة هذا انتهى الى سنة تسع وسبعين وأربعمائة » .

وقد انفرد ابن تغري بردي بتسمية تاريخ غرس النعمة بـ « عيون التواريخ » فالمشهور بهذه التسمية كتاب « عيون التواريخ » لابن شاكر الكتبيّ ، المتوفى سنة ٧٦٤هـ . وانظر : تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب (الجزء الرابع ، القسم الثاني ، ص ١١٦٤ ؛ الحاشية ٢) .

(٢) تاريخ الحكماء (ص ١١٠) . وانظر : كشف الظنون (٢ : ١٣٨ ؛ رقم ٢٢٦٣ ، ط . أوربة) .

(٣) الاعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ (ص ٩٧ ، ١٥٢) .

(٤) لعلّها : سنين أو سنون .

جميع صفاته ، وخال من سائر سماته :

وابنُ اللَّبونِ اذا ما لُزَّ في قَرَنٍ لم يستطع صولة البُزل القناعيس

لكن قوله مستمع ، ومرسومه متبع ، وأمره مطاع ، ورأيه غير مضاع »[1] .

٨ ـ هلال الأديب :

كان هلال يطلب الأدب ، فسمع جماعة من مشاهير النحاة وتأدَّب بهم ، منهم : أبو عليّ الحسن بن أحمد بن عبدالغفّار الفارسيّ النحويّ (٣٧٧هـ) ، وأبو الحسن عليّ بن عيسى الرمّاني[2] (٣٨٤هـ) ، وأبو بكر أحمد بن الجرّاح الخزّاز (٣٨١هـ) ، فنبغ في علمه وأدبه ، حتى قال فيه سبْط ابن الجوزي : « كان هلال من الفصحاء ، وله الكلام الفصيح والنثر المليح » .

عُرِف هلال بالصدق والأمانة ، شَهِد له بهذا فريق من مشاهير الكتبة ، منهم : معاصره الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) ، قال : « كان ثقة صدوقا »[3] . وذكره آخرون بثناء وتقدير عظيمين ، كياقوت الحموي[4] ، وابن أبي أُصيبعة ، وابن الفُوَطي ، وابن عبدالحقّ ، والسخاوي ، والحاج خليفة ، وغيرهم .

٩ ـ هلال الشاعر :

لم يشتهر هلال الصابىء بنَظْم الشعر ، ولم يكن يُعَدّ في جملة الشعراء . غير انّ له شيئاً من الشعر ، قاله في صديقٍ له جليل ، توثّقت

---

(١) مرآة الزمان (المخطوط) .

(٢) في صدر كتاب « نسب عدنان وقحطان » للمبرّد ، انّ هلالاً رَوَى هذا الكتاب عن الرمّاني النحوي : (صفحة العنوان ، ص ١) .

(٣) تاريخ بغداد (١٤ : ٧٦) . والعجيب من الخطيب البغداديّ انّه أوجز في ترجمة هلال ، مع انّه نقل عنه غير مرّة وأفاد من علمه ودرايته .

(٤) معجم الادباء (٧ : ٢٥٥ ـ ٢٥٧) . وجرى ياقوت في ترجمة هلال مجرى الخطيب البغدادي ، فقد أورد في ترجمته حكاية متداولة ، وأغفل ذكر كتبه المشهورة .

بينهما أسباب المودّة ، نعني به السيد الشريف المرتضى نقيب العلويين ، المتوفّى ببغداد سنة ٤٣٦هـ .

فقد كتب هلال الى الشريف المرتضى هذه الأبيات في التقرّب اليه والمودّة :

أسيّدنا الشريفَ علوْتَ عن أنْ ... تُضاف اليكَ أوصاف الجلالَهْ
لأنك أوْحَدٌ والنّاسُ دونٌ ... ومَن يسمو لمجدكَ أنْ ينالَهْ
وفُتَّ وزدتَ فضلاً ، انّ فضلاً ... كفضلكَ لا تحيط به مقالَهْ
ولي أمَلٌ سأُدركه وشيكاً ... بعون الله فيكَ بلا محالَهْ
وليس على مُوالاتي مزيدٌ ... لأنّي لم أرثْها عن كلالَهْ[1]

وكتب اليه الشريف المرتضى قصيدة مجيباً له ، وهي في أربعة وعشرين بيتاً ، مطلعها :

متى يُبدِي الكثيبُ لنا غزالَهْ ... ويدني مِن أناملنا منالَهْ

وقال فيها :

وانّك مِن أُناسٍ ما رأينا ... لهم الاّ الرّياسة والجلالَهْ

وختمها :

فلا مَلَل لقلبي منك دهراً ... وحاشا اللهَ قلبي مِن مَلالَهْ[2]

ولمّا توفّي الشريف المرتضى ، رثاه هلال الصابىء بقصيدة عَيْنيّة[3] .

١٠ ــ بين هلال الصابىء وابن بطلان :

كانت بينهما مودّة في ميدان العلم . وابن بُطْلاَن هذا ، هو المختار بن الحسن بن عبدون الحكيم أبو الحسن الطبيب البغدادي ، خرج عن

---

(١) ديوان الشريف المرتضى (٣ : ٦٦) .

(٢) ديوان الشريف المرتضى (٣ : ٦٦ ــ ٦٨) .

(٣) لم نقف على القصيدة . وقد نوّه بها القفطي في تاريخ الحكماء (ص ٤٠١ ، ٤٠٢) .

بغداد الى الجزيرة والموصل وديار بكر ، ودخل حلب وأقام بها مدّة ، وخرج الى مصر وأقام بها ، ثمّ خرج منها وورد أنطاكية فأقام بها وقد سئم كثرة الأسفار ، فنزل بعض دياراتها وانقطع الى العبادة وتوفّي سنة ٤٤٤هـ .

قال القفطي (المتوفّى سنة ٦٤٦هـ) : « شاهدتُ في كتاب الربيع لمحمد بن هلال بن المُحَسّن ، نسخة كتاب وَرَدَ من ابن بُطْلان بعد خروجه من بغداد ، بصورة ما لقي في سفرته ، الى الرئيس هلال بن المُحَسِّن بن ابراهيم ، نسخته : ... »[1] .

ثمّ أخذ يصف رحلته بعد خروجه من بغداد في مستهل شهر رمضان سنة ٤٤٠هـ (شباط ، سنة ١٠٤٩م) ، فوصف ما مرّ به من مدن ، ومَن لقي فيها من مشايخ وخواصّ . فذكروا له أخباراً مستطرفة وعجائب غريبة . فقام من بغداد الى الأنبار فالرحبة فحلب فأنطاكية فاللاذقية ، وغيرها من البلدان ، فوصفها وأودع ذلك كلّه كتابه الذي بَعَث به الى هلال الصابىء .

ولعلّ هلالاً أفاد ممّا كتبه اليه ابن بُطْلان من أمْر هذه الرحلة ، فأَوْدعه بعض مؤلّفاته[2] .

١١ ــ مرضه ، وفاته :

في المحرّم من سنة ٤٣٦هـ ، اعتلّ هلال الصابىء علّة صعبة كادت تودي بحياته ، وكان ينزل يوم ذاك في دار له بباب المراتب من الجانب الشرقي من بغداد . ووصل مرضه الى الحدّ الذي غاص ولم يعقل ، وبقي كذلك عشرين يوماً في النَزْع . وقد طبّه أبو الحسن بن سنان الصابىء ،

(١) أنظر : تاريخ الحكماء (ص ٢٩٤ ــ ٢٩٨) .

(٢) وقف ياقوت الحموي (٦٢٦هـ) على رسالة ابن بطلان ، ونقل منها نصوصا ، يراها القارىء في معجم البلدان : (١ : ٣٨٢ ؛ مادة أنطاكية) و (٢ : ٣٠٦ ؛ حلب ، و ٦٧٢ ؛ دير سمعان « بنواحي أنطاكية على البحر » ، و ٧٨٥ ؛ رصافة الشام) و (٣ : ٧٢٩ ؛ عمّ « بلد بين حلب وأنطاكية ») و (٤ : ١٠٠٣ ؛ يافا) .

وكان ساعوراً في البيمارستان وله اصابات في الطبّ وتوفيق في العلاج ، فشفي على يديه وعادت زوجه اليه بعد أن قطع أهله الرجاء منه[1] . وعاش بعدها عدّة سنين حتّى وافاه الأجل المحتوم[2] في ليلة الخميس سابع عشر شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وأربعمئة للهجرة (٢٨ تشرين الثاني سنة ١٠٥٦م) ، عن تسع وثمانين سنة .

وقد قيل في رثائه :

لا أُمَّ للموت كم يُبلي بجدّتهِ	في كلّ يوم حكيماً ما لـه خلفُ
أصـاب قصـداً هلالاً في تكاملهِ	وبحـر منطقـه ما ليس يُغتـرفُ
لم يُبلِهِ الدهرُ ما دامت بدائعُهُ	تُطوى على جمعها الأخبار والصحف

وأُنشـد :

مات البديع وغارت دُرّة الفـطَن	واستدرج الموت بحر الفضل في كفن
لله دَرُّ المـنايا ما صنَعْنَ بـه	وما تضمّنت الأكفان من بدن ؟![3]

١٢ ـ ابنه محمد غرس النعمة :

خلّف هلال بعض الولد ، اشتهر منهم أبو الحسن محمد غَرْس النعْمة ، وُلِد من زوجه المُسْلِمة ، وقد مرّت الاشارة اليه في قصّة اسلام أبيه .

نشأ غرس النعمـة في كنف أبيـه وفي رعايته ، وعنـه أخـذ العلم والأدب ، فنبغ فيهما ، وسمع أيضاً أبا عليّ بن شاذان ، وقضى بعض الزمن

---

(١) حكى ذلك ، ابنه محمد غرس النعمة . وذكر أموراً طريفة في شأن والده هلال . راجع : تاريخ الحكماء (ص ٣٩٨ ـ ٤٠٢) .

(٢) قـال غرس النعمة : « توفي والدي الرئيس أبو الحسين هلال بن المحسّن بن ابراهيم بن هلال ... ، فانتقض السؤدد بمصابه ، وانثلم الفضل بذهابه ... » : (مرآة الزمان : المخطوط) .

(٣) مرآة الزمان (المخطوط) . قال سبط ابن الجوزي : قوله : « درّ المنايا » فيه نظر ، لأن لفظة درّ انما تستعمل في استحسان .

في دار الانشاء للخليفة القائم بأمر الله[1] . قال سبط ابن الجوزي في حوادث سنة ٤٤٨هـ : « مِن أوّل هذه السنة ابتدأ أبو الحسن محمد بن هلال بن المُحَسِّن بن ابراهيم الصابىء الكاتب ، ويسمّى غَرْس النعمة ، تاريخه[2] ، وذيّله على تاريخ أبيه هلال ، وزعم انّ تاريخ أبيه انتهى الى هذه السنة »[3] .

ثمّ ذكر القفطي هذا السفر بقوله انّه « كتاب حسن[4] الى بعد سنة سبعين وأربعمائة بقليل ، وقَصر في آخر الكتاب لمانع منعه[5] الله أعلم به » .

وتابع القفطي كلامه ، فقال : « ... ثمّ داخله ابن الهمذاني[6] وتمّم الى بعض سنة اثنتي عشرة وخمسمائة[7] ، وكمل عليه أبو الحسن بن الزّاغُوني ، فأتى بما لا يشفي الغليل ، اذْ لم يكن ذلك من صناعته ، فأوصله

---

(١) خلافته : ٤٢٢ ــ ٤٦٧هـ (١٠٣١ ــ ١٠٧٥م) .

(٢) قال ابن الجوزي (المنتظم ٩ : ٤٢) : « نقلت من خطّ أبي الوفاء بن عقيل . قال : حضرنا عند بعض الصدور ، فقال : هل بقي ببغداد مؤرخ بعد ابن الصابىء ؟ فقال القوم : لا ! فقال : لا حول ولا قوّة الاّ بالله » .

(٣) مرآة الزمان (المخطوط : الورقة ١١ و١٩ و٢٠) . وانظر أيضاً : تلخيص مجمع الآداب (الجزء الرابع ، القسم الثاني ، ص ١١٦٣ ــ ١١٦٤) .

(٤) في المنتظم (٩ : ٤٢) : « حكى عنه هبةالله بن المبارك السقطي انّه [يعني محمد غرس النعمة] كان يجازف في تاريخه ويذكر ما ليس بصحيح » .

(٥) يظهر انّ غرس النعمة حاول اتمام تاريخ أبيه ولكنّه لم يفعل ، بل كتب كتاباً صغيراً مختصراً . ولعلّه فعل ذلك لانّه لم يجسر أن يكتب ما كان يرغب فيه .

(٦) هو أبو الحسن محمد بن عبدالملك الهمذاني ، المتوفى سنة ٥٢١هـ ، مؤلف « تكملة تاريخ الطبري » . قال في مقدّمة « تكملته » انّه لم يَرَ آجْمَع لعِلم التاريخ من كتاب الطبري ، فأضاف اليه مجموعاً عَوّل فيه على ما نقله من تآليف الصولي والتنوخي والخطيب البغدادي وأبي اسحاق الصابىء وأولاده وثابت بن سنان وغيرهم .

(٧) ومن تكملته نسخة خطية من الجزء الاول ، نشرها ألبرت يوسف كنعان ، في بيروت سنة ١٩٦١ ، تنتهي في أخبار سنة ٣٦٧هـ . أمّا باقي الكتاب فلا يعرف له وجود اليوم .

الى سنة سبع وعشرين [وخمسمائة][1] ، ثم كمّل عليه العفيف صَدَقَة[2] ابن الحدّاد الى سنة نيف وسبعين وخمسمائة ، ثم كمّل عليه ابن الجوزي الى بعد سنة ثمانين ، ثم كمّل عليه ابن القادسيّ الى سنة ست عشرة وستمائة »[3] .

وصنّف غرس النعمة كتباً أخرى ، منها « كتاب الربيع » ابتدأه سنة ٤٦٨هـ ، وجعله ذَيْلاً[4] على كتاب « نشوار المحاضرة »[5] للتنوخي .

ومن تصانيفه المشهورة ، كتابه الموسوم « الهفوات النادرة من المغفّلين المحظوظين والسقطات البادرة من المعقلين الملحوظين » ، جمع فيه كثيراً من الحكايات التي تتعلّق بهذا الباب .

والمعروف انّ أكثر تآليف غرس النعمة قد أتت عليها يد الزمان العاتية ، ما خلا كتاب « الهفوات »[6] ، ونقولاً قليلة من بعض تآليفه الاخرى ، وردت في مصنّفات قديمة ، كنشوار المحاضرة ، ومعجم الادباء ، ووفيات الاعيان ، وغرر الخصائص الواضحة .

---

(١) هو أبو الحسن عليّ بن عبيدالله بن نصر بن السريّ ابن الزاغوني ـ نسبة الى زاغونى من قرى بغداد ـ ، من أعيان الحنابلة . هو شيخ ابن الجوزي ومربّيه . له تآليف ، منها كتابه في « التاريخ » رتّبه على السنين من أول خلافة المسترشد بالله (سنة ٥١٢ = ١١١٨م) الى حين وفاته هو في سنة ٥٢٧هـ . نقل عنه ابن النجار في ذيل تاريخ بغداد ، في أماكن كثيرة ، منها في الورقة ٢٠ ب ، و ١٣٠ أ من نسختنا المصورة على نسخة باريس ، برقم ٢١٣١ .

(٢) مؤرّخ ، أديب ، كان يعيش من نسْخ الكتب . مات ببغداد سنة ٥٧٣هـ .

(٣) تاريخ الحكماء (ص ١١٠ ـ ١١١) . وراجع أيضاً كشف الظنون (٢ : ١٢٣ ، رقم ٢١٩١ ؛ ط . أوربة) .

(٤) معجم الادباء (٦ : ٢٥١) .

(٥) قال ياقوت (معجم الادباء ٦ : ٢٥١) : « قال غرس النعمة : صنف أبو عليّ المحسن [التنوخي] كتاب نشوار المحاضرة في عشرين سنة ، أوّلها سنة ٣٦٠ وذيّله غرس النعمة ... » .

(٦) منه نسخة في خزانة نور عثمانية باستانبول ؛ برقم ٤١٢١ ، وأخرى في خزانة أحمد الثالث باستانبول ؛ برقم ٢٦٣١ . وعنهما نسختان مصوّرتان في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة . أنظر : فهرس المخطوطات المصوّرة : لفؤاد سيّد (١ [القاهرة ١٩٥٤] ص ٥٤٤ ، الرقم ٨٨٧ ـ ٨٨٨) . وعنوان الكتاب فيه « الهفوات النادرة من المعقلين والملحوظين والسقطات البادرة من المفضلين والمحظوظين » .

كان غرس النعمة ، فيما وصفه به المؤرخون : فاضلاً ، مؤرخاً ثقة مأموناً ، وأديباً بارعاً مترسلاً ، ذا صدقة كثيرة ومعروف ، محترماً عند الخلفاء والملوك والوزراء[1] .

وفي شهر رجب من سنة ٤٥٢هـ ، وقف غرس النعمة ، دار كتب بشارع ابن أبي عوف من غربي مدينة السلام ، ونقل اليها نحو ألف[2] كتاب .

قال ابن الجوزي : « وكان السبب ، ان الدار التي وقفها سابور الوزير بين السورين احترقت ونهب أكثر ما فيها ، فبعثه الخوف على ذهاب العلم ان وقف هذه الكتب »[3] .

وكانت خزانة غرس النعمة هذه « مباءة للعلماء والدارسين ، ومكاناً حسناً لمناظراتهم ومباحثاتهم . فقد ذكر أبو الوفاء علي بن عقيل الحنبلي المتوفى سنة ٥١٣هـ (١١١٩م) ، في كتابه الكبير الموسوم بـ (الفنون) : حضرنا يوماً بدار الكتب بشارع ابن أبي عوف ، فتذاكرنا أمر العقل وتحسينه وتقبيحه ... »[4] .

ثم قال : « ... ورتب بها خازناً يقال له ابن الأقساسي العلوي ، وتكرر العلماء اليها سنين كثيرة ما لم تزل له أجرة ، فصرف الخازن وحك ذكر الوقف من الكتب وباعها ، فأنكرت ذلك عليه ، فقال : قد استغني عنها بدار الكتب النظامية . قال المصنف : فقلت : بيع الكتب بعد

---

(١) تلخيص مجمع الآداب (الجزء الرابع ، القسم الثاني ، ص ١١٦٣) ، النجوم الزاهرة (٥ : ١٢٦) .

(٢) كذا ما في المنتظم (٨ : ٢١٦) ، ومرآة الزمان (المخطوط) . وفي المنتظم (٩ : ٤٢) : ان غرس النعمة « وقف فيها نحواً من أربعمائة مجلد في فنون العلوم » . ومثله ما في تلخيص مجمع الآداب (الجزء الرابع ، القسم الثاني ، ص ١١٦٣) . ولعل الأصل « الف مجلد لأربعمئة كتاب » . وذكر كرنكو في مادة (الصابىء) من دائرة المعارف الاسلامية ، انه وضع فيها أربعمائة مجلد . وقد نقل هذا الخبر من الوافي بالوفيات للصفدي (المخطوط بالمتحف البريطاني ، الرقم ٥٣٢٠ ، الورقة ١١٠ب) . وفي البداية والنهاية (١٢ : ١٣٤) ، والاعلام بتاريخ أهل الاسلام : لابن قاضي شهبة ـ ٨٥١هـ (مخطوط : راجع الاعلام للزركلي ٧ : ٣٥٧) : ان غرس النعمة وقف فيها أربعة آلاف مجلد في فنون العلوم .

(٣) المنتظم (٨ : ٢١٦) .

(٤) خزائن الكتب القديمة في العراق (١ : ٢٣٩) .

وقفها محظور ! فقال : قد صرفتُ ثمنها في الصدقات ! »[1] .

توفّي محمد غرس النعمة[2] في ذي القعدة سنة ثمانين وأربعمائة للهجرة (كانون الثاني ١٠٨٨م) ، ودُفِن في داره بشارع ابن [أبي] عوف ، ثمّ نُقِل الى مشهد علي[3] ، وخلّف سبعين ألف دينار[4] .

١٣ ـ أكان ثابت بن سنان « صاحب التاريخ » خال هلال بن المحسن الصابىء ؟ أم خال أبي اسحاق ابراهيم الصابىء ؟

أولاً :

أ ـ ذكر القفطي (٦٤٦هـ) في ترجمة ثابت بن سنان بن ثابت بن قُرَّة ، ما هذا نصّه : « ... وهو كان خال هلال بن المُحَسِّن بن ابراهيم الصابىء الكاتب البليغ ، وعمل ثابت هذا كتاب التاريخ ... »[5] .

وفي موطن آخر ، قوله : « ... ثمّ كتاب هلال بن المُحَسِّن بن ابراهيم الصابىء ، فانّه داخل كتاب خاله ثابت وتمّم عليه ... »[6] .

---

(١) المنتظم (٩ : ٤٢ ـ ٤٣) . وفي النصّ نقص ظاهر . وتمام الخبر ما ذكره (الصفدي) في « الوافي بالوفيات » ، قال : « ... وجعل ابن الاقساسي خازناً فيها ، الاّ انّ هذا الرجل لم يكن أميناً عليها ، فأساء السيرة ، وباع كثيراً من هذه الكتب » .

(٢) قال كرنكو في مادة (الصابىء) من دائرة المعارف الاسلامية : « زال مجد بيته بموته » . ولا نرى صواب هذا القول . فقد نشأ بعد غرس النعمة مَن اشتهر ايضاً مِن أبناء هذه الاسرة ، منهم : أبو عليّ الكاتب محمد بن سعيد بن ابراهيم بن نبهان (المتوفى سنة ٥١١هـ) ، وهو سبط هلال بن المحسن الصابىء (وقد مرّ بنا خبره) ، ومحمد بن اسحاق بن محمد بن هلال بن المحسن الصابىء (أخباره في : الاعلان بالتوبيخ ، ص ١٥٧) ، وحفيده أبو الحسين محمد بن اسحاق بن محمد بن اسحاق الصابىء ، صاحب ديوان الانشاء في أيام المستضىء بالله ، له عدّة مصنّفات . مات سنة ٦١٩هـ (أخباره في : الاعلام بتاريخ أهل الاسلام) ، وغيرهم .

(٣) المنتظم (٩ : ٤٢) .

(٤) المنتظم (٩ : ٤٢) ، والبداية والنهاية (١٢ : ١٣٤) .

(٥) و (٦) تاريخ الحكماء (ص ١١٠) .

وقـال أيضـاً : « قـال هـلال بن المُحَسِّن ابن اخته ... »[1] .

ب ـ وممَّن تابع القفطي في هذا السبيل : ابن أبي أُصيبعة (٦٦٨هـ) ، قـال في ترجمة ثابت : « وكان ثابت بن سنان المذكور خـال هلال بن المُحَسِّن بن ابراهيم الصابىء الكاتب البليغ ... »[2].

ج ـ وأَوْضح ابن العبـري (٦٨٥هـ) في معرض كلامه على كتـاب التاريخ الذي عمله ثابت ، بقوله : « ... وعليه ذَيَّل ابن اخته هلال ... »[3] .

قلنا : انّ ما نَصَّ عليه هؤلاء الاعلام الثلاثة ، لا يقبل الشكّ في انّ ثابتاً هو خال هلال ، وانّ هلالاً هو ابن أخت ثابت .

ثانياً :

أ ـ ثم أنظر الى ما يقوله هلال نفسه ، قال : « وممّا يجرى ... ما حَدَّث به سِنان بن ثابت جدّي[4] ، قـال : كان المعتضد بالله ... »[5] .

ب ـ وانظر أيضـاً الى ما يقوله هلال ، في موطن آخـر : « حدّثني سِنان بن ثابت جدّي[6] . قال : كان والدي ثابت مِن أعرف الناس برُسُوم خدمة الخلفـاء ، فكنتُ أراه في أسـفاره مع المعتضد بالله ... »[7] .

---

(١) تاريخ الحكماء (ص ١١١) .

(٢) عيون الانباء في طبقات الاطباء (١ : ٢٢٦) .

(٣) تاريخ مختصر الدول (ص ١٧٠) .

(٤) لعلّ الاصل « جدّي لأمّي » .

(٥) رسوم دار الخلافة (ص ٤٩) .

(٦) لعلّ الاصل « جدّي لأمّي » .

(٧) رسوم دار الخلافة (ص ٨٦) .

فمعنى هذا ، انّ سنان بن ثابت هو والد أمّ هلال ، فيكون ثابت « صاحب التاريخ » ابن سنان بن ثابت أخ أمّ هلال يعني خاله .

ثالثاً :

أمّـا الصفديّ (٧٦٤هـ) فقد ذكر شيئاً يختلف عمّـا أورده هؤلاء . قـال : « ... ولأبي الحسن [هلال] من التصانيف : كتاب التاريخ ، ذيّله على تاريخ ثابت بن سنان الصابىء الطبيب ، وكان نسيبه ... »[1] .

رابعاً :

أمّا ياقوت الحموي (٦٢٦هـ) فقد ذكر في ترجمة ثابت بن سنان : « ... وقال أبو اسحاق ابراهيم بن هلال الصابىء يرثي خاله أبا الحسن ثابت بن سنان بن ثابت بن قُرّة :

أسامع أنتَ يا مَن ضمّه الجرف ... نشيج باكٍ حزين دمعه يكفُ
وزفرة مِن صميم القلب مبعثهـا ... يكاد منها حجاب الصدر ينكشف
أثابت بن سـنان دعـوة شـهدت ... لربّهـا انّه ذو غلّـة اسـف
ما بال طبّك ما يشفي وكنتَ به ... تشفي العليل اذا ما شفه الدنف
غالتك غـول المنـايا فاستكنتَ لها ... وكنت ذائدهـا والروح تختطف
فارقتني كفراق الـكفّ صاحبهـا ... اطنّهـا ضـارب من زندها يقف
فَتَتْتَ في عضدي يا من غنيت[2] به ... أفتّ في عضـد الباغي وانتصف
ثوى بمغنـاك في لحـد سكنت به ... الدين والعقل والعليـاء والشرف
لهفي عليـك كريمـاً في عشـيرته ... ممهداً جسمه ومن نعمـة[3] ترف
قـد سـلّموه الى غبـراء يشـمله ... فيها التراب فمنها الفرش واللحف[4]

(١) الوافي بالوفيات (المخطوط) .

(٢) لعلّه « غدوت » .

(٣) كذا ورد .

(٤) معجم الادباء (٢ : ٣٩٧ ـ ٣٩٨) .

قلنا : انّ ما ذكره ياقوت لا غبار عليه ، فهو نصٌ صريح يثبت كون ثابت بن سنان هو خال أبي اسحاق ابراهيم الصابيء ـ صاحب الرسائل ـ ويؤيد ذلك معاصرة أحدهما للآخر . فانّ ثابتاً وُلد سنة ٢٩٥هـ ، ومات سنة ٣٦٣ وقيل ٣٦٥هـ ، وأبا اسحاق وُلد سنة ٣١٣هـ ، ومات سنة ٣٨٤هـ .

فحين توفّي ثابت كان عُمْر أبي اسحاق خمسين عاماً .

ثم أنظر الى البيت الذي يقول فيه : ثوى بمغناك في لحد ... فهو يذكر « الدِين » الى جانب العقل والعلياء والشرف . ويعني به : « دِين الصابئة » وكلاهما ـ نعني ابراهيم وثابتاً ـ يعتقدانه .

* * *

فنحن أمام فريقَيْن : فريق يضمّ أربعة علماء وهلال مِن بينهم ، يثبتون كون ثابت خال هلال ، وانّ هلالاً ابن أخت ثابت .

والثاني هو ياقوت الحموي ، يقول انّ ثابتاً كان خال أبي اسحاق ابراهيم .

والكلمة التي يداعبها الشكّ في نصّ ياقوت ، هي « خاله » .

* * *

بقي لنا أن نورد نصّاً ذكره ياقوت الحموي ، ولا ندري بما نفسّره ، فقد ذكر في ترجمة عليّ بن سليمان الأخفش ، المعروف بالأخفش الصغير ، المتوفّى سنة ٣١٥هـ ، ما هـذا نصّه : « وحدّث أبو الحسين هـلال بن المُحَسِّن بن ابراهيم بن هلال الصابيء في كتابه كتاب الوزراء ، قال : حكى لي أبو الحسن ثابت بن سنان ، قال : كان أبو الحسن عليّ بن سليمان الأخفش ... »[1] .

يُفْهَم مِن هذا ، انّ ثابتاً حكى لهلال ، فكيف يصحّ ذلك وعُمْر هلال كان نحواً من أربع أو ستّ سنوات يوم مات ثابت ؟! .

(١) معجم الادباء (٥ : ٢٢٤) .

١٤ ـ تآليف هلال :

لهلال الصابىء تآليف جليلة تناولت بحوثاً منوّعة ، ضاع بعضها وسلم بعضها الآخر . وفي ما يأتي نبذة عن كلّ من هذه التآليف :

اولاً : [كتاب] اخبار بغداد(١) :

ضاع . وقد تناول فيه تاريخ بغداد وخططها . سمّاه ياقوت الحموي بـ « كتاب بغداد » ، ونقل عنه في غير موطن من معجم البلدان(٢) .

ثانية : الأماثل والأعيان ومنتدى العواطف والاحسان :

شهدت المراجع القديمة انّه من عيون تآليف هلال الصابىء وأجلّها قدراً . قال ياقوت الحموي : « جمع فيه أخباراً وحكايات مستظرفة ، ممّا حُكي عن الأعيان والأكابر ، وهو كتاب ممتع . وممّا يُستحسن من تلك الأخبار . قال : حدّث القاضي أبو الحسين عبيدالله بن عياش ، انّ رجلاً اتصلت عطلته وانقطعت مادته ، فزوّر كتاباً ... »(٣) .

والحكاية هذه وردت بحروفها في ترجمة الوزير (ابن الفرات) الموجودة في « تحفة الأمراء »(٤) .

ومِمَّن ذكر هذا السفر ووقف عليه : ابن خلكان ، المتوفّى

---

(١) كذا سمّاه الصفدي : « كتاب أخبار بغداد » .

(٢) أنظر : (١ : ٩٠ ؛ مادة : أبزقباذ ، و ٥٥٨ ؛ برذعة) و (٢ : ٢٥٥ ؛ الحريم ، و ٥٤٢ ؛ الداهرية ، و ٥٦٥ ؛ درتا) و (٤ : ١٢٣ ؛ قصر ابن هبيرة) .

(٣) معجم الادباء (٧ : ٢٥٥ ـ ٢٥٦) . ووردت هذه الحكاية أيضاً في : نشوار المحاضرة (١ : ٣٣ ـ ٣٥) ، والمنتظم (٦ : ١٩١) .

(٤) (ص ١١٣ ـ ١١٤) . وقد ذهب « الاب لويس شيخو » : المشرق (٦ [بيروت ١٩٠٣] ص ٤٧٠) الى انّ « الاماثل والاعيان » و « تحفة الامراء » كتاب واحد ، ولعلّه استند في ذلك الى هذه الحكاية . وعندنا انّه لم يصب في ذلك . وعلى هـذا جرى المستشرق « كرنكو » : (دائرة المعارف الاسلامية ، مادة الصابىء) .

سنة ٦٨١هـ (١٢٨٢م) ، قال يصفه : « ... ورأيتُ له [يعني لهلال الصابىء] تصنيفاً جمع فيه حكايات مستملحة وأخباراً نادرة ، وسمّاه كتاب الأماثل والأعيان ومنتدى العواطف والاحسان ، وهو مجلّد واحد ، ولا أعلم هل صنَّف سواه أم لا ... »[1] .

ومن الكَتَبة المتأخرين الذين نوّهوا بهذا الكتاب : الحاج خليفة (١٠٦٧هـ = ١٦٥٦م) ، وابن العماد الحنبلي (١٠٨٩هـ = ١٦٧٨م) . قال الأول[2] : « كتاب الأعيان والأماثل : لأبي الحسن هلال بن المحسّن العياني [كذا . والصواب : الصابىء] ، المتوفّى سنة [٤٤٨هـ] » .

وقول الثاني[3] : « ... وله كتاب الأماثل والأعيان ومبتدى [كذا . والصواب : منتدى] العواطف والاحسان . وهو مجلّد » .

يُستخلَص مِن أقوال هؤلاء الكَتَبة ، انّ هلالاً سلك في كتابه « الأماثل والأعيان » مسلك التنوخي في « نشوار المحاضرة » ، اذْ أورد حكايات مستظرفة ، وآثاراً ونوادر مستملحة لجملة مِن أماثل الناس وأعيانهم ، مِن مشايخ ، وفضلاء ، وعلماء ، وكُتّاب ، وأدباء ، وأمراء ، ووزراء ، وظرفاء ، وندماء ، ومحدّثين ، وفلاسفة ، وحكماء ، وغيرهم كثيرين .

ولم يُبْقِ لنا الدهر منه غير عنوانه الطريف ، وحكاية القاضي ابن عياش التي ألمعنا اليها ، ونتف متناثرة هنا وهناك .

---

(١) وفيات الاعيان (٢ : ٢٩٩ ــ ٣٠٠) . ولكننا نجد ابن خلكان نفسه ، في معرض ترجمته للوزير أبي الفضل بن العميد (الوفيات ٢ : ٨٦) ، يستشهد بـ « كتاب الوزراء » لهلال الصابىء ، وينقل منه كلاماً وشعراً .

(٢) كشف الظنون (٢ : ٢٦٣ ؛ ط . استانبول سنة ١٣١٠هـ ، ومثله في طبعة وزارة المعارف التركية ٢ : ١٣٩٤) .

(٣) شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٣ : ٢٧٩) .

ثالثا : [كتاب] التاريخ :

ذيّل به تاريخ ثابت بن سنان بن ثابت بن قُرّة • واشتمل على حوادث السنين التي وقعت من سنة ٣٦٠هـ (٩٧٠ – ٩٧١م) حتّى سنة ٤٤٧هـ (١٠٥٥ – ١٠٥٦م) • قيل انه في أربعين مجلّداً[١] • وقد ضاع هذا التاريخ[٢] ، ولم يسلم منه سوى الجزء الثامن ، وفيه أخبار خمس سنين ، أوّلها سنة ٣٨٩هـ ، وآخرها سنة ٣٩٣هـ[٣] ، ولا ريب انّ الأخبار الصادقة التي وردت في هذا الجزء خير دليل على نفاسة الكتاب[٤] •

---

(١) الاعلان بالتوبيخ (ص ٩٧ ، ١٥٢) •

(٢) نقل غير واحد من الكتبة والمؤرّخين أخباراً من « كتاب التاريخ » لهلال الصابىء • وما نقلوه من أحداث وأخبار ، غير وارد فيما طبع من هذا السفر الكبير • أنظر : تاريخ بغداد للخطيب (٢ : ٣٢٢) ، ذيل تجارب الامم (ص ٤٦ ، ٥١ ، ٥٩ ، ٧١ ، ١٢٣–١٢٤ ، ١٢٨ ، ١٣٨ ، ١٨٥، ١٩٥ ، ٢٦٥) ، تكملة تاريخ الطبري (ص ١٥٤ ، ٢٠٧) ، المنتظم (٨ : ٢٨٩) ، معجم الادباء (٣ : ٥٤ و ٥ : ٢٧١) ، ذيل تاريخ بغداد : لابن النجار (الورقة : ٤٨ ب ؛ حوادث سنة ٣٨٢هـ ، و٦٩ أ ؛ ٣٦٩هـ ، و٨٣ أ ؛ ٣٩٩هـ ، و٩٥ ب ؛ ٤٤٢هـ ، و٩٦ب ؛ ٣٦٨هـ ، و١٢٤ ب ؛ ٣٩٤هـ : من نسختنا المصورة على نسخة باريس ،برقم ٢١٣١) ، أخبار الحكماء (ص ١٥٥ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٤٦ ، ٢٥٦) ، وفيات الاعيان (٢ : ١٧٣ ، ٥٢١) ، النجوم الزاهرة (٤ : ١٨٠ – ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٩٢ ، ١٩٤ – ١٩٥ ، ١٩٧ – ١٩٨ ، ٢٤٩ – ٢٥٠ ، ٢٥٧ – ٢٥٨) ، (٥ : ٦٠) •

ويقول الدكتور مصطفى جواد انّ أكثر « تاريخ » هلال الصابىء و « الذيل » لابنه محمد غرس النعمة مدمج في تاريخ « مرآة الزمان » لسبط ابن الجوزي •

(٣) عني بنشره آمدروز H. F. Amedroz ، في آخر كتاب « تحفة الامراء في تاريخ الوزراء » : (ص ٣٦٥ – ٤٨٤) ، ونشره ثانية في آخر « ذيل تجارب الامم » لابي شجاع ، بصفة كونه تكملة وذيلاً للذيل المذكور (ص ٣٣٣ – ٤٦٠) •

(٤) نقل هلال الصابىء في تاريخه كثيراً من الاخبار عن أصحابها أنفسهم ، من ذلك ما أخذه عن يحيى بن سهل السديد أبي بشر المنجّم التكريتي • وكان من أهل تكريت ، عالماً بالنجوم وتسييرها وأحكامها ، كثير الرحلة الى بغداد • وكان هلال كثير المذاكرة له والاخذ عنه في تاريخه حكايات جرت بتكريت سكوناً الى صحّة روايته : (تاريخ الحكماء ، ص ٣٦٥) •

رابعاً : تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء :

هكذا ورد عنوانه في طبعة آمدروز ببيروت ٠ وقد اختلف الكُتّاب الاقدمون في ايراد عنوانه ٠ فقالوا فيه « تاريخ الوزراء » و « أخبار الوزراء » و « كتاب الوزراء » ٠

وقد نجا بعضه مِن الضياع ، فطُبع في بيروت ثمّ في القاهرة[1] ٠

خامساً : [كتاب] الرسالة ، او « الرسائل » :

ضاع ٠ وهو مجموع رسائله « الرسمية » التي أنشأها عن الملوك والوزراء ٠ وهي على غرار رسائل جدّه أبي اسحاق ابراهيم الصابىء ٠

سادساً : رسوم دار الخلافة :

وهو هذا الكتاب الذي ننشره اليوم ٠

سابعاً : [كتاب] السياسة :

ضاع ٠ ولم يصل الينا مِن خبره شيء ٠

ثامناً : غرر البلاغة :

وهو كتاب في الرسائل ، في واحد وعشرين باباً ٠ يتضمّن فصولاً في الكتابة وأساليبها ، مع جملة رسائل مِن كلامه ٠ نقل عنه القلقشندي نسختَي مبايعة[2] مِن بَيْعات خلفاء بني العبّاس ٠ ثمّ نقل عنه نُسْخَةَ يمين مُلُوكيَّة[3] ، وهي في الأَيْمان التي يُحَلَّف بها على بَيْعة الخليفة عند مبايعته ٠ وفي موطن آخر ، نقل عنه نسخة أَمَان[4] مِن الأَمَانات التي كانت تُكْتَب لأهل الاسلام ٠

---

(١) أسهبنا الكلام فيه ، في كتابنا « اقسام ضائعة من كتاب تحفة الامراء في تاريخ الوزراء » ـ بغداد ١٩٤٨ ٠

(٢) صبح الاعشى (٩ : ٢٨٠ ـ ٢٨٢ و ٢٨٥ ـ ٢٨٦) ٠

(٣) صبح الاعشى (١٣ : ٢١١ ـ ٢١٣) ٠

(٤) صبح الاعشى (١٣ : ٣٣٩) ٠

وقد نجا هذا الأثر مِن قوارع الدهر ، فانّ منه نسخة في خزانة كتب (چستر بيتي في دبلن) ، تقع في ١٥٣ ورقة ، مكتوبة في المئة الخامسة للهجرة[١] . وأخرى في دار الكتب المصرية[٢] . وذكر الأب لويس شيخو اليسوعي انّ منه نسخة في لنينغراد[٣] .

تاسعاً : [كتاب] الكُتّاب :

ضاع . وهو في ما يبدو مِن عنوانه ، على غرار كتاب « أدب الكُتّاب » : لأبي بكر الصوليّ (٣٣٥هـ) ، أو « كتاب الكُتّاب » : لابن درستويه (٣٤٦هـ) .

عاشراً : [كتاب] مآثر أهله :

في تاريخ أهل بيته . ضاع . ولاشكّ في انّه ضمّ معلومات طريفة عمّن نبغ مِن أهله وذويه في العلم والأدب والسياسة .

١٥ ــ مراجع ترجمته وأخباره :

أ ــ المراجع العربية القديمة[٤] :

المبرّد (٢٨٥هـ) : نسب عدنان وقحطان (صفحة العنوان ، ص ١) .

مهيار الديلمي (٣٩٤هـ) : ديوان مهيار الديلمي (١ : ٩) .

مسكويه (٤٢١هـ) : تجارب الأمم (١ : ٢ ، ٣ ، ٥ ، ٧ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٤١ ، ٥٢ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٦٣ ، ١٦٦) ، (٢ : ١٠٤ ، ٣٩٣) .

[الشريف] المرتضى (٤٣٦هـ) : ديوان الشريف المرتضى (٣ : ٦٦ ــ ٦٨) .

---

(١) Arberry (Arthur J.), A Handlist of the Arabic Manuscripts in the Chester Beatty Library. (Vol. II, Dublin 1956; No. 3333, p. 38).

(٢) فؤاد سيّد : فهرست المخطوطات التي اقتنتها دار الكتب المصرية من سنة ١٩٣٦ ــ ١٩٥٥ (٢ : القاهرة ١٩٦٢ ، ص ١٥١) .

(٣) المشرق (٦ [بيروت ١٩٠٣] ص ٤٦٩) .

(٤) مرتّبة على السياق الزمني لوفيات المؤلّفين .

الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) : تاريخ بغداد (٢ : ٣٢٢) ، (١٢ : ١٦) ، (١٤ : ٧٦ ، ٢٣٠) .

الجرجاني (٤٨٢هـ) : المنتخب من كنايات الأدباء واشارات البلغاء (ص ٢٧) .

[الوزير] أبو شجاع (٤٨٨هـ) : ذيل تجارب الأمم (ص ٢١ ، ٤٦ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٩ ، ٧١ ، ١٢٣ – ١٢٤ ، ١٢٨ ، ١٣٨ ، ١٨٥ ، ١٩٥ ، ٢٤٤ ، ٢٦٥) .

الهمداني (٥٢١هـ) : تكملة تاريخ الطبري (ص ١٥٤) .

ابن الأنباري (٥٧٧هـ) : نزهة الألباء في طبقات الأدباء (ص ١٦٣ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢٢٧ ، ٢٤٠ – ٢٤١) .

ابن الجوزي (٥٩٧هـ) : المنتظم (٥ : ١٤٣ ، ١٤٤) ، (٧ : ٢٠ ، ٢٨ ، ٧٧ ، ١٧١) ، (٨ : ١٠١ – ١٠٢ ، ١٧٦ – ١٧٩ ، ٢٨٩) ، (٩ : ٤٢ ، ١٩٥) .

ابن الجوزي (٥٩٧هـ) : مناقب بغداد [المنسوب اليه] (ص ٣٣) .

ابن ظافر الأزدي (٦٢٣هـ) : بدائع البدائه (ص ٣٧ ، ٥٣ ، ٩٦ ، ١٩٩) .

ياقوت الحموي (٦٢٦هـ) : معجم الأدباء (١ : ٢٤٢ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٩ ، ٣٤٢ ، ٣٥٨) ، (٢ : ٤٠ ، ٧٨ – ٧٩ ، ٣٩٧ ، ٤١٤) ، (٣ : ٥٤ ، ١٨١ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨) ، (٥ : ٩ – ١٠ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٦٣ ، ٢٧١ ، ٣٠٤ ، ٣١٨ ، ٣٥٢ ، ٣٨٤ ، ٤٤٠) ، (٦ : ٢٥٣) ، (٧ : ٢٥٥ – ٢٥٧) .

ياقوت الحموي (٦٢٦هـ) : معجم البلدان (١ : ٩٠ ، ٣٨٢ ، ٥٥٨) ، (٢ : ٢٥٥ ، ٢٧٢ ، ٣٠٦ ، ٥٤٢ ، ٥٦٥) (٤ : ١٢٣ ، ٤٠٩) .

ابن النّجار (٦٤٣هـ) : ذيل تاريخ بغداد ، المعروف بـ « التاريخ المجدّد لمدينة السلام » (الورقة : ٤٨ب و ٦٩أ و ٨٣أ و ٩٥ب و ٩٦ب و ١٢٤ب من نسختنا المصوّرة على نسخة باريس ، برقم ٢١٣١) .

القفطي (٦٤٦هـ) : اخبار العلماء بأخبار الحكماء (ص ١١٠ ، ١١١ ، ١٥٥ ،

١٥٦ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٤٦ ، ٢٥٦ ، ٢٩٤ ، ٣٦٥ ، ٣٩٨ – ٤٠٢) .

سِبْط ابن الجوزي (٦٥٤هـ) : مرآة الزمان (مخطوط باريس ؛ برقم ١٥٠٦، الورقة : ١١ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢) .

ابن أبي أُصيبعة (٦٦٨هـ) : عيون الأنباء في طبقات الأطباء (١ : ٢١٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٤٣) .

ابن خلكان (٦٨١هـ) : وفيات الأعيان (١ : ١٤٨ ، ٥٣٣) ، (٢ : ٨٦ ، ١٧٣ ، ٢٩٩ – ٣٠٢ ، ٥٢١) .

ابن العبري (٦٨٥هـ) : تاريخ مختصر الدول (ص ٢٩٦) .

الصفدي (٧٦٤هـ) : الوافي بالوفيات (١ : ٥٢) ، (٣ : ١٠٤) ، (٤ : ١١٩) .

ابن كثير (٧٧٤هـ) : البداية والنهاية (١٢ : ٧٠ ، ١٣٤) .

القلقشندي (٨٢١هـ) : صبح الأعشى (٩ : ٢٨٠ – ٢٨٢ ، ٢٨٥ – ٢٨٦) ، (١٣ : ٥٩ – ٦٠ ، ٢١١ – ٢١٣ ، ٣٣٩) .

ابن حجّة الحموي (٨٣٧هـ) : ثمرات الأوراق (١ : ٩٤ – ٩٥) .

المقريزي (٨٤٥هـ) : الخطط المقريزية (٢ : ٤٤) .

ابن تغري بردي (٨٧٤هـ) : النجوم الزاهرة (٤ : ١٨٠ – ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٩٢ ، ١٩٤ – ١٩٥ ، ١٩٧ – ١٩٨ ، ٢٤٩ – ٢٥٠ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨) ، (٥ : ٦٠ ، ١٢٦ ، ٢١٤) .

السخاوي (٩٠٢هـ) : الاعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ (ص ٩٧ ، ١٥٢ ، ١٥٧ ، ١٥٩) .

السيوطي (٩١١هـ) : الوسائل الى مسامرة الأوائل (ص ٨٣ – ٨٤) .

الحاج خليفة (١٠٦٧هـ) : كشف الظنون [ط ؛ استانبول الأولى] (١ : ٦٣ ، ٢٢٢) ، (٢ : ٢٦٣) .

ابن العماد الحنبلي (١٠٨٩هـ) : شذرات الذهب (٣ : ٢٧٨ ، ٢٧٩) .

المجلسي (١١١١هـ) : الاجازات من بحار الأنوار (٢٥ : ١١٣) .

وذكر الأستاذ خيرالدين الزركلي (الأعلام ٧ : ٣٥٧) انه قرأ ترجمة لهلال بن المُحَسِّن الصابىء ، في مخطوط في التراجم ، مجهول المؤلّف . ولم نقف عليه .

ب ـ المراجع العربية الحديثة(١) :

آمدروز (المستشرق هـ . ف .) : مقدمة « تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء »
(ص ١ ـ ٧ ؛ بالعربية) .
أحد القرّاء بحمص (توقيع مستعار) : هلال أم هلالان ؟
[مجلّة] الضياء ـ القاهرة (٧ : ٢٩٦ ـ ٣٠٢) .
البغدادي (اسماعيل باشا) : ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون :
(١ : ٢٦١) ، (٢ : ٢٧١) .
البغدادي (اسماعيل باشا) : هديّة العارفين (٢ : ٥١٠) .
الدجيلي (عبدالحميد) : كتاب رسوم دار الخلافة (التعريف به) :
البيان (١ [النجف ١٩٤٦] العدد ٥ ، ص ١٧ ـ ١٩) .
روزنثال (المستشرق فرانز) : علم التاريخ عند المسلمين . ترجمة الدكتور
صالح أحمد العلي (ص ٥٩ ، ٧٨ ، ١١٨ ، ٥٥٢ ، ٦٨٢ ، ٦٩٨) .
الزركلي (خيرالدين) : الأعلام (٩ : ٩٤) .
زيّات (حبيب) : صحف الكتابة وصناعة الورق في الاسلام : (المشرق
٤٨ [بيروت ١٩٥٤] ، ص ٦٢٦ ـ ٦٢٧) .
زيدان (جرجي) : تاريخ آداب اللغة العربية (٢ : ٣٧٣ ـ ٣٧٤) .
سركيس (يوسف اليان) : معجم المطبوعات العربية والمعرّبة :
(ص ١١٧٩ ـ ١١٨٠) .
شيخو (الأب لويس اليسوعي) : هلال الصابىء وتآليفه :
المشرق (٦ [بيروت ١٩٠٣] ص ٤٦٦ ـ ٤٧٥) .
عوّاد (ميخائيل) : كتاب رسوم دار الخلافة (التعريف به) :
الرسالة (٨ [القاهرة ١٩٤٠] ص ٩٧٧ ـ ٩٨٠) .
عوّاد (ميخائيل) : فَصْل من كتاب : فضائل بغداد :
مجلّة المجمع العلمي العربي (١٩ [دمشق ١٩٤٤] ص ٣٢٢ ـ ٣٣١) .
فرّاج (عبدالستّار أحمد) : مقدّمة « الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ
الوزراء » (ص : أ ـ ظ) .

---

(١) مرتّبة بحسب أسماء المؤلّفين .

فؤاد سيّد : فهرست مخطوطات دار الـكتب المصرية مِن سنة ١٩٣٦ ـ ١٩٥٥ (١ : ٤٣٦) •

القمّي (عبّاس بن محمد رضا) : الـكنى والألقاب (٢ : ٣٦٢ ـ ٣٦٣) •

كحّالة (عمر رضا) : فهرس مجلّة المجمع العلمي العربي ـ دمشق (٢[٢] : ٥٢٣) •

كحّالة (عمر رضا) : معجم المؤلّفين (١٣ : ١٥١) •

متز (آدم) : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري (١ : ٢٣١ ؛ الترجمة العربية) •

محمد عبدالغني حسن : علم التاريخ عند العرب (ص ١٩٤) •

المراغي (أبو الوفا) : فهرس المـكتبة الأزهرية (٥ : ٤٥٥) •

مصطفى جواد (الدكتور) : نشوء الملـكية في الخلافة وتطوّر الخلافة الى الملـكية : (الاخبار [جريدة بغدادية] ٢ أيار ١٩٤٨) •

مصطفى جواد (الدكتور) ، وسوسه (الدكتور أحمد) : دليل خارطة بغداد قديماً وحديثاً (ص ٧٣ ، ١٧٢ ، ٢٢٧) •

المغربي (عبدالقادر) : الاشتقاق والتعريب (ص ٩٢) •

★ ★ ★

دائرة المعارف الاسلامية (الترجمة العربية) :
(١ : ٢٦٥ ؛ مادة : ابن القلانسي) •

فهرس دار الـكتب المصرية (٥ : ٧٠ ، ١٢٦ ـ ١٢٧) •

ج ـ المراجع الافرنجية :

Amedroz (H. F.), Al-Sabi' (in his English preface to Tuhfat al-Umara').

Brockelmann (Carl). Geschichte der Arabischen Litteratur. (I, 323, 324; S I, 556, 557).

Krenkow (F.), Al-Sabi'. (an article in the "Encyclopaedia of Islam").

Journal of the Royal Asiatic Society. (London, 1901; p. 501, 719).

١٦ ـ نسب آل الصابئ :

حيـون (الصابئ الحراني)

زهرون

ابراهيم (أبو اسحاق . كان طبيباً . مات ببغداد سنة ٣٠٩هـ)

- أبو الخطاب الصابئ
- هلال (أبو الحسين . كان طبيباً)
- ثابت (أبو الحسن . ولـد بالرقة ، مـات ببغداد سـنة ٣٦٥ وقيـل ٣٦٩هـ . كـان من اشهر الاطباء) .

ابراهيـم (أبو اسـحاق . صاحب الرسائل ، ٣٨٤هـ) [ابن هلال]

- سنان
- المحسّن (أبو عليّ . يلقّب بـ « صاحب الشامة » ، ٤٠١هـ) .

هلال (٤٤٨هـ . مؤلف رسوم دار الخلافة)

محمّد (غرس النعمة ، ٤٨٠هـ)

اسحاق

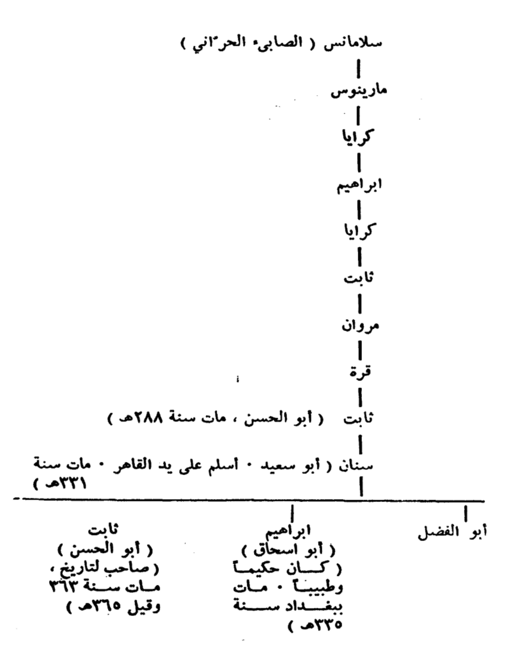
محمّد

اسحاق

محمد (أبو الحسين ، ٦١٩هـ)

وهنالك صابئ آخر ، لم يتعيّن عندنا مقامه من شجرة النسب هذه ، هو « أبو نَصْر هرون بن صـاعد بن هرون الصابئ الطبيب » . ذكـره القفطي : (تاريخ الحكماء ، ص ٣٣٨) .

١٧ ـ نسب آل قرّة :



وهنالك شخص آخر من « آل قرّة » لم يتعيّن عندنا مقامه من شجرة النسب هذه ، هو « أبو الحسن بن سنان الصابئ » . كان حيّاً في حدود سنة ٤٣٩هـ ، وله إصابات في الطب . ترجمته في (تاريخ الحكماء ، ص ٣٩٧ ـ ٤٠٢) .

القسم الثاني

مخطوطة «رسوم دار الخلافة»

١ ـ تمهيد :

في أوائل سنة ١٩٤٠[١] ، زرتُ العلاّمة المغفور له الأب أنستاس ماري الكرملي في بغداد ، فأطلعني على كتاب مخطوط ، عنوانه : « رُسُوم دار الخلافة » ، وهو من تأليف هلال بن المُحَسِّن الصابىء ، المتوفّى في بغداد سنة ٤٤٨ للهجرة .

وقد نقله بيده عن نسخة كانت لديه ، مصوَّرة أيضاً عن أصلٍ فريد للكتاب محفوظ في خزانة كتب الأزهر ، برقم (٢٧٤١ عروسي ٤٢٦٩٧)[٢] .

تصفّحتُ هذا الكتاب وأنا بين يديه ، فتبيّنتُ فيه علماً واسعاً ، وطرافة نادرة ، وأصالة في الموضوع ، ووحدة فيه . ولا عجب ، فانّ مؤلّفه ـ أعني به هلالاً الصابىء ـ كان من أعلام الأدباء المؤرّخين في عصره ، عالماً بفنون الآداب ، حسن المعرفة بآداب الملوك والخلفاء ، حاذقاً بتصنيف

---

(١) قبل هذا التاريخ بقليل ، كان الاستاذ ناجي معروف يزور القاهرة ليشاهد بعض آثارها وخزائن كتبها . وكان يرافقه في تلك الزيارة الاستاذ الآثاري حسن عبدالوهاب . وصادف حين زيارتهما خزانة كتب الازهر ، أن وقعت عين الاستاذ على مخطوطة ، وتبين انّها « رسوم دار الخلافة » . فأذاع ذلك الخبر بين العلماء والمعنيين بشؤون المخطوطات ، كما نبّه مديرية الآثار ببغداد الى تلك المخطوطة النفيسة ، والى ضرورة استنساخها .

وتمّت بيننا ، بعد ذلك مكاتبات في شأن تلك المخطوطة (أنظر : جريدة « الأخبار » البغدادية ٤ كانون الاول ١٩٣٨) . وقدّر لي أن أظفر بنسخة مصوَّرة عن الاصل ، كما أشرت اليه أعلاه .

(٢) فهرست الكتب الموجودة بالمكتبة الازهرية الى سنة ١٩٤٩ (٥ [القاهرة ١٩٤٩] ص ٤٥٥) .

الكتب ، جمع بين متانة التعبير وسهولة الكلام وحسن السبك ، دون تصنّع أو تكلّف ولا حشو ولا تطويل •

فاستأذنتُ الأب في أن أنقل هذا الكتاب عن نسخته ، فأجابني الى ما أردتُ ، بل انّه حين رأى شدّة عنايتي بالكتاب ، أشار عليَّ أن أتولّى تحقيقه ونشره •

فبدأتُ ، ثمّ رأيتُ انّ عملي لن يستقيم ما لم أقف على النسخة المصوّرة عن الأصل • فتفضّل الأب أنستاس ـ رحمه الله ـ فطلب من القاهرة نسخته المصوَّرة من الكتاب ، وكان قد أبقاها هناك ، فأهدى اليَّ كلتا النسختَيْن : المصوَّرة والمكتوبة بيده • فكانت هدية نفيسة قيّمة يَسَّرت لي العمل على تحقيق الكتاب واخراجه •

وقد اعتمدتُ هذه النسخة المصوَّرة ، وانقطعتُ الى تحقيقها سنوات كثيرة حتى وصلتُ بها الى الغاية التي جعلتُها نُصْب عيني ، بما انتهى اليه وُسْعي وبلغه مدى جهدي •

٢ ـ صفة المخطوطة :

تشتمل على ٢٠٣ صفحات ، يتراوح عدد أسطر كلّ منها بين ٨ ـ ١٤ سطراً • وهي مكتوبة بخط قديم ديواني وعر ، قليل التنقيط ، خالٍ من الحركات •

وقد أصاب المخطوطة خرم زهيد ، فبداية الصفحة ٣٥ لا تتلاءم وما قبلها • كما انّ الكلام غير مستقيم بين آخر الصفحة ٣٦ وأول الصفحة ٣٧ • ومعنى ذلك انّ ورقة أو أكثر من ورقة قد سقطت من كلا هذين الموضعَيْن •

ثمّ انّ الأَرضة قد عبثت ببعض أوراقها ، فأتلفت كلمات وحروفاً من المتن •

وكانت أولى أوراق المخطوطة ، وفيها عنوان الكتاب وصدر المقدّمة ، قد سقطت • فاستُعيض عنها بورقة كُتِبت في زمن متأخّر ، بخطّ متوسّط يخالف خطّ الأصل •

٣ ـ تاريخ المخطوطة :

أ َلَّف هلال الصابىء كتابه هذا ، في أثناء خلافة القائم بأمر الله العبّاسي[١] •

في آخر المخطوطة قول الناسخ : « كان الفراغ من نسخه يوم الثلثاء التاسع من رجب سنة خمس وخمسين وأربعمائة من الأصل بخطّ الأستاذ أبي الحسين هلال بن المحسّن بن ابراهيم رحمه الله » اه •

وفي الهامش قول بعضهم : « عُورض به الأصل بخطّ المصنّف وصحّ والحمد لله ربّ العالمين » •

فالنسخة عتيقة قريبة عهد مِن المؤلّف ، فهي مكتوبة بعد وفاته بسبع سنوات عن النسخة التي بخطّه •

وهذه النسخة فريدة لا يُعرَف لها أخت ، كُتِب لها أن تنجو مِن أيدي الضياع • وما في بعض الخزائن اليوم مِن نسَخه ، انّما هو مُسْتَنْسَخ عن هذه امّا باليد أو بالتصوير •

٤ ـ من ذكر هذا الكتاب من الاقدمين ؟

لم نعثر في ما بيدنا من مراجع قديمة ، على تنويه بهذا الكتاب ، الاّ ما ذكره خليل بن أيْبَك الصفدي ، المتوفّى سنة ٧٦٤هـ[٢] (١٣٦٣م) ، وما ذكره جلال‌الدين السيوطي ، المتوفّى سنة ٩١١هـ (١٥٠٥م) ، في كتابه « الوسائل الى مسامرة الأَوائل »[٣] ، قال : « وقال هلال بن المُحَسِّن الصابىء في كتاب رسوم دار الخلافة ••• » ، ثم نَقَل زهاء ثلاثة أسطر مِن الفصل المعنون بـ « الأنقاب » •

---

(١) دامت خلافته من سنة ٤٢٢ الى ٤٦٧هـ (١٠٣١ ـ ١٠٧٥م) •

(٢) الوافي بالوفيات ، نقلاً عن « مقدّمة » آمدروز لكتاب « تحفة الامراء في تاريخ الوزراء » • (بيروت ١٩٠٤ ، ص ٦) •

(٣) ص ٨٣ ـ ٨٤ •

٥ ـ طريقة الناسخ في كتابة المخطوطة :

١ ـ جرى ناسخ هذه المخطوطة ، في كتابة بعض الألفاظ على طريقة غريبة حتّى ليظن القارىء ان بعضها بخطٍ غير الخطِ العربي ، حملها بما يأتي :

ماعص = مائتا

ص = خمسمئة

وسالفا = وثلاثة آلاف

سهابدر = ثمانمئة

واحدء = وأربعمئة

حمالوركسرا = خمسة آلاف وكسرا

عس = عشرة

ررهم = دراهم (المفردة كالجمع)

وس = هـ

بهى = انتهى

٢ ـ استعمل هذه العلامة ـــ لوَصْل حرف بحرف في وسط الكلمة بلا أدنى معنى ، مثل « وزارة » فقد كتبها « وزاـــرة » .

٣ ـ ليَّن بعض الهمزات ، فكتب : (قايل ، للعايذين ، مويلاً ، الخزاين ،

الناشي ، الصابي ،مباديهم) ، فكتبناها نحن بالهمزة .

٤ ـ رَسَم السكون هكذا : د .

٥ ـ جعل تحت الحاء المهملة هذه العلامة ٨ للاشارة الى انّها حاء مهملة .
والعلامة ٨ أصلها ٧ كما في المخطوطات القديمة ، وهي مقطوعة من
مه وأصلها « مهملة » ، فاكتفوا بأدنى الاشارة الى أصلها . وقد رسمها
كذلك على الراءات كما في « دينار٧ » .

٦ ـ رَسَم الصاد و الضاد كالعَيْن ، لكنّها عريضة وبلا سنّ .

٧ ـ جرى الناسخ على كتابة السين والشين مسنّنَتَيْن ، ولكنه قد يتساهل
فيكتبهما خطاً كما في (ص ١٠٨ ؛ المخطوط) حيث يقول : الرسائلي ،
استدعى . بدلاً من : الرسائلي ، استدعى .

٨ ـ واذا كانت الألف غير مهموزة ، وضع عليها سكوناً كما في « مَاْ »
في قوله : « مَاْ ذكرناه » .

٩ ـ لم ينقّط الكاتب بعض الأحرف ، فتقرأ الكلمة قراءات مختلفة .
وكثيراً ما ينقّط الحروف على خلاف المألوف .

١٠ـ رَسَم الضمتَيْن ضمة واحدة يليها فتحة ، هكذا : « ومعلومٌ » .

١١ـ واذا أراد ملء آخر السطر الفارغ ، كَتَب هكذا : « ســــرد » .
وأوّل ما استعمل هذه العلامة (ص ٣٣ س ٩ ؛ المخطوط) بعد كلمة
« الغداة » ، وتُقرأ « ســرد » أي انّ الكلام متصل بعضه ببعض
ومسرود سرداً .

١٢ـ كَتَب الناسخ لفظة « رَحْمَة » بالتاء المبسوطة ، أي « رَحْمَت » .
قال عثمان بن سعيد الداني ، المتوفّى سنة ٤٤٤هـ ، ما صورته[1]
في ذِكْر « الرحمة » :

« حدّثنا محمد بن أحمد ، قال : حدّثنا محمد بن القسم
النحوي ، قال : وكلّ ما في كتاب الله عزّ وجلّ مِن ذِكْر

(١) المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الامصار مع كتاب النقط
(ص ٧٧) .

(الرَحْمَة) فهو بالهاء يعني في الرسم ، الا سبعة أحرف :

في البقرة (٢١٨) : (أُولَئكَ يرجُونَ رَحْمَتَ الله) ،

وفي الأعراف (٥٦) : (انَّ رَحْمَتَ الله قَريبٌ منَ المُحْسنينَ) ،

وفي هود (٧٣) : (رَحْمَتُ الله وَبَركَاتُهُ) ،

وفي مريم (٢) : (ذِكْرُ رَحْمَتَ ربِّكَ) ،

وفي الروم (٥٠) : (الى آثار رَحْمَت الله) ،

وفي الزخرف (٣٢) : (أَهُم يَقْسمُونَ رَحْمَتَ ربِّكَ) ،

وفيها (٣٢) : (وَرَحْمَتُ ربِّكَ خَيْرٌ ممَّا يَجْمَعُونَ) .

وفي « الكنز المدفون والفُلْك المشحون » فائدة في هذا الباب ، قال : « رحمة الله تُكتَب بالتاء في خمسة مواضع : في البقرة (يرجُونَ رحمتَ الله) وفي مريم (ذِكْرُ رحمت ربِّكَ عبده زكريا) وفي الروم (فانظر الى آثار رحمت الله) وفي الزخرف (أَهُم يَقْسمون رحمتَ ربِّكَ) وفيها (ورحمتُ ربِّكَ خيرٌ مِمّا يَجْمَعُونَ)[1] .

وراجع أيضاً ، ما كتبه الدينوري[2]، والقلقشندي[3] في هذا الشأن .

١٣ـ بقي لنا أن نقول انّ ناسخ المخطوطة ، اتبع طريقة في الاملاء قديمة لم نرَ وجهاً للسير عليها في زمننا هذا ، فغيّرنا رسم الكلمة بما هو مألوف اليوم بين الكُتّاب والأدباء . ولم نشأ أن نثقل هوامش الكتاب بالاشارة الى ذلك .

ومن الأمثلة على ذلك انه حذف « الأَلف » من مثل هذه الألفاظ : (اسمعيل ، القسم ، سليمن ، عثمن ، النعمن ، ابرهيم ، هلل ، معوية ، اسحق ، مدينة السلم ، ثلثين ، الثلثاء ، ثلثة ، خلد ، صلح ، سبحن الله) . فأَعَدْنا اليها هذه الأَلف المحذوفة .

---

(١) الكنز المدفون ص ٢٢٦ .

(٢) أدب الكاتب (ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨) .

(٣) صبح الاعشى (٣ : ١٧٧) .

٦ ـ الرسوم :

الرُسُوم : جَمْع رَسْم • ويُراد بها في هذا السِفْر معنيان :

الأول : مجموع العادات المتّبعة في مقابلة الناس أو معاملتهم في شؤون الأُلْفَة • وهذا ما يُعْرَف في الفرنسية بلفظة اتيكيت (Etiquette) .

الثاني : مجموع الاحتفاء بالناس في أمور السياسة والقيام بها ، وفي مقابلة الملوك وعظام الدُوَل • وهذا ما يُعْرَف في الفرنسية بلفظة بروتوكول (Protocole) .

وهذان المعْنيان يتّضحان كلّ الاتضاح مِن عنوانات فصول هذا الكتاب وشروحها ، ومِن مطاوي الكلام على الخلفاء والاحتفال بمواكبهم ، وما يقع في مجالسهم ، وكيف كانت الأمور تسير بحضورهم ، وفي مكالمتهم ومقابلتهم ومسايرتهم ومنادمتهم ونحو ذلك •

ولم يرد هذان المعنيان في كُتُب متون اللغة ، مع ورودهما منذ صدر العهد لبني العبّاس • فهما مِن المستدرك على المعجمات[١] •

ومِن الرُسُوم اشتق الأتراك العثمانيون كلمة (مراسم) للدلالة على معنى قريب مِن معنى (الپروتوكول) • ومِن كلمة (الرَسْم) جاءتنا بل غمرت لغتنا كلمة (الرسمي) : اجتماع رسمي ، و (رسمية) : حفلة رسمية • وأخيراً (مرسوم) : وصدر المرسوم[٢] •

٧ ـ الرسم هو الآئين :

ويشبه « الرَسْم » في اللغة : « الآئين » •

و « آئين » لفظة فارسية منحدرة مِن أصلٍ قديم نجده في اللغة

(١) انظر مادة « رسم » في تكملة المعجمات العربية : لدوزي (١ : ٥٢٧ ـ ٥٢٨) •

(٢) الاشتقاق والتعريب (ص ٩٢) •

الفهلوية . ومعناها المشهور : القاعدة أو الدستور أو الطريقة أو القانون[1] .

قال المسعوديّ (٣٤٦هـ = ٩٥٧م) : « تفسير آئين نامه : كتاب الرُسُوم »[2] ، ويعني بذلك التقاليد والدساتير .

وشاعت لفظة « الآئين » في العصر العبّاسي ، وتوسّعوا في معناها حتى أطلقوها على معنى (العادة) .

٨ ـ كتب في الرسوم والآداب والسياسة والادارة ونحوها :

لكثير من المؤلّفين القدامى ، تآليف في الرسوم والآداب والادارة وعلم الأخلاق وما اليها ، وهي من الكثرة بحيث يصعب حصرها . ضاع بعضها وسلم بعضها الآخر ، وقد نُشِر شيء ممّا سلم .

وقد رأينا ، استتماماً للموضوع ، أن نورد في « الثبت » الآتي :

١ ـ أسماء عيون تلك التآليف ، وقد رتّبْناها على السياق الهجائي ، بعد أن جعلناها صنفَيْن : قديم ، وحديث .

٢ ـ أسماء مؤلّفيها ، اذا كانت معروفة .

٣ ـ سنيّ وفياتهم ، اذا كانت معروفة .

٤ ـ الاشارة الى موضع النسخة الخطيّة لكل كتاب حيثما أمكن ذلك[3] .

٥ ـ الاشارة الى كون الكتاب قد طُبع[4] ، وأين طُبع .

وللأستاذ المرحوم عبدالله مخلص (المتوفى سنة ١٩٤٧) ، مقال بعنوان « التواليف الاسلامية في العلوم السياسية والادارية » ، نشره في مجلّة المجمع

---

(١) راجع مقال « كتب آئين نامه ، والمقاطع الباقية منها في المصادر العربية » : بقلم محمد محمدي : (الدراسات الادبية (١ [بيروت ١٩٥٩] ، العدد : ٢ و٣ ، ص ١٥ ـ ٣٩) .

(٢) التنبيه والاشراف (ص ١٠٤) .

(٣) رمزنا للمخطوط بحرف « خ » .

(٤) رمزنا للمطبوع بحرف « ط » .

العلمي العربي (١٨ [دمشق ١٩٤٣] ص ٣٣٩ - ٣٤٤) ، وقد انتفعنا به ، وما أخذناه عن ذلك المقال رمزنا اليه بهذه العلامة * تمييزاً له عمّا وقفنا نحن عليه في هذا الباب •[1]

اولاً - التآليف القديمة :

آثار الأُول في ترتيب الدول : الحسن بن عبدالله العبّاسيّ (نسبة الى بني العباس) •
(ألّفه للسلطان بيبرس صاحب مصر سنة ٧٠٨هـ) ، ط : بولاق •

الآداب : جعفر بن محمّد شمس الخلافة (٦٢٢هـ) ، ط : القاهرة •

آداب السياسة بالعدل وتبيين الصادق الكريم المهذّب بالفضل من الأحمق اللئيم النذل[2] : مبارك بن خليل الخازندار البديري الموصلي ثم الأموي (كُتبت سنة ٦٨٢هـ) ، خ : كوبرلي - استانبول •

آداب الصحبة وحسن العشرة : السلمي الأزدي النيسابوري (٤١٢هـ) ، ط : القدس •

آداب الصحبة والمعاشرة مع جميع الخلق : الغزالي (٥٠٥هـ) ، منه نسخة خطّية في خزانتنا[3] - بغداد •

* آداب صحبة الملوك : الجاحظ (٢٥٥هـ) ، خ : خالص افندي (في جامعة استانبول) •

* آداب الملوك : الجاحظ (٢٥٥هـ) ، خ : خالص •

(١) وفي كتاب « علم التاريخ عند المسلمين » (الترجمة العربية ، ص ٢٩٣ - ٢٩٧) أسماء طائفة اخرى من كُتُب هذا الباب ، لم ندرجها في هذا الثبت ، فلتُراجع هناك •

(٢) أنظر : فهرس مخطوطات جامعة الدول العربية ، ١٩٤٨ (ص٥٤٩) •

(٣) ذكر الدكتور عبدالرحمن بدوي في كتابه « مؤلفات الغزالي » (القاهرة ١٩٦١ ، الرقم ٤٠٦) كتاباً للغزالي ، بعنوان « آداب الصحبة والمعاشرة مع الخالق والمخلوق » وأشار الى انّه قطعة من « بداية الهداية » تقع بين الصفحة ٧٦ - ٩٢ ، أمّا نسختنا التي أشرنا اليها أعلاه فانّها كتاب يقع في ١١٨ صفحة ، قديمة الخطّ ، يرتقي زمن كتابتها الى المئة السابعة للهجرة •

آداب الملوك : جلال‌الدين السيوطي (٩١١هـ) : ورد ذكره في مخطوطات برلين ٥٦٤٤[٢٨] .

* آداب الملوك : حسين بن اياز النحوي ، خ : ايا صوفية ـ استانبول .

* آداب الملوك ونصائح السلاطين : كمال بن الحاج أُلياس ، خ : ايا صوفية .

آداب الوزارة : مجهول ، خ : ايا صوفية ٢٨٣٧ .

آراء أهل المدينة الفاضلة : أبو نصر الفارابي (٣٣٩هـ) ، ط : ليدن ، القاهرة ، بيروت .

الآئين : ابن المقفّع (١٤٢هـ) (وقد ضاع هذا الكتاب) ؛ نقل عنه ابن قتيبة في عيون الأخبار (المطبوع في القاهرة) نقولاً كثيرة .

الابريز المسبوك في كيفية آداب الملوك : محمد بن علي الأصبحي (ألّفه سنة ٨٨٣هـ ، في وادي آش في الأندلس) ، خ : الجزائر ، برقم ١٣٧٥ .

الاجتهاد في طلب الجهاد : ابن كثير (٧٧٤هـ) ، ط : القاهرة .

الأحكام السلطانية : القاضي أبو يعلى الفراء الحنبلي (٤٥٨هـ) ، ط : القاهرة .

الأحكام السلطانية : الماوردي (٤٥٠هـ) ، ط : أوربة ، القاهرة .

* الأحكام السلطانية : مجهول (أُلّف سنة ٤٨٣هـ) ، « مقتبس من تحرير الأحكام للسهروردي » (سيأتي ذكره) ، خ : قرا مصطفى باشا ـ استانبول .

اختصار[١] الأحكام السلطانية للماوردي : الحسن بن علي بن اسماعيل بن يوسف القونوي (٧٧٦هـ) .

اختصار الأحكام السلطانية : عبدالمنعم بن محمد بن عبدالرحيم الخزرجي ابن الفرس (٥٩٧هـ) ؛ ورد ذكره في مخطوطات برلين ؛ الرقم ٥٦٤٤[٧] .

الأخلاق « رسالة في الأخلاق » : ابن المقفّع (١٤٢هـ) .

الأخلاق والسِيَر : ابن حزم (٤٥٦هـ) ، ط : القاهرة ، دمشق ، بيروت .

---

(١) أنظر الدرر الكامنة (٢ : ٢٠ ـ ٢١ ؛ الرقم ١٥٢٥) .

أخلاق الملوك[1] : محمد بن الحرث التغلبي .

* أدب الدارين : مبارك الأرموي ، خ : العمومية ـ استانبول .

أدب الدنيـا والدين : الماوردي (٤٥٠هـ) ، ط : القاهـرة ، بولاق ، الجوائب ، الآستانة .

أدب الـكُتّاب : أبو بكر الصولي (٣٣٥هـ) ، ط : القاهرة .

الأدب الـكبير
الأدب الصغير | : ابن المقفّع (١٤٢هـ) ، ط : القاهرة ، بيروت .

أدب الملوك : عبدالمنعم الأندلسي .

أدب النديم : كشاجم (٣٦٠هـ) ، ط : بولاق .

أدب الوزراء : أحمد بن جعفر بن شاذان (٦٢١هـ) ، خ : ليدن (خزانة جامعة ليدن) .

أدب الوزير : الماوردي (٤٥٠هـ) ، ط : القاهرة .

* الأدلة القطعية في عقود الولايات والسياسة الشرعية : عبدالله بن محمد الغزّي ، خ : كوجك أفندي ـ استانبول .

ارشاد القاصد الى أسنى المقاصد : ابن ساعد الأنصاري السنجاري المعروف بابن الأكفاني (٧٤٩هـ) ، ط : بيروت .

ارشـاد المغفّلين مـن الفقهـاء والفقـراء الى شـروط صـحبة الأمـراء : عبدالوهاب الشـعراني (٩٧٣هـ) ، برلين ٥٦٢٤ (وسـيرد ذِكْر مختصره) .

* ارشـاد الملوك لسـداد السـلوك : ابراهيـم بن أبي زيد الهنـدي ، خ : ايا صوفية .

* ارشاد الملوك والسلاطين : بركة بن براكز القفجاقي ، خ : « بالتركية والعربية » : ايا صوفية .

أسـاس السياسة : عليّ بن ظافر الأزديّ (٦٢٣هـ) ، ورد ذكـره في مخطوطات برلين ٥٦٤٤[8] .

---

(١) ذكره ابن النديم (الفهرست ، ص٢١٢ ؛ ط-القاهرة) والسخاوي: (الاعلان بالتوبيخ ص ١٥٧) .

* أساس السياسة : القفطي (٦٤٦هـ) ، خ : خالص .

[كتاب] الاشارة في آداب الامـارة والوزارة وسرّ السياسة في تدبير الرياسة : أبو بكر محمد بن الحسين الحضرمي ثمّ المرادي ، « كُتبت المخطوطة سنة ١٠٦٠هـ » ، برلين ٥٥٨٣ .

الاشارة الى آداب الوزارة : لسان‌الدين ابن الخطيب (٧٧٦هـ) ، ورد ذكره في مخطوطات برلين ٥٦٤٤[٥٢] .

الاشارة الى مَن نال الوزارة : ابن منجب الصيرفي (٥٤٢ وقيل ٥٥٠هـ) ، ط : القاهرة .

أقسام ضائعة مِن تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء : هلال بن المُحَسِّن الصابىء (٤٤٨هـ) ، ط : بغداد .

الاكتفـاء في ذكر مصطلح الملوك والخلفـاء : محمد بن عيسى الـكناني الحنبلي ، خ : برلين ٥٦٣٢ .

الامامة والسياسة : ابن قتيبة (٢٧٦هـ) ، ط : القاهرة .

الأموال : أبو عبيدالله القاسم ابن سلام (٢٢٤هـ) ، ط : القاهرة .

انباء الأمراء لأنباء الوزراء : ابن طولون الدمشقي (٩٥٣هـ) ، خ : برلين .

الانتصار لواسطة عقد الأمصار (ج ٤ و٥) : ابن دقماق (٨٠٩هـ) ، ط : بولاق .

أوراق البردي العربية : جمعها وعلّق عليهـا أدولف جروهمان ، ط : القاهرة .

* ايضـاح السلوك ونزهة الملوك : محمـد بن يوسف الباعوني الدمشقي (٩١٦هـ) خ : خالص ، والخزانة الزكية ـ القاهرة .

بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (١ ـ ٧) : الـكاساني (٥٨٧هـ) ، ط : القاهرة .

* بذل النصائح الشرعية فيمـا على السلطان وولاة الأمور وسائر الرعية : محمد بن محمود الاشبيلي ، خ : الفاتح ، غوطا .

بذل النصائح الشرعية فيما على السلطان وولاة الأمور وسائر الرعية[1] : نجم‌الدين أحمد بن محمد بن عليّ بن الرفعة ، المصري الشافعي « محتسب القاهرة » (٧١٠هـ) ، خ : غوطا .

البرهان في فضل السلطان : شهاب‌الدين أحمد المحمدي الأشرفي الحنفي (٨٧٠ وقيل ٨٨٠هـ) ، خ : برلين ٥٦١٩ ، والعمومية ـ استانبول .

بستان الدول : لسان‌الدين ابن الخطيب (٧٧٦هـ) ، خ : تطوان .

بهجة الوزراء : نجم‌الدين أحمد بن محمد بن علي بن الرفعة ، المصري الشافعي « محتسب القاهرة » (٧١٠هـ) ، خ : غوطا .

* بهجة الوزراء : شيخ الأزهر عبدالله « ألّفه سنة ١١٤٥هـ » ، خ .

التاج في أخلاق الملوك : الجاحظ (٢٥٥هـ) ، ط : القاهرة .

* تاج السعادة في النصيحة الملكية : عالم بن محمد الكاشغري ، خ : ايا صوفية .

تاريخ ديوان الاسلام : محمد الغزّي (١١٦٧هـ) ، ط : بيروت[2]

التبر المسبوك في نصيحة الملوك : أبو حامد الغزالي (٥٠٥هـ) ، ط : القاهرة[3] .

* التبر المنسبك في تدبير الملك : علي الأهوازي « ألّفه برسم السلطان أحمد العثماني » ، خ .

* تحرير الأحكام في تدبير أهل الاسلام : محمد السهروردي البغدادي ، خ ، ايا صوفية ، السلطان محمود ، برقم ٢٨٥٢ ـ استانبول .

* تحرير السلوك في تدبير الملوك : عليّ بن محمد الغزالي ، خ : عاشر أفندي ـ استانبول .

تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء : هلال بن المُحَسِّن الصابىء (٤٤٨هـ) ، ط : بيروت ، القاهرة .

---

(١) له ذيل بهذا الاسم : لمحب‌الدين المقدسي في أواسط المئة التاسعة للهجرة . منه نسخة في برلين .

(٢) نشر في المشرق (١٠ [بيروت ١٩٠٧] ص ٩٠٢ ـ ٩٠٨) .

(٣) راجع : عبدالرحمن بدوي : مؤلّفات الغزالي ، الرقم ٤٧ .

* تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك : قاضي القضاة نجم الدين ابراهيم بن عليّ بن محمد الطرسوسي (٧٥٨هـ) ، خ : ايا صوفية ، وعبدالله مخلص ـ القدس .

تحفة الحكّام في نقض العهود والأحكام : محمد بن محمد بن عاصم القيسي الأندلسي الغرناطي (فرغ منه سنة ٨٣٥هـ) ، ط : الجزائر .

تحفة السلطان الأعظم وهديّة الخاقان الأفخم السلطان أحمد خان ، المعروفة بـ « تحفة السلطان وهديّة أحمد خان » (مات السلطان أحمد خان سنة ١٠٢٩هـ) ، خ : . . ين ٥٦٢٦ .

* تحفة الفقير الى صاحب السرير : الشمس بن شهاب الدين الأيجي ، خ : يني جامع ـ استانبول .

* تحفة الملوك وعمدة المملوك : مجهول ، « أُلّف برسم الملك قايتباي » ، خ : ايا صوفية .

تحفة الوزراء : عبدالله بن أحمد البلخي (٣١٧هـ) ، خ : ايا صوفية .

تحفة الوزراء : الثعالبي (٤٢٩هـ) ، خ : غوطا ، راغب باشا ـ استانبول ، دار الكتب المصرية .

تذكرة ابن حمدون في السياسة والآداب الملكية . (ابن حمدون ٥٦٢هـ) ، قطعة منها ، ط[1] : القاهرة .

التذكرة الهروية في الحيل الحربية : عليّ بن أبي بكر المعروف بالسائح الهروي (٦١١هـ) ، ط : المعهد الفرنسي في دمشق .

التعريف بالمصطلح الشريف : ابن فضل الله العمري (٧٤٩هـ) ، ط : القاهرة .

تفريج الكروب في تدبير الحروب : عمر بن ابراهيم الأوسي الأنصاري ،

---

(١) هي المعروفة بـ « التذكرة في السياسة والآداب الملكية » تقع في اثني عشر مجلّداً ، موجودة كلّها في استانبول باستثناء المجلدات : الرابع والثامن والحادي عشر . ولم يطبع من هذا الكتاب الا القطعة المذكورة أعلاه . وقد عني أمدروز H. F. Amedroz بترجمة بعض قصصه في مقال له ، عنوانه « قصص في الحياة الرسمية من كتاب تذكرة ابن حمدون » . Tales of Official Life from the Tadhkira of Ibn Hamdun, (JRAS., 1908).

« ألّفه في عهد السلطان المملوكي فرج بن برقوق الذي حكم ٨٠١ - ٨١٤هـ » ، ط : القاهرة .

* تقويم السياسة : مجهول ، خ : ايا صوفية .

* تقويم السياسة الملوكية : الفارابي (٣٣٩هـ) ، خ : عليّ باشا الشهيد - استانبول .

* تنبيه الملوك وسياساتهم : مجهول ، خ : الزكية - القاهرة .

تهذيب الأخلاق : مسكويه (٤٢١هـ) ، ط : القاهرة ، بيروت .

تهذيب الداعي في اصلاح الرعية والراعي : شيت بن ابراهيم العبادي (٥٥٩هـ) ، ورد ذكره في مخطوطات برلين ٥٦٤٤[٣٧] .

تهذيب الرياسة وترتيب السياسة[١] : مجهول (نسخة مؤرّخة بسنة ٩٨٨هـ) ، خ : سوهاج ٢١٩ .

* جوامع السياسة : الفارابي (٣٣٩هـ) ، خ : خالص .

الجواهر المضية في الأحكام [في بيان الآداب] السلطانية : عبدالرؤف المناوي (١٠٣١هـ) ، خ : ليدن ١٩٤١ .

الجوهر الثمين في سيَر الملوك والسلاطين : ابن دقماق (صارم الدين ابراهيم بن محمد) (٨٠٩هـ) ، خ : دار الكتب المصرية ١٥٢٢ .

الحاوي للأعمال السلطانية ورُسُوم الحساب الديوانية : مجهول ، خ : باريس .

[كتاب] الحجبة والحجّاب : سِبْط ابن التعاويذي (٥٨٤هـ) ، ورد ذكره في مخطوطات برلين ٥٦٤٤[٤٧] .

حدايق الياسمين في ذكْر قوانين الخلفاء والسلاطين : محمد بن زين التقاة عيسى بن كنان الصالحي (١١٥٣هـ) ، خ : برلين[٢] ٥٦٣١ .

حسن السلوك في معرفة آداب الملك والملوك : أحمد بن أحمد الفيومي

---

(١) أنظر : فهرس مخطوطات جامعة الدول العربية ، ١٩٤٨ (ص ٥٥٣) .

(٢) ومنه نسخة مصوّرة في معهد المخطوطات العربية عن نسخة دار الكتب المصرية (رقم ٦٨٨٩ أدب) نقلاً عن نسخة السفرجلاني .

بلداً والغرقاوي شهرةً والمالكي مذهباً (١١٠١هـ) ، خ : برلين ٥٦٣٠ .

الدرّ النضير في آداب الوزير : الشيخ جادالله الغنيمي الفيومي الشافعي (ألّفه سنة ١١٠١هـ) ، خ : دار الكتب المصرية .

* درر السلوك في سياسة الملوك : الماوردي (٤٥٠هـ) ، خ : ايا صوفية .

الدرّة الغرّاء في نصائح الملوك والولاة والوزراء : محمود بن اسماعيل الجيزي (نحو سنة ٨٤٥هـ) ، (ألّفه لأبي سعيد جقمق ، في عشرة أبواب) ، خ : حميدية ـ استانبول ، خزانة فلايشر .

ذمّ أخلاق الكتّاب : الجاحظ (٢٥٥هـ) ، ط : القاهرة .

ذمّ زيارة الأمراء : جلال‌الدين السيوطي (٩١١هـ) ، ورد ذكره في مخطوطات برلين ٥٦٤٤[41] .

رسالة في أحكام السياسة الشرعية : ابن نجيم المصري (٩٧٠هـ) ، خ : دار الكتب المصرية ، وخالص .

* رسالة السياسة (ألّفها مؤلّفها للسلطان بايزيد العثماني) ، خ : خالص .

رسالة في السياسة الملوكية[1] : عبيدالله بن عبدالله بن طاهر بن الحسين (٣٠٠هـ) .

رسالة عبدالحميد الكاتب في نصيحة وليّ العهد : عبدالحميد الكاتب (١٣٢هـ) ، ط : دمشق ، القاهرة ، بغداد .

رُسُل الملوك ومَن يصلح للرسالة والسفارة : الحسين بن محمد المعروف بابن الفراء ، ط : القاهرة .

رُسُوم دار الخلافة : هلال بن المُحَسِّن الصابىء (٤٤٨هـ) ، « وهو هذا الكتاب » .

السجلات المستنصرية : « سجلات وتوقيعات وكُتُب للمستنصر بالله أمير المؤمنين الى دعاة اليمن » (خلافته ٤٢٧ ـ ٤٨٧هـ) ، ط : القاهرة .

---

(١) ورد ذكرها في وفيات الاعيان (١ : ٣٨٦) .

سرّ العالَمَيْن وكشف ما في الدارَيْن[1] : أبو حامد الغزالي (٥٠٥هـ) .

سراج الملوك والخلفاء ومنهاج الولاة والوزراء : الطرطوشي (٥٢٠هـ) ، ط : القاهرة .

[كتاب] السلطان من « عيون الأخبار » : عبدالله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦هـ) ، ط : القاهرة .

* سلوك دول الملوك : ابن نباته المصري (٧٦٨هـ) .

سلوك المالك في تدبير الممالك : أبو العبّاس أحمد بن محمد بن أبي الربيع ، ط : القاهرة .

السياسة : ابن سينا (٤٢٨هـ) ، ط : بيروت .

* سياسة الأمراء وولاة الجند : ابراهيم بن عبدالواحد بن أبي النور (النصف الأول من المئة الثامنة للهجرة) ، (ألّفه للمتوكل على الله الحفصي) ، خ : الاسكوريال ـ اسبانية .

* السياسة في تدبير الرياسة : أحمد اليمني ، خ : ايا صوفية .

السياسة في تدبير الرياسة ، المعروف بـ « سرّ الأسرار » : أرسطاطاليس « ألّفه لتلميذه الملك الاسكندر بن فيلبّس المعروف بـ (ذي القرنين) ، ط : بيروت ، القاهرة .

(منه نسخة خطيّة بدار كتب سوهاج ـ مصر ـ ، برقم ١٦٧ تاريخ) .

* السياسة في تدبير الرياسة والفراسة : ابن أبي الأشعث ، خ : ايا صوفية .

* سياسة جند الوزارة وحراسة حصن الصدارة : الحسن بن عبدالكريم البرزنجي (١١٢٥هـ) ، خ : علي باشا الشهيد ـ استانبول .

* سياسة الحروب والملك : مجهول « مترجَم عن رسالة أرسطو للاسكندر » ، خ : ايا صوفية .

---

(١) راجع : عبدالرحمن بدوي : مؤلّفات الغزالي ، الرقم : ٦٧ و٩١ .

* سياسة الدنيا والدين : سعيد بن اسماعيل اقرائي ، خ : ايا صوفية .
* السياسة الشرعيه في أحكام السلطان على الرعيّة : شيخ طوغان المصري ، خ : الفاتح .
السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية : أحمد بن تيمية (٧٢٨هـ) ، ط : القاهرة .
* السياسة الشرعية وأنواعها : المولى دده أفندي البرسوي (٩٧٣هـ) ، خ ، ايا صوفية .
* السياسة العادلة والولاية الصالحة : أحمد بن تيمية (٧٢٨هـ) ، خ : خالص .
* سياسة القُواد : مجهول ، خ : الجامعة الأميركية ـ بيروت .
سياسة الملك : الماوردي (٤٥٠هـ) ، خ .
* سياسة الملوك : مجهول « مؤلّف برسم الملك الأشرف » خ : خالص .
* سياسة الملوك لنظام الملك : مجهول ، خ : خالص .
السِّياسيّات : أرسْطو (٣٢٢ ق٠م٠) ، ط : بيروت « الترجمة العربية عن الأصل اليوناني » .
السير والسلوك الى مَلك الملوك : قاسم بن صلاح الدين الخاني الحلبي ، « فرغ من كتابته سنة ١١٠٢هـ » ، ط : القاهرة ، فاس .
سِيَر الملوك[1] : ابن المقفّع (١٤٢هـ) ، خ .
سِيَر الملوك[2] : بَهْرام بن مرداشاه مَوْبَذ ، خ .
سِيَر الملوك[3] : محمد بن الجَهْم البرمكي ، خ .
سِيَر الملوك[4] : هشام بن القاسم ، خ .
شروط الامامة وسياسة المملكة ، خ : برلين ٥٦٣٥ .
صبح الأعشى : القلقشندي (٨٢١هـ) ، ط : القاهرة .
ضوء الصبح المسفر : القلقشندي (٨٢١هـ) ، ط : القاهرة .

---

(١) و (٢) و (٣) و (٤) ورد ذكرها في الآثار الباقية للبيروني (ص ٩٩) .

* الطرق الحُكمية في السياسة الشرعية : ابن قيّم الجوزيّة (٧٥١هـ) ، ط : القاهرة .
* طريق السلوك في سياسة الملوك : مجهول ، خ : الفاتح ـ استانبول .
* عدّة السالك في سياسة الممالك : حسين بن محمد المحبّي ، خ : خالص .
العقد الفريد : ابن عبد ربّه (٣٢٧هـ) ، ط : بولاق ، القاهرة .
العقد الفريد للملك السعيد : ابن طلحة القرشي (٦٥٢هـ) ، ط : القاهرة .
العقد المسلوك فيما يلزم جليس الملوك : محمد بن منكلي المصري ، ورد ذكره في مخطوطات برلين ٥٦٤٤(٤٢) .
* علم السياسة : فخرالدين الرازي (٦٠٦هـ) ، خ : خالص .
العمدة في أصول السياسة : موفّق الدين عبداللطيف البغدادي (٦٢٩هـ) ، ورد ذكره في مخطوطات برلين ٥٦٤٤(١٠) .
عمدة السالك في سياسة الممالك : أبو يوسف يعقوب بن صابر بن بركات المنجنيقي نجم الدين الشاعر(١) (٦٢٦هـ) ، ورد ذكره في مخطوطات برلين ٥٦٤٤(٩) .
* عمدة الملوك وتحفة المملوك : محمد القصروي ، خ : ايا صوفية .
العهود اليونانية (المستَخرَجة من رموز كتاب « السياسة » لأفلاطن ، وما انضاف اليه) : ابن الداية (٣٤٠هـ) ، ط : القاهرة .
عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة : ابن هذيل (المئة الثامنة للهجرة) ، ط : القاهرة .
الغرّة والبشارة في فضل السلطنة والوزارة : مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي (١٠٣٣هـ) ، ورد ذكره في مخطوطات برلين ٥٦٤٤(٣٢) .
فَتْح المَلِك العليم المنّان على المَلِك المظفّر سليمان :
محمد بن محمد بن سلطان الدمشقي الحنفي (٩٦٠هـ) ،
« وَجَّهه الى السلطان سليمان ، والى أبي السلطان سليم ، بالنصائح

(١) وردت ترجمته مع التعريف بهذا الكتاب ، في وفيات الأعيان (٢ : ٥٠٠ ـ ٥٠٧) .

ونحوها » ، خ : برلين ٥٦٢٢ .

الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية : ابن الطِقْطقى ، (أَلَّفه سنة ٧٠١هـ بالموصل) ، ط : أوربة ، مصر .

فَصْل الخطاب فيما للحجبة مِن الآداب : شافع بن عليّ العسقلاني (٧٣٠هـ) ، ورد ذكره في مخطوطات برلين ٥٦٤٤[٤٩] .

فَصْل المقال في هدايا العُمّال : تقي‌الدين السبكي (٧٥٦هـ) ، ورد ذكره في مخطوطات برلين ٥٦٤٤[٥٠] .

فضائل الوزراء وخصائل الأمراء : مجهول ، خ : أيا صوفية ٢٨٩٣ .

قابوسنامَه (أنظر كتاب « النصيحة ») .

قانون ديوان الرسائل : ابن الصيرفي (٥٤٢هـ) ، ط : القاهرة .

قانون السياسة ودستور الرياسة : مجهول « أُلِّف لخزانة كتب السلطان شاه شجاع » ، خ : منه نسخة خطّيّة في خزانتنا منقولة عن نسخة قديمة .

قانون الوزارة : الماوردي (أنظر : أُدَب الوزير) .

القسم الضائع من كتاب الوزراء والكُتّاب للجهشياري : الجهشياري (٣٣١هـ) ، ط : دمشق « مجلة المجمع العلمي العربي سنة ١٩٤٣ » .

* قواعد الاحكام في اصلاح الأنام : عزّ‌الدين عبدالعزيز السلمي ، خ .

قوانين الدواوين : ابن ممّاتي (٦٠٦هـ) ، ط : القاهرة .

كتاب تنسر « أقدم نصّ عن النُظُم الفارسية قبل الاسلام » ، (نقله الى العربية يحيى الخشّاب) ، ط : القاهرة .

كتاب في السياسة : الوزير المغربي (٤١٨هـ) ، ط : دمشق .

كتاب الملك المصلح والوزير المعين : طيفور (٢٨٠هـ) .

كتاب النصيحة المعروف باسم « قابوسنامَه » : عنصر المعالي . تعريب : محمد صادق نشأت ودكتور أمين عبدالمجيد بدوي ، ط : القاهرة .

كتاب الوزارة ومقامة السياسة : لسان‌الدين بن الخطيب (٧٧٦هـ) .

كليلة ودمنة « نقله الى العربية : ابن المقفّع – ١٤٢هـ » ، ط : في مواطن كثيرة .

كنز الملوك في كيفية السلوك : سِبْط ابن الجوزي (٦٥٤هـ) ،
خ : منه نسخة خطّية في خزانتنا – بغداد .

* كوكب الترك وموكب الملك[١] : مجهول ، خ : غوطا .

* لطائف الأفكار وكاشف الأسرار : الحسين بن حسن السمرقندي ،
(ألّفه للوزير ابراهيم باشا ، سنة ٩٣٦هـ) ، خ : ڤينة ٨٨٥ .

* اللطائف العلانية في نصائح الملوك : أحمد بن أسعد عثماني الزنجاني ،
خ : عاشر أفندي – استانبول .

لطائف المعارف : الثعالبي (٤٢٩هـ) ، ط : ليدن ، القاهرة .

لطف التدبير في سياسة الملوك : الخطيب الاسكافي (٤٢١هـ) ،
خ : عاشر افندي ، طوب قپو . ومنه نسخة في خزانة الأستاذ قاسم محمد الرجب – بغداد .

لُمَع القوانين المُضِيَّة في دواوين الديار المصرية : عثمان بن ابراهيم النابلسي ، ط : المعهد الفرنسي في دمشق .

* اللؤلؤ المنثور في نصيحة ولاة الأمور : نورالدين القرافي ،
خ : خزانة الأستاذ عبدالقادر المغربي في دمشق .

ما رواه الأساطين في عدم الدخول على السلاطين : جلال‌الدين السيوطي (٩١١هـ) ، ورد ذكره في مخطوطات برلين ٥٦٤٤[٣٩] .

مجموعة الوثائق السياسية (جمعها محمد حميدالله الحيدرآبادي) ،
ط : القاهرة .

محاسن الملوك[٢] [وما يجب أن يتبع في خدمتهم من الآداب] : « كتبه أحد أدباء المئة الثامنة للهجرة لبرقوق أحد سلاطين المماليك في مصر » ،
خ : طوب قپو ، ٢٦٣ و ٣٠٥٢ – استانبول ، الزكية – القاهرة .

---

(١) في تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان (٣ : ٢٨١) : كوكب الملك وموكب الترك .

(٢) لأحمد زكي باشا ، تعريف وافٍ بهذا الكتاب ، اثبته في آخر كتاب « التاج » للجاحظ (ص ٢٢٧ – ٢٣٢) .

مختار الحِكَم ومحاسن الكلم : المُبَشِّر بن فاتك (٤٨٠هـ) ، ط : مدريد .

مختصر ارشاد المغفّلين : عبدالوهاب الشعراني (٩٧٣هـ) ، خ : برلين ٥٦٢٥ .

مدح التجّار وذمّ عمل السلطان : الجاحظ (٢٥٥هـ) ، ط : القاهرة .

مرآة المروءات : الثعالبي (٤٢٩هـ) ، ط : القاهرة .

المُسْتَطْرَف : الأبشيهي (بعد ٨٥٠هـ) ، ط : القاهرة .

المُسْتَطْرَف مِن الآداب والحِكَم المأثورة « منتخب من كتب عديدة ، منها : العقد الفريد لابن عبد ربّه ، وأدب الدنيا والدين للماوردي ، والمستطرف للأبشيهي ... » ، ط : القاهرة .

* مسلك السلاطين : الشيخ يحيى الآيديني (برسم السلطان مراد الثالث العثماني) ، خ : خالص .

مصابيح أرباب الرياسة ومفاتيح أبواب الكياسة : ابراهيم بن يوسف ابن الحنبلي (٩٥٩هـ) ، ورد ذكره في مخطوطات برلين ٥٦٤٤[١٧] .

معيد النعم ومبيد النقم : السبكي (٧٧١هـ) ، ط : القاهرة .

مفاتيح العلوم : الخوارزمي (٣٨٧هـ) ، ط : ليدن ، القاهرة .

مفتاح السعادة في قواعد السيادة : الخوجه فخرالدين سلفر ، خ : ايا صوفية .

مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية : ظهيرالدين الكازروني (٦٩٧هـ) . ط : بغداد .

مقدّمة ابن خلدون : ابن خلدون (٨٠٨هـ) ، ط : أوربة ، مصر ، بيروت .

* المقدّمة السلطانية في السياسة الشرعية : توغان المحمدي الأشرفي (صاحب البرهان في فضل السلطان) ، خ : دار الكتب المصرية ، برلين .

مكارم الأخلاق : الثعالبي (٤٢٩هـ) ، ط : بيروت (المشرق ، سنة ١٩٠٠ ، ص ٢٨ – ٣١) .

مكارم الأخلاق : رضي‌الدين أبو نصر حسن بن الفضل الطبرسي ، ط : بولاق ، القاهرة ، طهران •

مكارم الأخلاق ومعانيها ومحمود طرائقها ومرضيها : الخرائطي (٣٢٧هـ) ، ط : القاهرة •

المكافأة وحسن العقبى : ابن الداية (٣٤٠هـ) ، ط : القاهرة •

مناقب الترك وعامة جند الخلافة : الجاحظ (٢٥٥هـ) ، ط : القاهرة •

* منهاج السلوك في سيرة الملوك : توغان المحمدي الأشرفي (صاحب البرهان في فضل السلطان) ، خ : أيا صوفية •

* منهاج الملوك والسلاطين ومفتاح سعادة الدنيا والدين : ابن ياقوت ، خ : الفاتح •

منهاج الوزراء في النصيحة : أحمد بن محمود الجيلي[1] (المعروف بـ « الأصفهبذي ») ، كتبه سنة ٧٢٩هـ ، خ : ايا صوفية •

منهج السلوك الى نصيحة الملوك : أحمد بن عبدالمنعم بن يوسف الدمنهوري (١١٩٢هـ) ، خ : ورد ذكره في مخطوطات برلين ٥٦٤٤[٣٤] •

المنهج المسلوك في سياسة الملوك ، أبو الفضائل عبدالرحمن بن عبدالله بن نَصْر بن عبدالله : (المئة السادسة للهجرة) ، ألّفه لصلاح‌الدين الأيوبي ، المتوفّى سنة ٥٨٩هـ ، ط : القاهرة •

مواعظ الملوك والخلفاء والأمراء والوزراء : أبو الحجّاج يوسف بن محمد البلوي المعروف بابن الشيخ ، صاحب كتاب ألف با (٦٠٤هـ) ، خ : عليّ باشا ٣٦١ ـ استانبول •

* ميزان الملوك : جعفر بن اسحاق ، خ : أسعد أفندي ـ استانبول •

النصائح المهمة للملوك والأئمة : علوان بن عليّ بن عطية الحموي الشافعي (٩٣٦هـ) ، خ : خالص •

* النصيحة العامّة لملوك الاسلام والعامّة : مجهول ، خ : الجامعة الأميركية ـ بيروت •

---

(١) في تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان (٣ : ٢٧٩) : الجبلي •

* نصيحة الملوك : الماوردي (٤٥٠هـ) ، خ : باريس .
* نصيحة الملوك والأمراء والوزراء : الغزالي (٥٠٥هـ) ، خ : الجامعة الأميركية – بيروت .
نَظْم ما رواه الأساطين في عدم الدخول على السلاطين : نجم‌الدين محمد الغزّي (١٠٦١هـ) ، ورد ذكره في مخطوطات برلين ٥٦٤٤[٤٠] .
نفائس العناصر لمجالس الملك الناصر : محمد بن طلحة النصيبي (٦٥٢هـ) ، ورد ذكره في مخطوطات برلين ٥٦٤٤[٤١] .
* النفع الغزير في صلاح السلطان والوزير : أحمد بن عبدالمنعم بن يوسف الدمنهوري (١١٩٢هـ) ، خ : أسعد أفندي – استانبول .
النُكَت العَصْرِيَّة في أخبار الوزراء المصرية : عُمارة اليَمَنيّ (٥٦٩هـ) ، ط : باريس .
* هدية العبد القاصر الى السلطان الملك الناصر (محمد بن الملك الأشرف قايتباي) : عبدالصمد بن يحيى بن أحمد الصالحي ، خ : (في مئة صفحة) : الزكية – القاهرة .
* واسطة السلوك في سياسة الملوك : السلطان موسى بن يوسف أبو حمو[١] بن زيان العبد وادي أمير الجزائر (مَلَكَ من سنة ٧٥٣ الى ٧٨٨هـ) ، ط : الجزائر ، تونس ، استانبول .
[كتاب] الوزراء : الصاحب بن عبّاد (٣٨٥هـ) ، ورد ذكره في مخطوطات برلين ٥٦٤٤[٤٤] .
وصايا ملوك العرب – في الجاهلية – : يحيى بن الوشاء ، ط : بغداد .
الوزراء والكُتّاب : الجهشياري (٣٣١هـ) ، ط : أوربة ، القاهرة .
[كتاب] الوزراء : عليّ بن هبةالله المعروف بابن ماكولا (٤٧٥هـ) .
* الوظائف المعزّية في السياسة الشرعية والمناقب المعزّية في اصلاح الراعي والرعية : خضر بن أبي بكر بن أحمد (صنعه للسلطان خليل بن قلاوون) ، خ : الزكية .

---

(١) في معجم المطبوعات (ص ١١٣) : « أبو حم » .

ثانياً ـ التآليف الحديثة :

آثار الحرب في الفقه الاسلامي : الدكتور وهبة الزحيلي ، ط : دمشق .

آداب الحرب في الاسلام : محمد الخضر حسين ، ط : القاهرة .

الأبحاث السامية في المحاكم الاسلامية : سيدي محمد المرير ، ط . تطوان .

الادارة الاسلامية في عز العرب : محمد كرد علي ، ط : القاهرة .

أسرار الشريعة الاسلامية : ابراهيم علي ، ط : القاهرة .

الاسلام وأصول الحكم : علي عبدالرازق ، ط : القاهرة .

الاسلام والحضارة العربية : محمد كرد علي ، ط : القاهرة .

الاسلام والسياسة : الشيخ محمد حسن آل ياسين ، ط : بغداد .

الاسلام والعلاقات الدولية : محمد شلتوت ، ط : القاهرة .

* أصول الحكم في نظام العالم : حسن كافي الأقحصاري البوسنوي ، ط : باللغتين التركية والعربية .

أصول السياسة وقواعد الرياسة : محمد أحمد برانق ومحمود رزق سليم ، ط : القاهرة .

الأعلام وشارات الملك في وادي النيل : الدكتور عبدالرحمن زكي ، ط : القاهرة .

* أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك : خيرالدين التونسي (١٨٩٠م) ، ط : تونس .

الألقاب الاسلامية : الدكتور حسن الباشا ، ط : القاهرة .

تاريخ التمدن الاسلامي : جرجي زيدان (١٩١٤م) ، ط : القاهرة .

تاريخ الحضارة الاسلامية : ف. بارتولد (نقله من التركية الى اللغة العربية : حمزة طاهر) ، ط : القاهرة .

التأليف في أخبار الوزراء (ق) : (الزهراء ١ [القاهرة ١٣٤٣هـ] ، ص ٢٣٢) .

التراتيب الادارية : الكتاني ، ط : الرباط .

تقاليد الفروسية عند العرب : واصف بطرس غالي ، ط : القاهرة .

الجزية والاسلام : دانيل دينيت (ترجمة الدكتور فوزي فهيم جادالله) ، ط : بيروت .

حضـارة الاسلام : جوستاف جرونيام (ترجمة عبدالعـزيز توفيـق جاويد) ، ط : القاهرة .
حضارة الاسلام في دار السلام : جميل نخلة المدوّر ، ط : القاهرة .
الحضارة الاسلامية : خُودا بخش . ترجمه وعلّق عليه الدكتور عليّ حسني الخربوطلي (القاهرة ١٩٦٠) .
الحضارة الاسلامية ومدى تأثيرها بالمؤثرات الأجنبية : فون كريمر ، (ترجمة الدكتور مصطفى طه بدر) ، ط : القاهرة .
الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري : آدم متز (ترجمة محمد عبدالهادي أبو ريدة) ، ط : القاهرة .
حضارة العرب : جوستاف لوبون (ترجمة عادل زعيتر) ، ط : القاهرة .
حضارة العرب في العصور الاسلامية الزاهرة : الدكتور مصطفى الرافعي ، ط : بيروت .
الحضارة العربية : ي. هـِل (ترجمة الدكتور ابراهيم أحمد العدوي) ، ط : القاهرة .
الدبلوماسية العراقية والاتحاد العربي : جلال الأورفه‌لي ، ط : بغداد .
الدبلوماسية في النظرية والتطبيق : الدكتور فاضل محمد زكي ، ط : بغداد .
الراعي والرعية : توفيق الفكيكي ، ط : بغداد .
السفارات الاسلامية الى أوربة في العصور الوسطى : الدكتور ابراهيم أحمد العدوي ، ط : القاهرة .
السياسة الاسلامية في عهد الخلفاء الراشدين : عبدالمتعال الصعيدي ، ط : القاهرة .
السياسة الشرعية أو نظام الدولة الاسلامية : عبدالوهاب خلاف ، ط : القاهرة .
السياسة المالية في الاسلام : عبدالكريم الخطيب ، ط : القاهرة .
شريعة الحرب في الاسلام : الرئيس محمد المَحَمرَّاوي ، ط : دمشق .

الصلات الدبلوماطيقية بين هرون الرشيد وشارلمان : الدكتور مجيد خدّوري ، ط : بغداد .
العزّ والصولة في معالم نُظُم الدولة : عبدالرحمن بن زيدان ، ط : المغرب .
العقيدة والشريعة في الاسلام : جولدزيهر (ترجمة الدكتور محمد يوسف موسى وآخرين) ، ط : القاهرة .
العلاقات الدولية في الحروب الاسلامية : علي قراعة ، ط : القاهرة .
غرائب النُظُم والتقاليد والعادات : الدكتور علي عبدالواحد وافي ، ط : القاهرة .
فلسفة التشريع في الاسلام : صبحي المحمصاني ، ط : بيروت .
المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك : الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور ، ط : القاهرة .
الميزانية الأولى في الاسلام : الدكتور بدوي عبداللطيف ، ط : القاهرة .
نظام الاسلام : منصور علي رجب ، ط : القاهرة .
نظام الحكم والادارة في الاسلام : محمد المهدي شمس‌الدين ، ط : بيروت .
نظام الحكم في الاسلام : تقي‌الدين النبهاني ، ط : بيروت .
نظام الحكم في الاسلام : صادق ابراهيم عرجون ، ط : القاهرة .
نظام الحكم في الاسلام : الدكتور محمد يوسف موسى ، ط : القاهرة .
نظام الحياة في الاسلام : أبو عليّ المودودي ، ط : القاهرة .
نظرية الاسلام السياسية : المودودي ، ط : الباكستان .
النُظُم الاجتماعية والسياسية عند قدماء العرب والأمم السامية : محمد محمود جمعة ، ط : القاهرة .
النُظُم الاسلامية : الدكتور حسن ابراهيم حسن والدكتور عليّ ابراهيم حسن ، ط : القاهرة .
النُظُم الاسلامية : الدكتور عبدالعزيز الدوري ، ط : بغداد .

النُظُم الاسلامية : م. غود فروا ديمومبين (المستشرق الفرنسي) ، (نقله الى العربية : الدكتور فيصل السامر والدكتور صالح الشمّاع) ، ط : بغداد ، بيروت .

نُظُم الحرب في الاسلام : جمال عياد ، ط : القاهرة .

النُظُم الدبلوماسية : الدكتور عزّالدين فوده ، ط : القاهرة .

نُظُم الفاطميين ورسومهم في مصر : الدكتور عبدالمنعم ماجد ، ط : القاهرة .

* * *

وهنالك تآليف قديمة جمّة ، يجد المطالع في تضاعيفها أقوالاً تتعلّق بالرُسُوم والآداب والسياسة والادارة والشرائع والنُظْم والعادات والنصائح ومكارم الأخلاق وحُسن السلوك ونحوها ، من ذلك : الكتب الباحثة في الخراج والمال والتجارة والحسبة والقضاء والفتوّة والحرب .

ويتعذّر علينا الاحاطة بمثل هذه التصانيف ، فهي من الكثرة بحيث لا تتسع لذكرها هذه النبذة . ونقتصر على ذكر شيءٍ منها :

احياء علوم الدين : للغزالي (٥٠٥هـ) .

نهاية الأرب : للنويري (٧٣٢هـ) .

النجوم الزاهرة : لابن تغري بردي (٨٧٤هـ) .

خطط المقريزي : للمقريزي (٨٤٥هـ) .

زهر الآداب : للحصري القيرواني (٤٥٣هـ) .

المقابسات
الصداقة والصديق | : لأبي حيّان التوحيدي (٤٠٠هـ) .

طراز المجالس : للخفاجي (١٠٦٩هـ) .

المحاسن والمساوىء : للبيهقي (نبغ في خلافة المقتدر ٢٩٥ ـ ٣٢٠هـ) .

التشبيهات : لابن أبي عون .

٩ ـ شكر وثناء واعتراف بالفضل :

لا يسعني وأنا أنشر هذا الكتاب ، الا أن أشيد بفضل من أعانني على تحقيقه ، وهم أجلّة من العلماء الأفاضل ، يتصدّرهم المغفور له الأب أنستاس ماري الكرملي ، فهو الذي حفّزني على تحقيقه واخراجه للناس • وقد سبق لي تفصيل ذلك في كلمة « التمهيد » •

ثمّ انّي أتقدّم بالشكر والثناء الى أخي كوركيس عوّاد ، فقد أعانني في جميع مراحل اخراج الكتاب : من تحقيق وتصحيح وتعليق ومراجعة وفهرسة وغير ذلك •

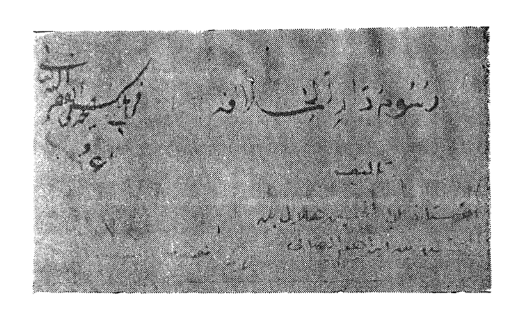
وممّن يطيب لي شكره صديقي الأستاذ المحقق الدكتور مصطفى جواد ، فقد طالع النسخة التي نقلها الأب أنستاس ، وعلّق عليها تعليقات مفيدة ، اقتبستُ منها ما اقتبستُ وقرنته باسمه الكريم ، اعترافاً منّي بفضله وأدبه •

وقد أضاف فضلاً الى فضله ، حين زوّدني بترجمة هلال الصابىء منقولةً من « مرآة الزمان » لسِبْط ابن الجوزي (نسخة باريس) •

وممّن ينبغي لي شكره ، صديقي الأستاذ المحقق السيد مكي جاسم ، فقد كشف عن طائفة من الكلمات التي أشكلت عليّ قراءتها •

وأختتم بالتقدير والشكر لصديقي الباحث الأستاذ ناجي معروف ، فقد كان له الفضل الأول في العثور على مخطوطة هذا الكتاب ، ومعه الأستاذ الآثاري حسن عبدالوهاب • وقد نوهتُ بهذا الفضل في كلمة « التمهيد » •

بغداد — ميخائيل عوّاد



رسوم دار الخلافه

يظهر انّ أولى أوراق المخطوطة وفيها عنوان الـكتاب وصدر المقدّمة قـد سقطت ، فاستعيض عنها بهذه الورقة والورقة التي تليها وكتبتا في زمنٍ متأخر ٠

بسم الله الرحمن الرحيم عونك اللهم

الحمد لله الذي به ترتبط النعم وتستبق [illegible]

الرحمة وتسترعى وتؤدى الحقوق وتقضى وتبتدى الايدى [illegible]

والصلاة على محمد رسوله باخلاص من السرائر واستغراق

الاجتهاد في الابتهال والدعا للموقف الاعظم النبوي والمقام

الطاهر الزكي باطالة البقا وادامة العلا واكبار القدر

واعزاز النصر وحراسة الحوزة وحياطة الدعوة وتثبيت الوطأة

وتوطيد الدولة فما زالت الصنائع معقودة على اولي المعروف من

الصنائع مجلوبة الى ذوي الرغبة فيها واعلاق الحسنة مرفوعة

الى كفاتها وخطابها وموقوفة على ارباب [illegible]

[illegible]

استعمل الناسخ في كتابة الاعداد ، كتابة ديوانية في منتهى الغرابة ، حتى ليظن القارىء ان بعضها بخط غير الخط العربي .

الصفحة الأخيرة من المخطوطة

رُسوم دار الخلافة

تأليف

أبي الحسين هلال بن المُحسِّن الصابئ

(٣٥٩ - ٤٤٨هـ)

المتن - التعليق

*

[٢]

بسم الله الرحمن الرحيم

عونك اللهمّ

بعد حمد الله الذي به تُرعَى النعمة وتُستبقَى ، وتُبغَى الرحمة وتُستدعَى ، ويُؤدَّى الحقّ ويُقضَى ، ويُمتَرى المزيد ويُستقضَى . والصلاة على محمد رسوله باخلاص من السرائر ، واستغراق الاجتهاد في الابتهال . والدعاء للموقف الأعظم النبويّ ، والمقام الأَطهر الزكيّ ، باطالة البقاء ، وادامة العلاء ، واكبار القدر ، واعزاز النصر ، وحراسة الحوزة ، وحياطة الدعوة ، وتثبيت الوطأة ، وتوطيد الدولة . فما زالت الصنائع معروضة على أولي المعروف[١] بها ، والبضائع مجلوبة الى ذوي الرغبة فيها ، وأعلاق المَضنّة مزفوفة الى أكفائها وخُطّابها ، وموقوفة على أوليائها من طلاّبها ، واذا كان كذلك ، فالعلوم[٢] أعلى البضائع[٣] [٣] قدراً ، وأوفى البضائع ربحاً ، وأقوى الذرائع حبلاً ، وأوضح المسالك سبلاً ، وأعلق الأسباب بالقلوب ، وأوسع الأبواب الى القبول . بذلك حكَم العقل ، وجرى العُرف ، ووقع الاجماع ، وزال الخلف . ولمّا تأمّلتُ أهل الزمان ممّن رمقتْه العيون بنواظرها ، وعلقته الظنون بخواطرها ، وقدّمتْه المآثر بتكاثرها ، وميّزتْه المفاخر بتكاملها ، ووجدتُ سيّدنا ومولانا الامام القائم بأمر الله[٤] لا زال جَدُّه صاعداً ، وسعْده طالعاً ، وعزّه راهناً ،

---

* الأرقام المحصورة بين المضادتين [ ] تشير الى بدء الصفحة في المخطوط .

(١) لعلّ الأصل : المعرفة .

(٢) خ : فالمعلوم انّ .

(٣) لعلّ الأنسب في هذا المقام : الصنائع .

(٤) هو الخليفة العبّاسي السابع والعشرون . تولّى الخلافة في بغداد من سنة ٤٢٢هـ (١٠٣١م) الى أن توفّي سنة ٤٦٧هـ (١٠٧٥م) .

وسلطانه قاهراً ، الامامَ المقدَّم ، غير مدافَع ، وخليفة الله المعظَّم غير منازع ، وأجلّ من رام أمداً فملكه ، ورَمَى غرضاً فأدركه ، وجرى لبلوغ غاية فحازها ، وسعى لاحراز نهاية فجازها ، وصار بذلك أولى مَن نَصَّت عليه الرجال بالتفضيل ، ونُصَّت اليه الرِّحال بالتأميل ، وأثنى عليه المُثْنُون فعجزوا عن تحديد صفته [٤] وقرَّظه المقرِّظون ، فقصّروا عن تحصيل حقيقته . وما كان الله ليجعل رسالاته الاّ بحيث هو أعرف وأعلم ، ويُولي نعمته الاّ من كان بها أنهض وأقوم ، ويؤتي خلافته الاّ من كان عليها أقوى وأقدر ، ويعطي[1] كرامته الاّ من كان بها أحرى وأجدر ، ليُعْلَم انّ أفعاله تبارك اسمه ، واقعة على العدل والصحّة ، وجارية على الحكمة والمصلحة . وانّ من أثبت ذلك قاعدة على التدبّر ، وأفضله عائدة على التبيّن ، أن جعل استكفاءَه من استكفاه من عُرض بريّته ، واصطفاءه من اصطفاه من بيت نبوّته ، أُولي النُهى والحِجَى ، وذوي الدين والتُقَى ، لتكون الحياة باختيارهم مقرونة ، والسّيرة لمكانهم مأمونة ، والاستقامة بتدبيرهم وعلى أيديهم موجودة ، والسلامة في مبادئهم وعواقبهم مرجوّة ، والدِّين بمحافظتهم [٥] محوطا ، والأمر بملاحظتهم مضبوطاً . فالحمد لله على أن جمع للحضرة المقدّسة ، لا زالت بالنصر مكنوفة ، وبعين الله مكلوءة . شرف القديم والحديث ، وكرم التليد والطريف ، حتى اتّصلت الأواخر بالمبادي ، واطردت الاعجاز على الهَوادي[2] ، وطابت الأصول والفصول ، وزكت العروق والفروع . « فانّ امرءاً كان من شجرة النبوّة منزعه ، وفي بحبوحة الامامة متربّعه ، ومن أسرة النبوّة مخرجه ، وفي بيت الخلافة مدرجه ، لحقيق أن يكون خليفة لله ، طاهراً نقيّاً وأميناً على دينه ، برّاً تقيّاً وراعياً لخلقه ، مخلصاً ناصحاً وقائماً بحقّه ، مستقلاً ناهضاً وملجأً للعائذين ، دافعاً حافظاً وموئلاً للائذين ، مانعاً عاصماً . وخليق أن يكون لرضى الله حائزاً ، وبالزُلْفَى لديه فائزاً ، وبالنُعْمَى

---

(١) خ : أو يعطي . والوجه ما أثبتنا .

(٢) الهوادي : الأعناق . مفردها الهادي .

منه مغموراً ، وبالحُسنَى مشمولاً »[١] ، وأن تكون الموهبة [٦] منه كاملة ، وبنزول الرحمة كافلة ، والصّدور بموالاته مترعة ، والألسن بالثناء عليه مجتمعة ، والأيدي بالدعاء له مرتفعة ، والله يجيب فيه أفضل ذلك مستمعاً ومقبولاً ، وأخلصه معتقداً ومَقولاً ، ويحرس على الدين والدنيا محاسنه الزاهرة ومناقبه الباهرة ، وما مدّه عليهما من ظلّ دولته ، وأجراه لهما من بركات ايالته ، « حتى يملأ الخافقين عدلاً شائعاً ، كما ملأهما فضلاً بارعاً ، ويعمّ المشرقين فعلاً جميلاً ، كما عمّهما طولاً جزيلاً »[٢] ، انّه على ما يشاء قدير ، وبحسن الاجابة جدير •

ولمّا كانت الخلافة من النبوّة ، وكان لها من جلالة القدر ، وفخامة الأمر ، أعلاهـا مراقب ، وأشرفها مراتب ، ومِن أُسّ الأعمال وقوانين الأفعال ، أوضحها معالم ، وأثبتها دعائم ، ومِن شروط المكاتبات ، ورسوم الترتيبات ، أحسنها طرائق ، وأحكمها وثائق ، ومن حقوق الخدمة وحدود الحشمة [٧] أَوْلاها بأُولي العقل والمِسكة ، وذوي الحزم والحُنكة ، وأحراها بأن يُتداول ويُتفاوض ويُتناقل ليكون تذكرةً للناسي وتبصرةً للناشي ، وطريقاً الى معرفة ما عظّمه الله من شأن الدعوة الهاشمية ، وأعزّه من سلطان الامامة العبّاسية • فوجدتُ أكثر ذلك قد دَرَس بتقادم عهوده ، وتغيّر وضوعه ، وليس كلّ مَن مَرّ على عهد اختار أخباره ، أو أمرٍ شاهده فآلِفه ، ووجدتني قد سمعتُ مِن ابراهيم[٣] بن هلال جدّي فيه ، ما لم يكن بقي في وقته مَن يشاركه « في كثير من علمِه ، وعِلَل ما وقع الاصطلاح

---

(١) ما بين القويسين « » ورد في « سلوك المالك في تدبير الممالك » ص ١٤ باختلاف يسير •

(٢) ما بين القويسين « » ورد في « سلوك المالك » ص ١٤ •

(٣) مرّ الكلام عليه ، في أثناء ترجمة « هلال الصابئ » مؤلّف هذا الكتاب •

عليه منه ، ولا بقي الآن مَن يشاركني »[1] في اسناده وروايته عنه ، وخفْتُ أن تلحق هذه البقيّة بتلك المواضي المنسيّة ، ورأيتُ حقوق النعمة التي غمرتني[2] وغمرت أسلافي للدولة العبّاسية ، ثبّتَ الله أركانها « تقتضي العناية بها أن أنشر »[3] أعلام سُننها القديمة ، وأُوضح آثار سِيَرها [٨] القويمة ، جمعتُ من ذلك ما ضبطتُه بالتأليف ، وحفظتُه بالتصنيف ، وجعلتُه من القُرُبات التي أُراعي الفرص فيها ، وأُحافظ على ما وفّر الحظّ منها ، وأرجو أن يقع الخادم ممّا اعتمد وفعل ، الموقع الذي لحظيّه بما رجا وأمّل • وبالله التوفيق •

وسأورد ما أُورده أبواباً ، أبيّن فيها ما كانت الأمور جاريةً عليه ، وما تأدّت وآلت على الأيام اليه ، ليعرف من ذلك السالف والآنف والمُتّبع والمُبتَدَع •

---

(١) ما بين القويسين « » مثبت في هامش المخطوط •

(٢) و (٣) عملت الأرضة في هذه الصفحة ، ولاسيما في هذين الموطنين •

وأبدأ بذِكْر أحوال الدار العزيزة[١]

كانت داراً[٢] عظيمة السعة ، وعلى أضعاف ما هي عليه الآن من هذه البقيّة الرائعة ، ودليل ذلك أنّها كانت متّصلة بالحَيْر[٣] والثُرَيّا[٤] ، ومسافة ما بينهما اليوم بعيدة ، وانمّا انفصلا عنها [٩] وطال مَداهما منها ، بما أتى عليه الحريق والهدم من الدُور والمنازل والبنيان والعمران في الفتنة عند خَلْع[٥] المقتدر بالله صلوات الله عليه ، وعَوْده ، والقبْض على القاهر بالله[٦] ، وقَتْل المكنّى أبا الهَيْجاء[٧] بن حمدان ، وما بعدها من الفتن المترادفة بالأيدي المتخالفة ، فانّ ذلك استهلك الشطر الأكبر منها . ومِن بعض أمورها ، أن كان فيها مزارع وأكَرَة[٨] ، وعَوامِل[٩]

(١) يريد بها « دار الخلافة العباسية ببغداد » .

(٢) خ : دار .

(٣) الحَيْر : البستان الذي يجعل فيه أنواع الحيوان . يسمّى بالفرنسية Jardin Zoologique وبالانكليزية Zoo . قال الخطيب البغدادي (المقدّمة الخططية ، ص ٤٧ ــ ٤٨ ، ٥٣) : « وكان الميدان والثُرَيّا وحَيْر الوحش متصلاً بالدار [يعني دار الخلافة] ، ... وكان فيه من أصناف الوحش قطعان تقرب من الناس وتتشمّمهم وتأكل من أيديهم » .

(٤) قصر كبير بناه المعتضد بالله في بغداد الشرقية . عفى أثره في سنة ٤٦٦هـ (١٠٧٣م) . راجع (معجم البلدان ، مادة : الثريّا) .

(٥) خلع المقتدر بالله سنة ٢٩٦هـ (٩٠٨م) ، ثمّ أعيد الى الخلافة . وخلع ثانية سنة ٣١٧هـ (٩٢٩م) ، وأعيد مرة أخرى .

(٦) خلع سنة ٣١٧هـ (٩٢٩م) ، ثمّ ردّ اليها .

(٧) عبدالله بن حمدان بن حمدون التغلبيّ العدويّ : من أشهر أمراء بني حمدان . كان قائداً مقدّماً في دولة بني العباس أيام المكتفي والمقتدر . تولّى الموصل وغير ذلك من الأعمال الجليلة . قتل سنة ٣١٧هـ (٩٢٩م) .

(٨) الأكَرة بفتحتين ، والأكّارون : جمع الأكّار بالفتح وتشديد الكاف : هو الحرّاث أو الزرّاع .

(٩) العوامل من البقر والابل جمع عاملة . وهي التي يستقى عليها وتحرث وتستعمل في الأشغال : (تاج العروس . مادة : عمل) .

برَسْمها ، وأربعمائة حمّام لمن تحويه من أهلها وحواشيها • فأمّا في أيام المكتفي بالله[١] ، صلوات الله عليه ، فانّها اشتملت على عشرين ألف غلام دار ِيّة[٢] ، وعشرة آلاف خادم سوداً وصَقالبة[٣] • وأمّا في أيام المقتدر بالله ، صلوات الله عليه ، فالاجماع واقع على انّه كان فيها أحد عشر ألف خادم ، منهم سبعة سوداً [١٠] وأربعة صَقالبة بيضاً ، وأربعة آلاف امرأة بين حُرّة ومملوكة ، وألوف من الغلمان الحُجْر ِيّة[٤] • وكانت النَوْبَة ممّن يُرسَم بحفظ الدار[٥] من الرجّالة المُصافيّة[٦] خمسة آلاف رجل ، ومن الحرّاس أربع مائة حارس ، ومن الفرّاشين ثمانمائة

---

(١) هو الخليفة العباسي السابع عشر • تولّى الخلافة في بغداد من سنة ٢٨٩ الى ٢٩٥هـ (٩٠٢ – ٩٠٨م) •

(٢) هم المختصّون بملازمة دار الخلافة وحماية الخليفة •

(٣) الصقالبة : غلمان كان النخّاسون يحملونهم من شمالي أوربة ، يتّجرون ببيعهم في أنحاء العالم • وكان الاتجار بهم رائجاً • وكلّهم بيض البشرة على جانب عظيم من الحسن والجمال • وكان المسلمون يبتاعون الذكور للخدمة وللحرب ، والاناث للتسرّي • وغلب على أولئك الأرقاء انتسابهم الى قبيلة السلاف • وكان تلفظ عندهم « سكلاف » فعرّبها العرب « صَقْلَب » ومنها « صقلبيّ » و « صقالبة » •

(٤) قال هلال الصابىء : « فأمّا مماليك المعتضد بالله فانّه رتّب أمرهم على المقام في القصر والحجر تحت مراعاة الخدم الأستاذين وسمّاهم الحجريّة ، ومنعهم من الخروج والركوب الاّ مع خلفاء الأستاذين » : (تحفة الأمراء • ص ١٢ – ١٣) •

(٥) أي « دار الخلافة العباسية » على ما مرّ بنا •

(٦) هم الجنود المحاربون الملازمون لدار الخليفة ، وفيهم الرجّالة والخيّالة • وقد قوى نفوذهم في أيام المقتدر بالله •

فرّاش . وكانت شِحْنَةَ[١] البلد برسم نازوك[٢] صاحب المعونة[٣] ، أربعة عشر ألف فارس وراجل .

حكاية[٤]

وحدّث الحسين بن هارون الضبّي القاضي ، قال : حدّثني منصور بن القاسم القُنّائيّ ، قال : كان من عادتي في أيّام الأعياد أن أُغَلِّس[٥] في الركوب الى دار عليّ بن عيسى الوزير[٦] ، على ما يقتضيه اختصاصي به لأركب معه الى المُصَلّى ، ومنه الى دار السلطان[٧] ،

---

(١) الشحنة ، بالكسر : مَن فيه الكفاية لضبط البلد من جهة السلطان . وكان منصبه في عهد العباسيين منصب حاكم بغداد وحاكم العراق معاً . واليوم يعني حارس البيدر . وبالفرنسية Gouverneur Général .

قال الجواليقي : « الشحنة بكسر الشين ولا تفتح : وهو اسم للرابطة من الخيل في البلد لضبط أهله من أولياء السلطان ، وليس باسم للأمير أو القائد كما تذهب اليه العامّة . والنسبة اليه شحنيّ وشحنية ولا تقل شحنكية ولا شحنهية . وهذه الكلمة عربية صحيحة واشتقاقها من : شحنت البلد بالخيل اذا ملأته بها ، والفلك المشحون أي المملوء » : (تكملة اصلاح ما تغلط فيه العامة . ص ٤٨ ، وانظر تاج العروس ٩ : ٢٥١ ؛ مادة ش ح ن) .

(٢) نازوك ، وقيل نيزوك : أمير تركي . كان شجاعاً ، غلب على الأمر وتصرّف في الدولة العباسية تصرّفات خطيرة ، خاصّة أيام المقتدر . ونسب الى المعتضد فدعي بـ « نازوك المعتضديّ » . قتل سنة ٣١٧هـ (٩٢٩م) .

(٣) صاحب المعونة ، ويسمّى أيضاً عامل المعونة ، أو والي المعونة ، أو ناظر المعونة . جمعها المعاون . وهو — على ما قال الحريريّ في مقاماته (ص ١٥٨) — : المرتّب لتقويم أمور العامّة ، فكأنّه معين المظلوم على الظالم ، يعني الوالي أي والي الجنايات . قال في التعريفات (ص ٢٣٤) : « المعونة ما يظهر من قبل العوام تخليصاً لهم من المحن والبلايا » . وبالفرنسية : Préfet de Police.

(٤) وردت هذه اللفظة في الهامش بخطّ مغاير للأصل .

(٥) غَلَّس : قام عند الغَلَس وهي ظلمة آخر الليل اذا اختلطت بضوء الصباح .

(٦) من أشهر وزراء الدولة العباسية . تولّى الوزارة في أيام المقتدر والقاهر . توفّي سنة ٣٣٤هـ (٩٤٥م) .

(٧) يعني « دار الخلافة العبّاسية » ببغداد .

ثمّ أعود في صحبته الى داره وأجلس بين يديه ، الى أن يتقوّض موكبه ، وأحضر طعامه . فاتّفق في يوم من أيام الأعياد [١١] أن تَصَبَّحْتُ قليلاً ، ثم ركبتُ مسرعاً ، وصادف خروجي من بعض الدروب ، اجتياز نازوك في موكبه ، وبين يديه أكثر من خمس مائة فرّاش بالشّموع المَوكبيّة(١) ، سوى أصحاب النفط(٢) ، وهم عدد أكثر ، فاحتجتُ أن أقف الى أن يعبروا ، فازددتُ تصبّحاً ، ووافيتُ الى دار الوزير ، وكان قد ركب ، وتبعتُه الى المُصَلَّى ، فلم أتمكّن من خدمته لكثرة من معه ، ولحقتُه الى دار السلطان ، فكانت الصورة واحدة في ذاك ، وجئتُ معه الى داره ، فلمّا رآني ، قال : ولِمَ أوحشتنا اليوم يا أبا الفرج ؟ فشرحتُ له صورتي وما عاقني من اجتياز موكب نازوك . فلمّا فرغتُ من قولي ، ندمتُ على تعظيمي من أمْر نازوك ما عظّمتُه ، لأنّ الوزير كان متنكّراً عليه وغير جميل الرأي فيه . ومن عادته أيضاً كراهية هذا البذخ والتخرّق لِما كان عليه من التشدّد والتصعّب ، وخفتُ أن يتّصل المجلس بنازوك [١٢] فيحمله منّي على السّعاية به ، وبَعْث الوزير عليه . وبينا أنا متردّد في الفكر وسوء الظنّ ، دخل نازوك ، فقبّل يد الوزير ووقف . فقال له الوزير : مدّ الله في عمرك يأبَا منصور ، وكثّر في أولياء الدولة مثلك ، فانّ أبا الفرج عرّفني من رِكْبتك اليوم ما جَمَّلْتَ به الدولة والاسلام ، وأرغمتَ فيه أنوف أهل الكفر والعناد ، فبارك الله فيك ، وأحسن عن السلطان جزاءك ، فلم يَبق من شيوخ دولته وحاشيته مَن يجري مجراك ! امضِ الى دارك ولا تقف ، واجلس هناك حتى يهنّئك الناس . قال منصور بن القاسم : فسُررتُ بذلك سروراً شديداً ، وصار غمّي فرحاً وانزعاجي(٣) سكوناً ، ونهض الوزير من مجلسه ، وخرجتُ فوجدتُ

(١) نسبة الى الموكب . وهي الشموع الضخمة التي توقد في المواكب ، أي في المسير جماعات ركباناً كانوا أم مشاة .

(٢) هم حاملو مشاعل النفط في المواكب .

(٣) غاب رسم أكثر الكلمة بفعل الأرضة .

نازوك جالساً في حجرة الحُجّاب ينتظرني ، فلمّا رآني نهض عن كرسيّه ، وتلقّاني وقبّل بين عينيّ ، وقال لي : قد ملكتَ رقيّ وما أوليتك ما يدعو [١٣] الى ما فعلتَه من جميل النيابة عنّي ، وعقد المنّة الجليلة عليّ ، فانني ما أمّلْتُ قط أن أسمع من الوزير بعض ما سمعتُه اليوم ، وسألني أن أصحبه الى داره ، فأعلمتُه عادتي في حضور طعام الوزير ، وانني انكفيء منه اليه . وركبتُ وعدتُ ، وجلستُ مع الوزير على المائدة ، وجدّدتُ اجراء ذكْره ، فجدّد اطراءَه ، فوصفه ، وخرجتُ ، فاذا رُسُل نازوك على الباب يُراعُونني وينتظرونني ، وصرتُ معهم اليه ، فتلقّاني ، واستأنفتُ الأكل عنده ، وانتقلتُ الى مجلس للأُنس ، فلمّا عزمتُ على الانصراف ، حمل معي ما قدره ألف دينار من كلّ شيء .

ولقد ورد رسول لصاحب الروم[1] في أيام المقتدر بالله ، صلوات الله عليه ، ففُرشَت الدار بالفروش الجميلة ، وزُيّنَت بالآلات الجليلة ، ورُتّب الحُجّاب[2] وخلفاؤهم ، والحواشي على طبقاتهم على أبوابها [١٤] وفي دهاليزها وممرّاتها ومخترقاتها وصحونها ومجالسها ، ووقف الجند[3] على اختلاف أجيالهم[4] صَفّيْن بالثياب الحسنة ، وتحتهم الدوابّ بالمَراكب[5] الذهب والفضّة ، وبين أيديهم الجَنائب[6] على مثل هذه

---

(١) كان ذلك في سنة ٣٠٥هـ (٩١٧م) . فقد بعث ملك الروم قسطنطين Constantine VII Porphyrogenitus رسوله الى بغداد يلتمس المهادنة والفداء من المقتدر بالله .

(٢) الحجّاب والحجبة جمع حاجب . وهو من يبلّغ الأخبار من الرعيّة الى الامام ويأخذ لهم الاذن منه . وسمي الحاجب بذلك لأنه يحجب الخليفة أو الملك عمّن يدخل اليه بغير اذن .

(٣) كان عددهم مئة وستّين الفاً ما بين فارس وراجل .

(٤) الأجيال جمع جيل : الصنف من الناس .

(٥) المراكب جمع مركب : والمراد به هاهنا السرج وما يتعلّق به . وأعلى المراكب قيمة ما كانت مذهبة مرصعة بالجوهر النفيس .

(٦) الجنائب جمع جنيبة : وهي خيل تقاد الى جانب الفارس ، حتى اذا تعب ما يركبه يركب الجنيبة .

الصّورة ، وقد أظهروا العُدَد والأسلحة الكثيرة ، فكانوا من أعلى باب الشمّاسيّة[١] والى قريب من دار الخلافة ، وبعدهم الغلمان الحُجْريّة والخدم[٢] والخَواص[٣] والبرّانيّة[٤] الى حضرة الخلافة ، بالبزّة الرائقة والسيوف والمناطق[٥] المُحلاّة[٦] ، وأسواق الجانب الشرقي وشوارعه وسطوحه ومسالكه مملوءة بالعامّة[٧] النَظّارة ، وقد اكتُري كلّ دكّان وغرفة مشرفة بدراهم كثيرة • وفي دجلة الشَذّاءات ، والطيّارات، والزَبازِب، [و] الشبّارات، والزلاّلات، والسُمَيْريّات[٨]، بأفضل زينة وعلى أحسن تعبئة[٩] • وسار الرسول ومن معه من المواكب ، الى أن وصلوا دار الخلافة ودخل [١٥] فأُجيز على دار[١٠] نَصْر القُشُوري[١١] ، فرأى ضَفَفاً[١٢] كثيراً ومنظراً هائلاً ، فظنّه الخليفة ،

(١) ينسب هذا الباب الى محلّة الشمّاسية التي كانت في أعلى بغداد ، في الجانب الشرقيّ في المواضع المعروفة اليوم بالصليخ •

(٢) في المقدّمة الخططية لتاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ص ٥١) انّهم كانوا سبعة آلاف خادم ، منهم أربعة آلاف بيض ، وثلاثة آلاف سود •

(٣) هم الغلمان المتعلّقون بخدمة الخليفة مباشرة •

(٤) البرّانية نسبة الى البرّاني ، والبرّاني نسبة الى البرّ على غير قياس • وهم الموالي البرّانية الذين يخدمون دار الخليفة في خارج الدار ، وليسوا متعلّقين بخدمة سيّدهم في القصر •

(٥) المناطق واحدتها منطقة : ما يشدّ في الوسط • وعنها يعبّر أهل زماننا بـ « الحياصة » •

(٦) المناطق المحلاّة : المرصعة بالجواهر •

(٧) قوله « مملوءة بالعامّة » من التعابير المولّدة الشائعة ، وكان الفصحاء يقولون : « مملوءة من » : (الدكتور مصطفى جواد) •

(٨) هذه أسماء ستة ضروب من سفن النهر كانت تتخذ في بغداد أيام العباسيين • ولها أخبار كثيرة في كتب التاريخ والأدب • راجع في ذلك « معجم المراكب والسفن في الاسلام » لحبيب زيّات (ص ٣٤٤ ـ ٣٤٥ ، ٣٤٨ ـ ٣٤٩ ، ٣٣٥ ـ ٣٣٦ ، ٣٤٣ ، ٣٣٨ ، ٣٤٢ ؛ بيروت ١٩٥٠) •

(٩) أي تهيئة •

(١٠) هي الدار المرسومة بالحجبة من دار المقتدر بالله •

(١١) أبو القاسم نصر القشوري ، من أشهر حجّاب دار الخلافة العبّاسية أيام المقتدر بالله •

(١٢) الضفف (محرّكة) : كثرة العيال •

وداخلته له هيبة وخيفة ، حتى قيل له انه الحاجب . وحُمِل من بعد ذلك الى الدار التي كانت بَرسْم الوزارة[١] ، وفيها علي[٢] بن محمد بن الفرات ، الوزير يومئذ ، فرأى أكثر ممّا رآه لنَصْر الحاجب ، ولم يشكّ في انه الخليفة ، حتى قيل له : هذا الوزير ابن الفرات ، فسلّم عليه وخَدمه ، وأُجْلِس في مجلس بين دجلة والبساتين ، قد اختيرت له الفروش ، وعُلّقت عليه السُتور ، ونُصبَت فيه الدُسوت[٣] ، وأحاط به الخدم والغلمان بالطَّبَرْزِينات[٤] والسيوف . ثمّ استُدْعي بعد ساعات الى حضرة المقتدر بالله ، صلوات الله عليه ، وقد جلس مجلساً عظيماً مَهيباً ، فَخَدَم خدمه مثله ، وشاهد من الأمر ما راعه وهاله[٥] ، وانصرف الى دار قد أُعدّت له ،وحُصّل فيها [١٦] من الفرش ما يصلح له ، والحواشي والأُلاّف[٦] والاقامات[٧] ، كلّ ما تدعو الحاجة اليه ، ممّا أظهرت فيه

---

(١) عُرِفَت هذه الدار في أول الأمر بـ « دار سليمان بن وهب » وزير المهتدي والمعتمد . وكان سليمان أول من أنشأها على الشاطىء الشرقي لنهر دجلة بباب محلّة المخرّم ، ثمّ عرفت بعد ذلك بـ « دار الوزارة » .

(٢) قُتِل سنة ٣١٢هـ (٩٢٤م) . ومفصّل أخباره في « تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء » لهلال الصابىء (ص ٨ ـ ٢٦٠) .

(٣) الدُسُوت ، واحدها : الدَسْت . وهو هنا ما يهيّأ للجلوس عليه للخليفة أو الأمير أو الوزير وكبار الناس .

(٤) الطَّبَرْزِينات ، واحدها الطَّبَرْزِين : ضرب منالفؤوس ،كانمن آلات القتال القديمة . يعرف عند أهل بغداد اليوم بـ « الطبر » .

(٥) للخطيب البغدادي وصف رائع لورود رسول ملك الروم في أيام المقتدر بالله . أنظر : المقدّمة الخططية لتاريخ بغداد (ص ٤٩ ـ ٥٦) .

(٦) الأُلاّف ، جمع آلف ؛ بمعنى الأصدقاء .

(٧) الاقامات ، جمع اقامة ؛ ويراد بها هاهنا أنواع المؤن .

المروءة[١] والتَوْسِعة[٢] . فكانت الحال اذْ ذاك وقبله على هذا الوصف وما هو فوقه .

ولقد شاهدتُ في أيام صَمْصامالدولة[٣] وسنة ستّ وسبعين وثلثمائة[٤] حضور وَرْد[٥] عظيم الروم في دار المملكة[٦] ، وكان انهزم من بين يدي بَسيل[٧] ، ولجأ الى عضدالدولة[٨] مُستنجداً به ،

---

(١) المروءة والمروّة : الانسانية وكمال الرجولية والتهذيب العالي والفضل الجليل والأخلاق الكريمة .

(٢) التوسعة بمعنى الاتساع والغنى والطاقة والقدرة .

(٣) صَمْصامالدولة وشمسالملّة المَرْزُبان ، وكنيته أبو كاليجار بن عضد الدولة البويهي . ولي الملك بعد وفاة أبيه . قتل سنة ٣٨٨هـ (٩٩٣م) .

(٤) المشهور في التاريخ انّ حضور « وَرْد » عظيم الروم ، في دار المملكة ببغداد ، كان في سنة ٣٧٥هـ ، وليس في سنة ٣٧٦هـ ، كما ذكر هلال الصابىء هاهنا .

راجع ذيل تجارب الأمم (ص ١١١ ـ ١٤٤) ، والكامل لابن الأثير (٩ : ٣٠ ـ ٣١) .

أمّا في سنة ٣٧٦هـ ، فانّ صمصام الدولة كان معتقلاً بفارس وجرى فيها كحل عينيه أيضاً .

(٥) وَرْد بن منير هو المعروف بـ « برذس السقلاروس » .

(٦) أراد بها « دار المملكة المعزّيّة البويهية » ، وهي غير « الدار المعزّية » ، وغير « دار المملكة السلجوقية » التي سمّيت أيضا « دار السلطنة » كانت « دار المملكة المعزّيّة » في الجانب الشرقي من بغداد على شاطىء دجلة . وموضعها حيث اليوم أرض الصرّافية ، بين الجسر الحديد والعيواضية .

والظاهر انّ نهاية هذه الدار كانت في سنة ٥٨٣هـ (١١٨٧م) .

(٧) هو ملك الروم ، ويلفظ اسمه كذلك باسيل . تولّى الملك سنة ١٢٨٧ للاسكندر (= ٩٧٥ ـ ٩٧٦م = ٣٦٥هـ) .

(٨) هو أبو شجاع فنّاخُسرو ، الملقّب عضدالدولة البويهي ، أشهر ملوك بني بويه . احتوى على سائر بلد فارس والعراق والموصل والجزيرة . قال الزمخشري في « ربيع الأبرار » [مخطوط] : « وصف رجل عضدالدولة ، فقال : وجه فيه ألف عين ، وفم فيه ألف لسان ، وصدر فيه ألف قلب » . عني باصلاح ما خرب من بغداد . وبنى فيها البيمارستان العضدي في الجانب الغربي منها . توفي ببغداد سنة ٣٧٢هـ (٩٨٣م) .

فقبض عليه[١] بميّافارقين[٢] وحملَه الى بغداد ، فاعتُقِل الى أن مات عضد الدولة ، وأُقِرّ على الاعتقال الى آخر أيام صَمْصام الدولة . ثم سأل فيه زيار بن شَهْراكَوَيْه[٣] صاحب الجيش اذْ ذاك باطلاقه وتسريحه الى بلده ، فأُطلِق وفُسِح له في التوجُّه[٤] بعد أن شُرِطت عليه شروط ، وعُقِدت معه عقود[٥] . وكان شرح الحال في حضوره[٦] ،

---

(١) ذكر المؤرّخون في أحداث سنة ٣٧٠هـ ، انّ عضدالدولة أوعز الى صاحبه المقيم بميّافارقين سرّاً بأن يقبض على برذس السقلاروس المعروف بـ « ورد » ، فأظهر عضدالدولة الانكار للحال والغضب على صاحبه لما فعله ، وكاتبه بأن يحمله الى بغداد وحمل معه ولده رومانوس وسائر أصحابه وكان عددهم تقدير ثلثمائة نفس . ولمّا وصل « وَرْد » أنزله عضدالدولة داراً خليت له ووسع عليه الجراية مديدة واعتقله واحتاط عليه ووعده باطلاقه وتجريد عسكر معه . وبقي « وَرْد » وأصحابه في الحبس مدة ثمانية أعوام . ثم أفرج عنهم . راجع : تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي (٢ : ١٩٢ ــ ١٩٣) ، الكامل في التاريخ (٨ : ٥١٧ ــ ٥١٨) .

(٢) من كور الجزيرة . كانت مدينة جليلة في ديار بكر . والنسبة اليها « الفارقي » .

(٣) هو أبو حرب زيار بن شهراكويه العدوي الديلمي صاحب جيش صمصام الدولة ، تجد شيئاً من أخباره في : (ذيل تجارب الأمم . راجع الفهرس) ، و (الكامل في التاريخ ٩ : ٢٧ ، ٢٨) . و (صبح الاعشى ٧ : ١٠٥ و ٨ : ٣٤٨ و ١٤ : ٢٠ ، ٢٣) .

(٤) أطلق لهم صمصام الدولة دواب وسلاحاً ممّا كان أخذه منهم ، وأحضر بني المسيّب رؤساء بني عقيل ليسيروا معه . وبرز به الى ظاهر مدينة السلام ، فثقل على كثير من المسلمين اطلاقه وأكثروا الكلام في معناه . أنظر : تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي (٢ : ٢١١ ــ ٢١٢) .

(٥) أسهب غير واحد من المؤرّخين في ذكر تلك الشروط التي شرطت والعقود التي عقدت . راجع : ذيل تجارب الأمم (ص ١١١ ــ ١١٢) ، الكامل في التاريخ (٩ : ٣٠ ــ ٣١) ، صبح الأعشى (١٤ : ٢٠ ــ ٢٤) .

(٦) وصف هلال الصابىء حضور « وَرْد » عظيم الروم في دار المملكة البويهية ببغداد ، في تاريخه ، ومعظمه ضائع اليوم . وقد نقل الوزير أبو شجاع تلك الرواية عن كتاب « التاريخ » هذا : (ذيل تجارب الأمم ، ص ١١٢ ــ ١١٣) .

أن فُرِشت دار المملكة بالفروش [١٧] العَضُديّة[١] المستعملة لمجالسها ، وعُلّقت الستور[٢] الديباج على جميع أبواب بيوتها وصُحونها ومَمَرّاتها ودهاليزها ، وأُقيم الدَيْلَم[٣] من دجلة والى حضرة صَمْصام الدولة على مراتبهم صَفّين بأجمل لباس وأبهى عُدَد وسلاح ، وفي أيديهم وأيدي غلمانهم الزُوبينات[٤] والتِراس ، والغلمان الداريّة والخدم بِرَسْمهم وقوف في طول الرَوْشَن[٥] بالبِزّة الجميلة . وجلس صَمْصام الدولة في السَدِلّى[٦] المُذْهَب ، على سُدّة[٧] كبيرة من تحتها نهر مُرَصّص[٨] يجري فيه الماء ، وقد وُضِعت بين يديه الكوانين[٩] الذهب فيها قِطَع العُود[١٠] تتّقد وتُبَخّر . ووافى وَرْد وأخوه وابنه بين

(١) ضرب من الستور الكبار ، منسوبة الى عضد الدولة البويهي .

(٢) كانت هذه الستور الديباج بالطرز المذهبة الجليلة ، المصوّرة بالجامات والفيلة والخيل والجمال والسباع والطيور .

(٣) أي جنود الديلم وقوّادهم .

(٤) الزُوبينات ، مفردها الزوبين : الرمح القصير يتخذ في الدفاع الخفيف الحركة .

(٥) الرَوْشَن (ج : رَوَاشِن) : لفظة فارسية معناها المضيء . وهي هنا منظرة تشرف عادة على خارج البيت . راجع : الألفاظ الفارسية المعرّبة (ص ٧٣) ، والمساعد (ص ٦ ، ٧٨٢ من ملحق المجلد الثاني) . وتعرف اليوم في بغداد بلفظة « البالكون » .

وروشن دار المملكة المعزّية البويهية كان من الرواشن الفخمة ببغداد .

(٦) السدِلّى : معرّب . أصله بالفارسية (سه دله) ومعناه قبّة في ثلاث قباب متداخلة . وعلى مرّ الأيام جرت الكلمة على ألسن الناس بـ « السدلّى » . والسدير : فارسي معرّب أصله سادلى وهو السدلّى . راجع مقالاً لنا في هذا الموضوع بعنوان « الحيريّ بكُمَّيْن » : (الثقافة ، الأعداد ١٩٨ ــ ٢٠٠ ؛ الصادرة في القاهرة سنة ١٩٤٢) .

(٧) السُدّة : المكان المرتفع . يتخذ للملوك وللسلاطين وأكابر الدولة .

(٨) أي مطليّ بالرصاص ، لكي لا يذهب ماء النهر سدّى .

(٩) الكوانين ، جمع كانون : الموقد الذي يصطلى عليه في أيام الشتاء . ويسميه العراقيون اليوم : المَنقل والمَنقلة .

(١٠) العُود : ضرب من الطيب . يتبخّر به . وأجوده العود الهنديّ .

السِماطَيْن(١) ، وعلى وَرْد القَبَاء(٢) والمِنْطَقَة ، وبين يديه الحجّاب بالسيوف والمناطق المَخْرُوزة ، وسَلّم على صمصام الدولة [١٨] سلاماً لم يزده فيه على الانحناء قليلاً ، وتقبيل يده له . وطرح له كرسي من فوقه مِخَدّة(٣) وتَخاطبا خطاباً كان التَرْجمان(٤) يُفَسِّره لكلّ منهما ، وانصرف من باب غير الباب الذي دَخَل فيه . وقد أُقيم في الدار الأخرى من الجند مثل ما كان في الأولى ، فانّ عِدَة الدَّيْلَم كانت يومئذٍ نحو عشرة آلاف رجل ، وكان ذاك مع جلالته في وقته لا يُقاس ببعض ما كان في أيام المقتدر بالله صلوات الله عليه ، وكان ما تَقَدّمه من مثله في أيام الخلفاء المتقدّمين رضوان الله عليهم أجمعين ، لا ينقاس به لعِظَم الأمر سالفاً وتناقصه آنفاً .

ولقد انتهت مراعاة الأمور قديماً الى أن كانت خريطة(٥) الموسم تَرِد في اليوم الرابع ، وخرائط مصر في [١٩] اليوم الحادي عشر . وكان

---

(١) اي بين الصفّين . والسماط كلّ شيء مصطف . ومنه سماط القوم : صفّهم .

(٢) القَبَاء : كلمة فارسية الأصل . وهو ثوب يلبس فوق الثياب ، يسمّيه أهل العراق « الزبون » ، وأهل مصر والشام « القنباز » . جمعه أقبية .

(٣) هذا دليل على زيادة التكرمة .

(٤) قال هلال الصابىء في كتاب التاريخ : « ... وسأله صمصام الدولة عن خبره ، فدعا له وشكره بالرومية والترجمان يفسّر عنه وله ، وقال قولاً معناه : قد تفضّلت أيها الملك ما لا أستحقّه وأودعت جميلاً عند من لا يجهله ، وأرجو أن يعين الله على طاعتك وتأدية حقوق فعلك ... » . انظر : ذيل تجارب الأمم (ص ١١٢ — ١١٣) .

(٥) خريطة ، جمعها خرائط : وعاء مثل الكيس من أدم أو ديباج أو خرق أو ليف هنديّ أو خيش ونحوها . يشرج على ما فيه . وقد أخرط الخريطة اذا أشرجها . ويتخذ لكتب العمّال ، أو للدراهم أو للجواهر فيبعث بها . والمكلف بأمر الخريطة يسمى بـ « صاحب الخريطة » . وكان للخرائط ديوان خاصّ يسمّى بـ « ديوان الخرائط » .

الهِلْيَوْن(١) يُحْمَل الى المعتصم بالله(٢) ، صلوات الله عليه ، من دمشق في المَراكِن(٣) الرَّصاص(٤) ، فتصل في اليوم السادس(٥) . وأقرب عَهْد من ذاك ، أن كانت تَرِد خرائط فارس ، في أيام عضد الدولة في ثمانية أيام .

[(٦) فأمّا بغداد في أيام العمارة ، فانّه وَقَع في يدي كتاب يذكر ما في أيام المعتضد بالله ، صلوات الله عليه ، وذلك بعد فتنة الأمين ، رحمت(٧) الله عليه ، التي أحرقَت وهدمت صدراً كبيراً منها ، وأثَّرت الآثار القبيحة فيها ، تَرْجَمَتُهُ « كتاب فضائل بغداد العراق » تأليف يَزْدَجرد بن مهبندار الفارسيّ ، لأمير المؤمنين المعتضد بالله ، صلوات الله عليه . قال فيه : قد أكثر الناس في بغداد العراق [٢٠] اكثاراً ، لم يعطونا فيه دليلاً ، ولا أفادونا به مَحْصولا ، واقتصروا على أن يقولوا : بلد لا يُشْبه البلدان ،

---

(١) الهِلْيَوْن : نبات طبّي ذو منافع مختلفة . ولا تخلو وليمة فاخرة منه .

(٢) ثامن خلفاء بني العبّاس . تولّى الخلافة في سنة ٢١٨هـ (٨٣٣م) ، وبقي فيها حتى توفي سنة ٢٢٧هـ (٨٤٢م) . وهو الذي بنى مدينة سامراء واتخذها عاصمة له بدلاً من بغداد .

(٣) المراكن جمع مركن : وهو طشت غائر ، يتخذ لحفظ البقول الطريّة والأثمار من أذى الحرّ .

(٤) تتخذ المراكن أيضاً من الخزف أو الفخار ، أو من الخشب . وغالى أرباب النعم والمياسير فاتخذها بعضهم من الذهب .

(٥) راجع في هذا الشأن « المباقل المحمولة » لكوركيس عوّاد : (المقتطف : يوليو [١٩٤٣] ، ص ١٧٠ ــ ١٧١) .

(٦) ما بين العضادتين [ ] : أي من الصفحة ١٩ الى ٢٦ من المخطوط ، أفردناه في رسالة نشرناها في بغداد سنة ١٩٦٢ ، بعنوان : « فصل من كتاب فضائل بغداد العراق » . وفيه من التحقيق والتعليق عليه ، ما يغنينا عن اعادة تلكم الحواشي في هذا الموضع . فليرجع ثمّة الى تلك الرسالة .

(٧) وردت هذه اللفظة في المخطوط مكتوبة بالتاء المبسوطة . وقد سبق لنا كلام في هذا الموضوع ، في أثناء المقدّمة التي صدّرنا بها هذا الكتاب .

ولا كان مثله في قديم الأزمان . فانّ من أقلّ ما فيه انه يشتمل على مائتي ألف حمّام ، الى الضعف . ومن المساجد والطّرازات كذلك الى ما هو متضاعف . فاذا أُخذوا أو أكثرهم بايراد الحجّة واقامة الدّلالة ، لم يأتوا بقول مُحَصَّل وبرهان مُعَوَّل . ونحن نفتتح القول باتّباع أعدل الأحكام وأقرب الأمور الى الافهام . ولا نقول كالذي قالوه في عدد الحمّامات ، واعتقدوه في المنازل والمساجد والطّرازات ، اشفاقاً من هُجْنَة الاسراف على السامعين . فانّا وجَدْنا كثيراً من [٢١] الخاصّة والعامّة ، مذعنين بعدّة الحمّامات ، وانّها مائتا ألف حمّام ، دون ما فوقها من الزيادات . ثمّ قال آخرون : بل هي مائة وثلاثون ألف حمّام ، كما قالوا مائة وعشرون [ألف] . وبه قال الشّاه بن ميكال وطاهر بن محمّد الطاهريّ . ثمّ قالوا من قبلُ ومن بعد بما زاد على المائة [ألف] وبما انتقص[1] منها ، قرّرنا اختلافهم على حَدّ نرجوه عدلاً متوسّطاً ، وحكماً مُتَقَبّلا ، واقتصرنا من عدد الحمّامات على ستّين ألف حمّام ، استظهاراً ، وجَعَلنا العلّة في ذلك أن نأخذ وسط ما ذكروه من أعدادها ، وما وجدنا الخاصّة وأكثرهم يدّعيه في اعتقادها ، وهو مائة وعشرون ألف حمّام ، فاقتصرنا على النصف من المائة والعشرين ، لئلاّ يقبح في التقدير ، أو تضيق عن قبوله الصُّدُور . ثمّ نظرنا في قَدر ما يَحتاج [٢٢] اليه كلّ حمّام من القُوّام الذين لا قُوام له الا بهم ، فوجدنا الحمّام محتاجاً الى ستّة نفر ، هم : صاحب الصندوق ، والقيّم ، والوقّاد ، والزبّال ، والمُزَيّن ، والحجّام . وربّما أطاف بالحمّام ضعف هذا العدد ، ولكنّا ركبنا سَنَن الاستظهار في معنانا هذا . فاذا فرضنا عدّة الحمّامات ستّين ألف حمّام ، فقد حصل عدد ما فيها من القُوّام والمزيّنين والحجّامين ثلثمائة وستين ألف انسان ، ثمّ فرضنا بهذا التقريب لكلّ حمّام مائتي منزل قياساً على ما حصل

---

(١) كذا ما في المخطوط ، ولعلّ الأصل « بما نقص عنها فقررنا ... » : (الدكتور مصطفى جواد) .

من المنازل على عدة الحمّامات بمدينة أمير المؤمنين المنصور ، صلوات الله عليه ، وهو لكلّ حمّام أربع مائة منزل ، واستظهاراً بأخذ النصف من ذاك ، فاجتمع من عدد المنازل على هذه الفريضة [٢٣] اثنا عشر ألف ألف منزل ، ثمّ وجدنا قد يجتمع في المنزل الواحد عشرون نفساً ، وفي غيره نفسان أو ثلاثة ، وما هو أقلّ من ذلك وأكثر ، فاحتجنا الى أن نفرض عدداً متوسّطاً يعتدل به الأمر ويزول معه الشكّ ، فنقصنا من العشرين نصفها وزدنا على الثلاثة ضعفها ، وجمعنا ما بقّينا ، وزدنا ، فكان ستة عشر ، وأخذنا النصف ، فكان ثمانية نفر بين رجال ونساء وأكابر وأصاغر ، فاجتمع لنا من عدد من تضمّه هذه المنازل ستة وتسعون ألف ألف انسان .

ثمّ ركّب مصنّف هذا الكتاب من هذه القاعدة قياساً ، فيما يريده هذا العدد من الناس من أصناف المأكول والمستعمل واللباس . وحكى في عرض ما أورده انّ عبيد الله الطاهري ، حدّثه ان اسحاق بن ابراهيم المصعبيّ ، أخبره انّه رُفع اليه انّ قدر ثمن ما يُباع من الباقلّى [٢٤] المطبوخ في كلّ يوم في أحد جانبي بغداد ستّون ألف دينار . وحقّ ذاك أن يكون في الجانبَيْن جميعاً مائة وعشرين ألف دينار الى غير هذا مما أورده وفصّله ، واستقصى القول فيه ولخّصه . وانّما أوردنا هذه الجملة من أمر بغداد مع خروجها عن الغرض الذي قصدناه لئلاّ يُستكثر في دار الخلافة ما ذكرناه . وحدّثني ابراهيم بن هلال جدّي انّ الحمّامات أُحصيت في أيام مُعزّ الدولة ، فكانت سبعة عشر ألف حمّام ، وانّهم عجبوا من انتهائها الى هذه العدّة ، مع كونها في أيام المقتدر بالله ، صلوات الله عليه ، سبعة وعشرين ألف حمّام . ولقد عُدّت في أيام عضد الدولة فكانت خمسة آلاف وكسراً . وفي أيام بهاء الدولة سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة ، فكانت ألفاً وخمس مائة حمّام [٢٥] ونيفاً ، وهي الآن مائة ونيّف وخمسون حمّاماً . ولقد كنتُ أعجب من الحكايات المختلفة في ذلك . وما كان يُقال قديماً فيه ، حتى قام عندي برهان منه ، وهو انّه قد اتُّخذ بباب

المراتب المعمور في ثلاثين داراً مسكونة منه بعدما أهله غيب عنه[١] ، خمسة عشر حمّاماً . فاذا كان ذلك في هذه الدُور القليلة والعدّة من الخواص القريبة ، فما كانت عدّة خواصّ الناس في أيام المعتضد بالله رحمت الله عليه من الوزراء والكُتّاب والحواشي والأصحاب والأمراء والقُوّاد والأشراف والقضاة والشّهود والتُنّاء والتجّار وأُولي المروّات والأحوال الوافرات ، لتنقص عن خمسين ألف انسان ، اذا استظهرنا بالاقتصار على ذاك ، ولا تخلو دار كلّ واحد منهم من حمّام على [٢٦] التقليل ، والاّ ففي دُور كثير منهم الحمّامات . واذا ثبت هذا القول ، اطردت به تلك الدعوى ووجب أن يكون قول المكثر أغلب من قول المقتصر . ومعلوم أيضاً انّ بلداً كانت على نهره الذي يخترقه ، أعني دجلة ثلاثة جسورة ، لا يُستبعد كون ساكنيه العدّة المذكورة][٢] .

وذكر عليّ بن عيسى في العَمَل[٣] الذي عمله لارتفاع[٤] المملكة في سنة ستّ وثلثمائة[٥] ، ونعى به الدنيا بتقاصر مَوادّها وتناقص أموالها ، واستثنى فيه بالحرمَيْن واليمن وبَرْقة وشَهْرزُور والصامَغان وكَرْمان وخُراسان . وكانت جملته معقودة على :

---

(١) كذا ما في المخطوط ، ولعلّ الأصل بعدما غاب أهله عنه . أو : بعدما غيّب أهله عنه .

(٢) هنا ينتهي ما نشرناه في رسالتنا « فصل من كتاب فضائل بغداد العراق » .

(٣) العَمَل : هو ما يعبّر عنه في زماننا بـ « الميزانية » . راجع مقالتنا: « ميزانية العراق قبل ألف سنة » : مجلة المعرفة (العدد ٣٠ [بغداد ١٩٦٢] ص ١١ — ١٣) .

(٤) الارتفاع : مبلغ ما يتحصّل من المال لديوانٍ من دواوين الدولة ، أو هو مجموع الأموال الديوانية كلّها .

(٥) هذا أجلّ عمل عني به عليّ بن عيسى في أيام وزارته . راجع في هذا الشأن : الوزراء والكتّاب (ص ٢٨١ — ٢٨٨) ، صورة الأرض لابن حوقل (١ : ٢٣٤ — ٢٣٥ ، ٢٤٠ ، ٢٤٧) ، تجارب الأمم (١ : ٢٩ ، ١٥٢ ، ٢٣٨ — ٢٤١) ، تحفة الأمراء (ص ٢٨٦ ، ٣١٤ ، ٣٢٣) .

أربعة عشر ألف ألف وثمانمائة ألف وتسعة وعشرين ألفاً وثمانمائة وأربعين ديناراً .

فمما أورده في جملة الخرج والنفقات[١] الخاصّة ما حكايته : [٢٧]

ومن ذلك للأتراك في المطابخ الخاصّة والعامّة ، وما يُقام خارج الدار ، وعلوفة الكُراع والطير والوحش[٢] على ما استقرّ عليه الأمر في أصول الاقامات والأسفار على المقاطعات مُياومات ومشاهرات :

لشهر : أربعة وأربعين ألفاً وسبعين ديناراً .

ولاثني عشر شهراً : خمسمائة ألف وثمانية [و] عشرين ألفاً وثمانمائة وأربعين ديناراً .

ومن ذلك الجاري برسم المشاهرة للسيّدة[٣] أيّدها الله ، والأمراء أعزّهم الله ، والحُرَم صانهنّ الله ، والخدم :

لشهر : أحد وستين ألفاً وتسعمائة وثلاثين ديناراً .

ولاثني عشر شهراً : سبعمائة ألف وثلاثة وأربعين ألفاً ومائة وستة وتسعين ديناراً[٤] .

---

(١) راجع أيضا « العَمَل » الذي ذكره هلال الصابىء (تحفة الأمراء ، ص ١١ – ٢٢) ، ويشتمل على ذكر أحمد بن محمد الطائي وما ضمنه من الأعمال وشرطه على نفسه من حمل مال الضمان مياومة الى بيت المال ، في أول أيام المعتضد بالله . وقد شرح فيه وجوه خرج المياومة .

(٢) يعني ما يضمّه الحَيْر بدار الخلافة ، من الحيوان . هذا في بغداد . أمّا في مصر ، فكانت صفة الخدمة في ديوان الكراع أيام القلقشندي ٧٥٦ – ٨٢١هـ (صبح الأعشى ٣ : ٤٩٦) ، وكان يضمّ « معاملة الاصطبلات وما فيها من الدواب الخاص وغيرها ، والبغال والجمال ودواب المرمّة المرصدة للعمائر ورباع الديوان ، وعُدَد ذلك وآلاته ، وعلوفات ذلك مع ما ينضمّ اليه من علوفة الفيلة والزراريف والوحوش ورواتب من يخدمها » .

(٣) هي أمّ الخليفة المقتدر بالله واسمها « شغب » .

(٤) انّ حاصل ضرْب ما لشهر واحد باثني عشر شهراً ، لا يتّفق وما هو مذكور في المتن . ولعلّ مرجع هذا الاختلاف ، الى كون أيام الشهور غير متساوية .

[٢٨] ومن ذلك أجرة ساسة الكُراع[1] في سائر الاصطبلات ، وأرزاق المُرتَزِقة[2] فيه ، وثمن العلاج ، وجاري مَن برسم خزائن السّروج ، وما يجري مجرى ذلك على ما استقرّ عليه الأمر مما يقبض في كلّ سبعة وثلاثين يوماً :

لشهر : ثمانية آلاف ومائتي دينار .

وقسط ثلاثين يوماً : متا ألف ومائة وثمانون سعس[3] ديناراً .

ولاثني عشر شهراً : تسعة وسبعين ألفاً وسبعمائة وستة وسبعين ديناراً .

ومن ذلك ما يطلق من الجاري في كلّ شهر أيامه أربعون يوماً للرجال في شذاة[4] الخاصّة وأربع شذات[5] مرتبطة بالحضرة :

مائة دينار قسط ثلاثين يوماً ودينارين .

ولاثني عشر شهراً : ألف ومائتان وثمانون ديناراً .

[٢٩] ومن ذلك ما يطلق في كلّ شهر أيامه خمسة وأربعون يوماً لأرزاق الجُلساء ومَن يجري مجراهم :

« خمسمائة وثلاثة آلاف وثمانمائة وأحد عشر »[6] ديناراً .

قسط ثلاثين يوماً : مائة وثلاثة وعشرون ألفاً وخمسمائة وسبعون ديناراً .

---

(١) الكُراع : اسم يجمع الخيل نفسها ، وقيل : الكراع الخيل والبغال والحمير والأبقار والأغنام .

(٢) هم الجنود النظاميون الذين يخدمون الدولة بالأجرة . ويفرض لهم العطاء من بيت المال .

(٣) كذا جاء رسم الكلمة في المخطوط .

(٤) الشذاة : ضرب من سفن النهر الصغيرة . وقد مرّ ذكرها .

(٥) لعلّ الأصل « شذاءات » جمع شذاة ، كما هو معروف .

(٦) ما حصر بين قويسين « » غير واضح في المخطوط .

ولاثني عشر شهراً : مائتي ألف واثنين وثلاثين ألفاً وثلثمائة وخمسة عشر ديناراً .

ومن ذلك النفقات التي تُطلَق دائماً في كلّ سنة لثمن الجوارح ، وكسوة الكراع ، وهناء[1] الابل ، وكسوة المحتسبين في الدار ، والطبّالين[2] ، وعلوفة الغنم السَواد ية[3] ، وصلات الأئمّة ، وثمن النعاج والبقر الحبشية[4] [٣٠] وعلوفتها ، وصلَة الفرّاشين بسبب القَلَنْداس[5] ، والنفقة على سماطَي العيدَيْن[6] ، وثمن الأضاحي ، والثلج[7] ، وما يطلق لصاحب الشرطة لحَمْل الأعلام

---

(١) هناء الابل : دهن الابل بالنفط أو القطران ونحوهما ، من مشاعرها أي المواضع التي يسرع اليها الجرب من الآباط والأرفاغ ونحوها .

(٢) هم المكلّفون بضرب الطبل في دار الخليفة في أوقات الصلوات الخمس .

(٣) السوادية : نسبة الى السواد ، وهو جنوبي العراق بنوع خاص . وهي أحسن الغنم لشعرها الذي يتخذ منه أفخر الزلالي والبسط .

(٤) ضرب من البقر ، كثيرة اللبن ، تنسب الى بلاد الحبشة . وقد أجاد المسعودي في وصفها ، حين كلامه على بلاد الحبشة : (مروج الذهب ٣ : ٢٦ ـ ٢٨) .

(٥) القَلَنْداس : من أعياد النصارى . ويعرف اليوم بعيد رأس السنة الميلادية أو بعيد الختانة . واللفظة لاتينية (Calendae) وقد وردت أيضا بصورة القلندس والقالندس . قال البيروني (الآثار الباقية ص ٢٩٢ ـ ٢٩٤) : « ... فيه يجتمع صبيان النصارى ويطوفون في بيوتهم ويخرجون من دار الى أخرى ويقولون قالندس قالندس بصوتٍ عالٍ ولحن ، فيطعمون في كلّ دار ويسقون أقداحاً من الشراب ، ... » . راجع بشأنه أيضاً : مروج الذهب (٣ : ٤٠٦ ـ ٤١٢) ، وأحسن التقاسيم (ص ١٨٢ ـ ١٨٣) ، وعجائب المخلوقات (ص ٧٦) .

(٦) أي ما يهيّأ من الأطعمة في دار الخلافة العباسية ببغداد في عيد الفطر وعيد الأضحى .

(٧) راجع بشأن « الثلج » مقالتينا :
« التبريد الصناعي للبيوت في العصور السالفة » .
و « تبريد الماء بالثلج في العصور السالفة » .
(أهل النفط ـ بيروت ١٩٥٤ ، العددان ٣٨ و٣٩) .

في العيدَيْن ، وثمن الرطاب ، والقَصيل . وثمن سُروج الوَهَّاقين[١] ، وثمن القَلُوس[٢] لِلمآصِر[٣] الأَسفَل ، وثمن الكمأة المقدَّرة :

اثنين وأربعين ألفاً وسبعة دنانير ،

ومن ذلك ما يُطلق في كلّ شهر أيامه خمسون يوماً لجاري الغلمان الحُجْريّة وأولاد المُتشهدين[٤] والمَوْكِبيّة[٥] في ناحية شفيع[٦] ، والصنّاع في خزائن الكسوة وخزائن السلاح وخزائن الفرش :

سبعة وثلاثين ألفاً وستمائة وأربعة دنانير .

[٣١] قسط ثلاثين يوماً : أربعة عشر ألفاً وخمسمائة وستون ديناراً .

ولاثني عشر شهراً : مائتا ألف وأحد وسبعين ألفاً وخمسمائة وعشرين ديناراً .

ومن ذلك ما قدّر انفاق أمير المؤمنين ، أعزّه الله ، في الجوائز والهبات ، بقسط شهر من ثلاثة أشهر جمع ذلك فيها :

أحد وعشرين ألف دينار .

---

(١) الوهق ، (بفتح الواو واسكان الهاء أو فتحها) : حبل يفتح فيه عين واسعة تؤخذ بها الدابّة .

(٢) القَلُوس ، واحدها القَلْس ، (بفتح القاف وتكسر أيضا واسكان اللام) : حبل ضخم من ليف أو من خوص للسفينة ونحوها .

(٣) المأصر ـ (بكسر الصاد) : سلسلة أو حبل يمدّ على طريق أو نهر أو ميناء ، يؤصر به السفن والسابلة ، أي يحبس ليؤخذ منهم العشور . جمعه : المآصر . راجع كتابنا « المآصر في بلاد الروم والاسلام » (بغداد ١٩٤٨) .

(٤) لعلّ الآصل : المستشهدين .

(٥) الموكبية : الذين يرافقون موكب الخليفة أو غيره .

(٦) لعلّه يقصد « دار شفيع اللؤلؤي » ـ وشفيع هذا : خادم المقتدر بالله وصاحب الشرطة . وكانت داره في شارع دار الرقيق في الجانب الغربي من بغداد في مشرعة القصب على دجلة . أو يقصد « الشفيعي » من نواحي بغداد المشتهرة يوم ذاك .

ولاثني عشر شهراً : مائتي ألف واثنين وخمسين ألف دينار .

ومن ذلك ما يُقام لأمير المؤمنين أيّده الله ، من الكسوة والفرش في الطُرُز[(١)] بالأهْواز ، وتُسْتَر[(٢)] ، وجَهْرَم[(٣)] ، ودار أبْجِرد[(٤)] :

[ثمانمائة وأربعة عشر][(٥)] ألف دينار .

[٣٢] ومن ذلك ما قُدِّر لحوادث النفقات :

لشهرٍ : ستة عشر ألفاً وخمسمائة وثلاثين ديناراً .

ولاثني عشر شهراً : مائة ألف وثمانية وسبعين ألفاً وتسعمائة وأربعين ديناراً .

ومن ذلك ما ينفق على البناء والمرمّات :

أحد وخمسين ألفاً ومائة دينار .

ومن ذلك من الشعير المحمول من النواحي لقضيم الكراع ومبلغه :

ستة عشر ألفاً وثمانمائة وخمسة وخمسين ديناراً .

مع أجرة محمله :

ثلاثة وثلاثين ألفاً وتسعمائة دينار .

فذلك :

---

(١) الطُرُز والطِرازات جمع الطِراز : وهو الموضع الذيَ تنسج فيه الثياب الجيّدة . وهو معرّب .

(٢) تُسْتَر : أعظم مدينة في اقليم خوزستان . كانَ يعمل بها ثياب وعمائم فائقة : (معجم البلدان ١ : ٨٤٩) . قال ابن حوقل (صورة الأرض ، ص ٢٥٦) : « يكون بتستر لجميع من ملَكَ العراق طراز وصاحب يستعمل له ما يشتهيه » .

(٣) جَهْرَم : مدينة بفارس يعمل فيها بسط فاخرة . قال ابن حوقل : « ... وبها غير طراز للتجّار . وكان للسلطان بها صاحب يستعمل له » : (صورة الأرض ، ص ٢٦٨) .

(٤) المشهور « دَرابَجِرْد » : كورة بفارس . وقصبتها على اسمها . يرتفع منها ثياب كالطبري للفرش تستحسَن .

(٥) الأصل هنا مشوّش بفعل الأرضة .

ألْفا ألْفٍ وخمسمائة ألْفٍ وستون ألفاً وتسعمائة وستّين
دينارٍ[١] .

[٣٣] وكان عليّ بن عيسى ، فَضَّل الخَرْج الذي جمَّعَه على الدخل
الذي صدَّرَه[٢] :

بألف ألف وأربعمائة ألف وستة وثلاثين ألفاً وأربعمائة وستة
وسبعين درهماً .

وذاك كان غرضه الذي رماه ومقصده الذي نحاه .

« وحدَّث عبدالرحمن[٣] بن عيسى ، قال : حدّثني أحد الخدم
الخاصَّة ، قال : حضر الوزير عليّ بن عيسى ، دار السلطان في يوم
شديد البرد ، وليس بيوم مَوْكِب ، وعرف المقتدر بالله ، صلوات الله
عليه ، فجلس له في بعض الصُّحُون على كرسيّ ، ورأسه مكشوف .
فخاطبه بما أراد . فلمّا فرغ ، قال له : يا أمير المؤمنين ، تبرز في مثل
هذه الغَداة الباردة ، وتجلس في مثل هذا الصَّحْن الواسع ورأسك
بغير غطاء ، والناس في مثلها يجلسون في المواضع الكنينة ، ويستعملون
الدِثار ، ويصطلون النار . وأحسبك تُسْرِف في أَخْذ الأشربة
الحارّة والأطعمة [٣٤] الكثيرة المِسْك ، فقال له المقتدر بالله ،
صلوات الله عليه : لا والله ، ما أَفعل هذا ، ولا آكل طعاماً فيه مِسْك ،

---

(١) عرض المقريزي (الخطط ٢ : ٢٣٧ ـ ٢٤١) « عَمَلاً » اشتمل ذكر سنة ٤٠٦هـ (١٠١٥م) ، على عهد الحاكم بأمر الله في ديار مصر . وهو « كالعَمَل » الذي ضمنه أحمد بن محمد الطائي أيام المعتضد بالله العبّاسي ببغداد . فليراجع لفائدته .

(٢) قال عليّ بن عيسى (تحفة الأمراء ، ص ٢٩١ و ٢٨٦) : انّ « ما استغللته من الضّياع ووفرته من أرزاق من يستغني عنه ، تمّمت به عجزاً أدخل في الخرج حتى اعتدلت الحال . ولم أمدد يدي الى بيت مال الخاصة » .

(٣) هو أخو علي بن عيسى الجرّاح . وزر للراضي بالله . لم تطل أيامه واختلّت الأمور عليه ، فاستعفى من الوزارة .

ولا يُطرح لي في شيء الا يسير يكون في الخُشْكَنَانَج(١) ، وربّما أكلتُ في الأيام واحدة منها . فقال له عليّ بن عيسى : فانّي أُطْلِق يا أمير المؤمنين ، في كلّ شهر في جملة نفقات المطبخ لثمن المِسْك نحو ثلثمائة دينار . وانقضى كلامهما . ونهض المقتدر بالله رحمت الله عليه ، وخرج عليّ بن عيسى ، فلمّا صار في الصحن ، وقف المقتدر بالله ، رحمت الله عليه ، وأمر بردّه ، فعاد وقال له : أظنُّك تنصرف الساعة وتفتح نظرك باحضار المتولّي للمطبخ وتواقفه على ما جرى بيننا في معنى المِسْك وتُسْقِطه . قال : كذلك هو يا أمير المؤمنين . فضحك ، وقال : أُحبّ أن لا تفعل . فلعلّ هذه الدنانير تنصرف في أقوات ونفقات قوم ، لا أُريد قَطْعها عنهم . فقال له : السمع والطاعة »(٢) .

فأمّا ارتفاع [٣٥] الممالك ، كانت في أيام الرشيد(٣) ، صلوات الله عليه ، فذكر الريّان بن الصَّلْت ، أنّ أبا الوزير ابن هانىء المَروزي(٤) الكاتب ، وكان على ديوان الخراج ، قال : انّ يحيى بن خالد بن برمك ، أمره بأن يخرج وظائف الآفاق في سنة تسع وسبعين ومائة(٥) ، فكانت جملة ذلك على تفصيل فصّله بالوَرِق(٦) :

---

(١) الخُشْكَنَانَج : ما يعمل من أنواع الفطير كالبقلاوة ونحوها . راجع : منهاج البيان (ص ١٥٠ ؛ مخطوط) ، والمعرّب (ص ٥٩ ؛ ط . أوربة = ص ١٣٤ ؛ ط . القاهرة) ، وكتاب الطبيخ للبغدادي (ص ٧٨) .

(٢) ما بين القويسين « » أورده هلال الصابىء أيضاً في « تحفة الأمراء » (ص ٣٥٢ ـ ٣٥٣) .

(٣) تولّى الخلافة من سنة ١٧٠هـ (٧٨٦م) ، الى أن توفّي سنة ١٩٣هـ (٨٠٩م) .

(٤) اسمه عمر بن مُطرّف الكاتب . تولى ديوان الخراج في سنة ١٦٢هـ (٧٧٨م) .

(٥) في الوزراء والكتّاب للجهشياري (ص ٢٨١) انّ عُمَر بن مُطَرّف الكاتب « عمل في أيام الرشيد تقديراً عرضه على يحيى بن خالد ، لما يحمل الى بيت المال بالحضرة من جميع النواحي من المال والأمتعة ، نسختَه ... » .

(٦) الوَرِق : الدراهم الفضّة .

ثلثمائة ألف ألف وثمانية وثلاثين ألف ألف وتسعمائة ألف
وعشرة آلاف درهم .

وبالعَيْن :

خمسة آلاف ألف وثمانمائة ألف ونيف وثلاثين ألف دينار .

واحترقت الدواوين في فتنة الأمين وسنة ثمان وتسعين ومائة ، وكان ما ارتفع من طساسيج السَّواد ، وعِدَّة بلدان ، وكُوَر المشرق والمغرب ، لسنة تسع وتسعين ومائة ، على ما وُجِد في الديوان المستأنَف[1] ، وما اشتملت جملته على [٣٦] تسعير الغلّة وردّ العَيْن[2] الى الوَرِق ،

بالورق :

أربعمائة ألف ألف وستة عشر ألف ألف وتسعمائة ألف واثنين
وعشرين ألف درهم .

وحدَّث اسماعيل[3] بن صُبَيح . قال : سألني الرشيد يوماً عن مبلغ ما له ، فقلتُ : ثمانمائة ألف ألف وثلاثة وسبعون ألف ألف درهم . فقال : أُحبّ أن تبلغ بَنُوراً[4] ، والبَنُور ألفُ ألفِ ألف . فقلتُ : لا أَراني الله ذلك ، ولا كان . فضحك ثمّ قال : كأنّك تذهب الى انّ الانسان اذا أُعطِيَ أُمْنيته أتَتْه مَنِيّتُه[5] . قلتُ : ما خَطَر لي هذا ببال ، لكنّني أُحبّ أن يكون أمير المؤمنين

---

(١) الديوان المستأنَف هو ديوان الأمور التي لم يُسبق اليها .

(٢) العَيْن : النقد المضروب من المعدن ، نحاساً كان أم فضّة أم ذهباً .

(٣) اسماعيل بن صُبَيْح الثقفي ، من أعيان الكتّاب . خدم جملة من الخلفاء والوزراء والكتّاب . ولاّه المهدي في سنة ١٦٨هـ (٧٨٤م) زمام ديوان الخراج .

(٤) في رسائل اخوان الصفاء (١ : ٣٠ ؛ تحقيق خيرالدين الزركلي) : « البطات : ألوف ألوف ألوف » . قلنا : وهذا الرقم يعرف في عصرنا بلفظة « المليار » أي « ألف مليون » .

(٥) نظير ذلك ما ذكره هلال الصابيء (تحفة الأمراء ، ص ١٨٩) ، بشأن المعتضد بالله .

أبداً في زيادة من المال والدنيا . قال : فكم كان مال أبي ؟ يريد المنصور ، صلوات الله عليه ، قلتُ : مالُك أكثر منه بعشرة آلاف درهم[١] .

وحَدَّث عليّ بن عيسى وعلي [٣٧] المستولين[٢] ، وأصحاب الأطراف المتغلّبين ، فانّ الناظرين في أيام الراضي بالله[٣] ، رضوان الله عليه ، اجتمعوا على أن قَدَّروا وقَرَّروا النفقة في كلّ يوم على الحذف والاقتصار والتخفيف والاقتصاد : ثلاثة آلاف دينار . وأفردوا له من السَّواد وواسط والبصرة ومصر والشام من عيون الضياع ، مجموع ذاك لسنة ، فكانت تُغِلّ أكثر منه . وبقي الأمر على هذا الترتيب الى أيام المطيع[٤] ، صلوات الله عليه ، حتى انتشر النظام ، ووقع التغلّب على مصر والشام ، وخرجت اليد عن أكثر ذاك ، وعلى هذه الحال . فحدثني عليّ[٥] بن عبدالعزيز بن حاجب النعمان ، انّ قَدْر ما كان يرتفع للمطيع ، رحمت الله عليه ، ثلثمائة ألف دينار ، وللطائع[٦] قريب من ذاك .

---

(١) روى المؤرّخون ، انّ المنصور مات عن تسعمائة الف الف وخمسين ألف ألف درهم (لطائف المعارف ، ص ٧١ ؛ ليدن = ص ١١٨ ؛ القاهرة) . ومات الرشيد وفي بيت المال تسعمائة ألف ألف ونيف (الطبري ٣ : ٧٦٤) و (الكامل ٦ : ١٤٦) ، وقيل مائة الف الف دينار (الثعالبي : لطائف المعارف ، ص ٧١ = ص ١١٨ ؛ نقلاً عن الصولي) ، ومن الأثاث والعَيْن والوَرِق والجوهر والدوابّ ، سوى الضِّياع والعقار ، ما قيمته مائة ألف ألف دينار وخمسة وعشرون ألف ألف دينار (لطائف المعارف ، ص ٧١ = ص ١١٨) و (تاريخ الخلفاء للسيوطي ، ص ١٩٦ ؛ نقلاً عن الصولي) .

(٢) يبدو لنا انّ في المخطوط نقصاً . ولعلّ ورقة أو أكثر سقطت منه . فالكلام بين آخر الصفحة [٣٦] وأول الصفحة [٣٧] غير منسجم .

(٣) خلافته (٣٢٢ – ٣٢٩هـ = ٩٣٤ – ٩٤٠م) .

(٤) خلافته (٣٣٤ – ٣٦٣هـ = ٩٤٦ – ٩٧٤م) .

(٥) أديب كاتب شاعر . كتب للخليفتين الطائع والقادر أربعين سنة . مات سنة ٤٢٣هـ (١٠٣٢م) .

(٦) خلافته (٣٦٣ – ٣٨١هـ = ٩٧٤ – ٩٩١م) .

آدابُ الخِدمة

[٣٨]

اذا دخل الداخل الى حضرة الخليفة ، من أمير أو وزير ، أو ذي قَدْر كبير ، فلم يكن من العادة القديمة أن يُقبّل الأرض ، لكنّه اذا دَخَل ورأى الخليفة ، قال : السلام عليك أمير المؤمنين ورحمت الله وبركاته ، بكاف المُخاطَب ، فانّه أَشفَى وأَبلَغ وأولَى وأوقَع • ومتى سلَّم بالكناية ، جاز أن يكْني في قوله ، فمن ها هنا وجَبَت الكاف ، وربّما تقدّم الوزير أو الأمير فأعطاه الخليفة يده مُغَشّاة بكُمّه اكراماً له بتقبيلها واختصاصاً بهذه الحال الكبير محلّها • والعلّة في أن يُغشّيها بكُمّه لئلا[1] يباشرها فم أو شفة ، وقد عُدل عن ذاك الى تقبيل الأرض ، واشترك اليوم فيه كل الناس[2] • فأمّا وُلاة العهود [٣٩] من أولاد الخلفاء والأهل من بني هاشم والقضاة والفقهاء والزهّاد والقُرّاء ، فما كانوا يُقبّلون[3] يداً ولا أرضاً ، لكنّهم يقتصرون على السلام كما ذكرنا ، وربّما خطب قوم منهم بثناء ودُعاء ، وقد اختلطوا الآن بالطائفة التي تُقبّل الأرض ، الاّ الأقلّ ممَّن أقام على التورّع من هذا الفعل[4] • وأمّا أوساط الجند ومن

---

(١) لعلّ الأصل « ألاّ » •

(٢) ذكر صاحب « آثار الأول في ترتيب الدول ، ص ٦٠ » في عرض كلامه على آداب الدخول على الملك ومخاطبته ومجالسته ، انّ « منهم من يرى الخدمة تقبيل الأرض اذا كان الملك راكبا ، والعتبة اذا كان جالسا ، ومنهم من يرى تقبيل البساط ، ومنهم من يرى الانحناء في الخدمة كالركوع ، ومنهم من لا يرى الاّ السلام والخطاب بالنعت الأتم الأكمل والجلوس • فأمّا تقبيل اليد عند القدوم وعند البيعة وعند العفو وعند تجديد الاحسان فعادة سوية لم يمنعها شرع ولا سياسة » •

(٣) قال العُتبي : « دخل رجل على هشام بن عبدالملك فقبّل يده ، فقال : أفّ له ! انّ العرب ما قبّلت الأيدي الاّ هلوعاً ، ولا قبّلتها العجم الاّ خضوعاً » : (العقد الفريد ٢ : ١٢٨ ، ٤٤٧) •

(٤) ذكر الجاحظ (التاج ، ص ٧) في باب الدخول على الملوك : « ان =

دونهم وعوامّ الناس ومن لا رتبة له منهم ، فمنكَر منهم تقبيل الأرض ، لأنّ منزلتهم تقصّر عن ذاك . ومن أَوْلَى الأفعال بالوزراء ومن هو في طبقتهم أن يدخل الى حضرة الخليفة نظيفاً في بزّته وهيئته ، وقوراً في خَطْوه ومِشْيته ، متبخّراً بالبخور الذي تفوح روائحه منه وينفح طيبه من أردانه [٤٠] وأعطافه ، وأن يتجنّب منه ما يعلم انّ السلطان يكرهه ويأبى شمّه ، كما لحق ابراهيم[١] بن المهدي مع المعتصم بالله ، رحمت الله عليهما ، فانّ ابراهيم كان يكثر استعمال الغالِية[٢] ويَتغلّف[٣] منها في كلّ يوم بمقدار أوقية في رأسه ولحيته ويسرّح شعره ، فتختبىء في أثيابه وبين طاقاته ، وكان المعتصم يَجْتَوي[٤] رائحتها ، ولا يستطيع الصّبر عليها ، ويقاسي من اجلاسه الى جانبه ما يتكلّفه ولا يبوح به . فلمّا زاد ذلك عليه أجلس عليّ بن المأمون فيما بينه وبينه ، فثقل فعله على ابراهيم وضاق صدره به ، ولم يعرف السبب فيه الى أن جاءه مخارق[٥] المغنّي فأعلمه انّ

= كان الداخل من الأشراف والطبقة العالية ، فمن حقّ الملك أن يقف ــ أي الداخل ــ منه بالموضع الذي لا ينأى عنه ولا يقرب منه ، وأن يسلّم عليه قائماً . فان استدناه قرب منه فأكبّ على أطرافه يقبّلها . ثم تنحّى عنه قائماً حتى يقف في مرتبته مثله . فان أومأ اليه بالقعود ، قعد ، فان كلّمه ، أجابه بانخفاض صوت وقلّة حركة . وان سكت ، نهض من ساعته قبل أن يتمكّن به مجلسه بغير تسليم ثانٍ ولا انتظار أمر » .

(١) ابراهيم بن الخليفة المهدي العباسي . كان عمّ المأمون وأخا هرون الرشيد . وهو شاعر أديب مغنٍّ . مات سنة ٢٢٤هـ (٨٣٨م) .

(٢) الغالية : ضرب مركّب من الطيب . لها شهرة بعيدة في المراجع العربية القديمة .

(٣) يقال غلّف لحيته بالغالية : لطخها .

(٤) ذُكر عن المعتصم انّه كان « قلّما يمسّ الطيب . وكان يذهب في ذلك الى تقوية بدنه واعانته على شدّة البطش والأيد . وأمّا في أيام حروبه ، فكان من دنا منه وجد رائحة صدإِ السلاح والحديد من جسمه » : (التاج . ص ١٥٥) .

(٥) كان امام عصره في فنّ الغناء . غنّى لخمسة من الخلفاء : الرشيد والأمين والمأمون والمعتصم والواثق . وتوفي بسرّ من رأى سنة ٢٣١هـ (٨٤٥م) .

وَصيف[1] دخل على المعتصم [٤١] بالله ، وأكبّ على رِجْله يقبّلها ، فدفعه وقال له : أردتَ أن تَتَشبَّه بابراهيم وعم[2] أمير المؤمنين في الغالية . ووالله ما احتملتُ ذلك منه حتى باعدتُ مجلسه منّي ، فعرف حينئذٍ العلّة فيما عامله به ، وتمارض نحو شهر ، ثمّ ركب ودخل على المعتصم بالله ، رحمت الله عليه ، فسأله عن حاله وأقبل يجيبه بانكسار ، فقال له : أراكَ معافىً ، فما هذا الانكسار ؟ قال : من فِعْل الغالية يا أمير المؤمنين ، وما كنتُ أتغلّف به منها ، وقد نهاني الطّب[3] الآن عنها . فقال له : اقْبَل قولهم ، فَلَكَ في غيرها من الطّيب مندوحة . وتركها ، ورجع الى منزله في الجلوس . وأن يواصل السِّواك[4] ويَحْفظ لَهَواته عند المناجاة [٤٢] والمحاورة ، ويجعل بين ثيابه شتاءً وصيفاً جُبّةً فيها قطن يمنع من ظهور العرق .

وليس للوزير ولا حاضر في ذلك الموقف أن يذكر شيئاً الا ما يُسأَل عنه ، أو يُورد قولاً في أخبار أو مطالعة الا ما استأذن فيه . وسبيله أن يخفض صوته في حديثه ومحاورته[5] ، ولا يرفعه الا بقدر السماع الذي لا يحتاج معه الى استفهامه واستعادته[6] . وحدّثني ابراهيم بن

---

(١) عرف بـ « وصيف التركيّ » . كان أميراً كبيراً . أصله من مماليك المعتصم ومن مشاهير قوّاده . استحجبه المعتصم ثمّ الواثق فالمتوكّل فالمنتصر . وانتصب منصب الوزارة وان كان لم يسمّ بها .
قتل في سامراء سنة ٢٥٣هـ (٨٦٧م) . أيام المعتزّ .

(٢) كذا ما في المخطوط ، ولعلّ الأصل « عمّ » بدون واو .

(٣) الطبّ : بفتح الطاء ، العالم المتمهّر بالطبّ . ولعلّ الأصل : « الأطبّاء » ، أو « أهل الطبّ » لتستقيم العبارة عند قوله : « اقبل قولهم » .

(٤) السّواك : العود الذي تدلك به الأسنان . وهو هاهنا الاستياك ، أيّ تطهير الفم بدلكها بهذا العود .

(٥) ذكر الجاحظ (التاج ، ص ٦٩) انّ « من حقّ الملك أن لا يرفع أحد صوته بحضرته . لأنّ من تعظيم الملك وتبجيله خفض الأصوات بحضرته » . وانظر أيضاً بهذا الشأن : سلوك المالك في تدبير الممالك (ص ٨٨ ، ٨٩) ، قانون السياسة ودستور الرياسة (ص ٣٠ ؛ المخطوط) ، المنهج المسلوك في سياسة الملوك (ص ٩٨) ، محاضرات الراغب (١ : ١١٧) .

(٦) مما جاء في كتب الآئين : ان « من حق الملك أن لايعاد عليه الحديث =

هلال جدّي ، قال : دخل الحسن بن محمد المُهَلّبي[1] ، يوماً في وزارته لمعزّ الدولة[2] ، الى حضرة المطيع ، صلوات الله عليه ، وجرى بينهما خطاب علا صوت المهلّبي فيه ، فغضب المطيع ، وقال له : يا كلب ، ترفع صوتك بين يديّ ، وأَمَر به [٤٣] فأُخْرِج مجذوباً بيده ومدفوعاً في ظهره ، وجلس في الدهليز ، وقال : أنا خادم ، ولم يكن ما أنكر منّي عن عمد أو سوء أدب ، وانّما صوتي جَهير ، وكان ما كان من كلامي على هذا الأصل ، ومتى انصرفتُ على هذه الجملة التي لا تَخْفَى ، وهن جاهي ، ووقف أمري ، وتنكّر لي صاحبي • ولم يزل يَسأَل ويضرع الى أن أُذِن له في العَوْد الى حضرة المطيع ، صلوات الله عليه ، ودَخل واعتذر وخاطبه بما سكّن به منه • وسبيله[3] أن يُقِلّ الالتفات الى جانبَيْه وورائه ، والتحريك ليده أو شيء من أعضائه ، أو رَفْع رِجْل للاستراحة عند اعيائه ، وأن يغضّ طَرْفه عن كلّ مَرْأىً الاّ شخص الخليفة وحده ، ومخارج لَفْظه ، وألاّ يُسارّ أحداً في مجلسه ، ولا يُشير اليه بيده ولا عينه ، ولا يقرأ رقعة ولا كتاباً [٤٤] يوصلان اليه بين يديه الاّ ما احتاج الى قراءته عليه ، وأذن له فيه ، ولا يخاطب مَن يخاطبه في تعرّف أمر منه ، أو اقامة حجّة عليه ، الاّ بأخفّ الألفاظ وأشدّ الاستيفاء • وأن يجعل وقوفه من أوّل مدخله والى حين مخرجه في موضع رتبته ، من غير أن يتجاوزه الى ما فوقه أو دونه ، اللهمّ الاّ أن يدعوه الخليفة الى سرٍّ

= مرتين وان طال بينهما الدهر وغبرت بينهما الأيام • وكان رَوْح بن زِنْبَاع يقول : « اقمت مع عبدالملك سبع عشرة سنة من أيامه ، ما أعدت عليه حديثاً » • أنظر التاج للجاحظ (ص ١١٣ ــ ١١٥) ، وسلوك المالك في تدبير الممالك (ص ٨٩) ، وآثار الأول في ترتيب الدول (ص ٦١) •

(١) استوزره معزّ الدولة البويهي في بغداد • عرف بعلوّ الهمّة وحسن تدبيره أمور العراق • مات سنة ٣٥٢ وقيل ٣٥١هـ (٩٦٣م) •

(٢) مؤسس الدولة البويهية في العراق • دخل بغداد متملّكاً سنة ٣٣٤هـ (٩٤٦م) في خلافة المستكفي ، وظلّ على ذلك الى أن مات سنة ٣٥٦هـ (٩٦٦م) •

(٣) أي سبيل الوزير أو الجليس أو النديم •

يقرب منه فيه ، ولا يبرح ما دام مُكلّماً له ، ومُقْبِلاً عليه ، ولا يقيم اذا فرغ مما بينه وبينه • واذا خرج وهو يشاهده ، جعل خروجه تراجعاً الى ورائه لئلا يولّيه ظهره ، فاذا غاب عن طَرْفه استقام في مَشْيه • وأن يمتنع من الضحك وانْ جَرَى ما يوجبه ، فانّ مَن كثر ضحكه سخفت هيئته ، ومَن زاد مرحه سقطت هيبته ، ومن فضل كلامه على قدر الحاجة أُصيبت غِرّته وكثرت [٤٥] عثرته • وأن يتجنّب المخاط والبصاق ، على الجملة والاطلاق ، والسُعال والعُطاس على قدر ما استطاع وأطاق ، فانّ أجلّ ما يكون الانسان في عين صاحبه ، اذا كان شخصاً صَمْتاً ، وجسماً صَدىً(١) ، لا يخرج منه شيء كالبُصاق والمخاط ، ولا يدخل اليه شيء كالطعام والشراب ، ومتى استرسل في ذاك مع سلطانه ، ذهبت بهجته من عينه وقلبه ، وظهرت نَبْوَتُه(٢) في طَرْفه ولَفْظه • فأمّا الثانية فتجوز مع الاخوان والجلساء ، وتحرم مع الأصحاب والرؤساء • وأمّا الأولى فتحرم مع الكلّ وتقبح مع الجميع • وأن يتحرّز من الحاجة الى استثبات الخليفة في أمر يأمره به ، أو قول يورده عليه بفضل الاصغاء والاصاخة(٣) الى ما يخاطبه به ، فانّه بين ألاّ يفهمه فقد استعجم عليه ما يُراد منه او يستعيده [٤٦] فقد كَلّفه من الاعادة ما فارق فيه الآداب اللائقة ، وأن يتجنّب ايراد حكاية تُسْتَمْحَل(٤) ، أو لفظ يُسْتَرْذَل • فقد قيل : انّ بعض وزراء البلاد التي لا يعرف أهلها النّعام ، وصف لصاحبه طائراً يبتلع الجمر والحديد الذي توقد عليه النار ، وعَنَى النّعام(٥) ، فكذّب

---

(١) خ : صداً •

(٢) أي ظهرت جفوته •

(٣) يقال أصاخ اصاخةً له واليه : أصغى واستمع •

(٤) أي فيها أمور غير مستحبة : مكر وكيد وبهتان وخديعة وسعاية •

(٥) قيل انه يتغذّى الصخر ، ويبتلع الحجارة والحصى ، ثمّ يميعه ويذيبه في قانصته حتى يجعله كالماء الجاري ، وأعجب من ذاك ابتلاعه الجمر ، وربّما ألقي الحجر في النار حتى اذا صار كأنّه جمرة قذف به بين يديه فيبتلعه ، وربّما ابتلع أوزان الحديد • انظر : الحيوان للجاحظ =

قوله واستبعد أن يكون صادقاً فيه ، وانّ الوزير خرج من بين يديه واجماً مما سمعه منه ، منكسراً بما قابله به . ثمّ أنفق المال الكثير وغَرِم الغُرْم الثقيل في طلب النّعام وحمله الى ذلك البلد ، حتى اذا حُمِلَت منه عدّة بعد الكُلْفة الشديدة ، ماتت في الطريق ، فلم يسلم منها الاّ واحدة ، وأحضرها الوزير للملك ، وأحضر الجمر والحديد حتى ابتَلَعَتْه ، [٤٧] فلّما رأى الملك ذلك ، وشاهد سرور الوزير به وبدفعه عن نفسه ما دفعه فيه ، قال له : انّ جهلك عندي اليوم أكثر منه عند حكايتك ما حكيتَ ودعواكَ ما ادّعيتَ ، لأنّه ينبغي للعاقل ألاّ يُحَدِّث حديثاً ينكره السامع ، ويحتاج في الدلالة عليه الى مثل ما تكلّفْتَه من الفعل والغُرْم ، أوَلَيْس لو ماتت هذه النعامة الباقية لتحقّق عليكَ الكذب وخسرت المال والتعب ، ولو منعتَ لسانك ما كنتَ غنياً عنه ، لكفيت ما وقعتَ فيه .

وقال ابراهيم بن المهدي : سألَ المأمون ، صلوات الله عليه ، جبريل[1] عن الماء ، وكم يلبث لا يتغيّر ، فأعلمه انّ الماء اذا كان على غاية الصفاء لم يتغيّر قطّ . فصدقتُ قول جبريل ، وقلتُ : عندي يا أمير المؤمنين من ماء القَيْسَرَة[2] دَساتيج[3] منذ بضع عشرين سنة ، [٤٨] وما أظنّه تغيّر . فقال : يا سبحان الله ، ما أعجب ما ذكرتَ ! وأنفذ رسولاً الى أمّي يستدعي منها الدّساتيج ، ومِن ظنّه انّه يعود بتكذيبي . فلّما أتاه بالدّساتيج وعلى أغطيتها ذِكْر السنة التي أُخِذ الماء فيها من القَيْسَرة ،

= (٤ : ٣١٠ وما يليها) ، وعيون الأخبار (٢ : ٨٦) ، ووفيات الأعيان (٢ : ٥٠٦) ، وحياة الحيوان الكبرى (٢ : ٤١٣) .

(١) هو جبرائيل بن بختيشوع . كان من أشهر أطباء زمانه . خدم الرشيد والأمين والمأمون ، وجماعة من البرامكة . وصنّف جملة كتب في الطبّ . مات سنة ٢١٣هـ (٨٢٨م) .

(٢) القَيْسَرة : لغة في القَيْسارِيّة . وهي محلّ عام يباع فيه ، يكون في وسطه غالباً بركة للماء . ودكاكين أو حُجَر للتجّار كالأسواق يضمّها سور واحد . الجمع : قَياسِر ، وقَياسير ، وقَيْساريّات .

(٣) الدّساتيج : آنية للشراب أو لماء الورد ، تصنع عادة من الزجاج . واحدتها الدَّسْتَجة . والكلمة فارسية .

أطرق خجلاً وغيظاً ، وخلع عليَّ خلع التصنّع والتجمّل ، ومضى على ذاك نحو شهرين ، واستزارني وجرى بين يديه حديث البُسْر[١] وكبره وصغر نواه ، فقلت : في بستان داري نخل مَعْقِلي[٢] ، وزنت قشرة من بُسْرة[٣] ، فكانت عشرة دراهم ، وفي نواتها أقلّ من دانقين ، فقال لي : اتّق الله يا عمّ ولا تفضح أمير المؤمنين بأن يُنسب عمّه الى الكذب ، ثمّ بعث مَن أحضره من البستان عشر بُسْرات . فأوّل بُسْرة وقعت في يده ، وزنها فصحّت تسعة دراهم ، وفي نواتها [٤٩] أقلّ من دانق ، فاستحيا وأظهر العجب من ذاك . وحصّل ابراهيم في قوله ما قال بين الكذب لو لم توجد تلك الدساتيج ، ويخرج[٤] وزن البسرة ما خرج ، أو ما كان من غيظ المأمون .

وسبيل الانسان أن يكفّ لسانه عن غيبة سلطانه أو الغيبة عنده . فانّه بين أن يبلغه ما قال فيه فيحفظ عليه ان لم يُسْخِطْه سَخْطاً يدعوه الى بَطشه به ، أو يتصوّره فيما قال عنده بصورة مَن ساء بمحضره . امّا لشرّ غلب على طبعه أو حسد استكنّ في صدره . وقال المأمون صلوات الله عليه لحُمَيْد الطّوسي[٥] : انّ الصديق يتحوّل بالجفاء عدوّاً ، والعدوّ يتحوّل بالصلة صديقاً . وأراك رطب اللسان بعيوب اخوانك ، فلا تزدهم في أعدائك والعاقل قليل العيب ما كان العيب [٥٠] عارف بنفسه ، وما اعتادت نفسي غيبة ولا ريبة .

---

(١) البُسْر : التمر قبل ارطابه . واحدته البُسْرَة .

(٢) نسب الى نهر مَعْقِل من أنهار البصرة . واشتهر بـ « معقليّ البصرة » : انظر : معجم البلدان ٤ : ٨٤٥ ، واحسن التقاسيم ص ١٢٨ . ونهر مَعْقِل منسوب الى الصحابي مَعْقِل بن يسار .

(٣) لعلّ الأصل « بُسْرَة من بُسْرِه » .

(٤) خ : وتخرج .

(٥) أبو غانم حُمَيْد بن عبدالحميد الطّوسيّ . من كبار قوّاد المأمون . مات ببغداد سنة ٢١٠هـ (٨٢٥م) .

وحَدَّث مُفلح[١] الأسود ، قال[٢] : كان سليمان[٣] بن الحسن عند تقلّده وزارة المقتدر ، صلوات الله عليه ، يكثر مِن ذِكْر عليّ بن محمد بن الفرات والطعن عليه ، وأَتَبَيَّن[٤] من المقتدر بالله كراهية لِما يسمعه منه . فلمّا كان في بعض الأيام ، أعاد سليمان ذكر ابن الفرات والوقيعة فيه . فقال له المقتدر بالله :

أَقِلّوا[٥] عَلَيْهِمْ لا أَبَا لأَبِيكُمُ
مِنَ اللَّوْمِ أَوْ سُدُّوا المكانَ الذّي سَدُّوا[٦]

قال : فتأمَّلْتُ سليمان ، وقد امتُقِع لونه ، وكادت الأرض تخيس به ، ولم يُعِد له ذكراً من بعد .

وأُورِد في هذا الموضع خبراً في الشرّ وعَوْدِه على أهله ، والمكْر ورجوعه على فاعله ، وجدتُه لائقاً وعجيباً في فَنّه ، وباعثاً على الخير وانْ وقع [٥١] الاستقرار في بعض الأوقات به .

حدّث ميمون[٧] بن هرون بن مَخْلَد بن أبان الكاتب ، قال : كان بين جَدّي مَخْلَد وبين فَرَج[٨] بن زياد الرُخَّجيّ مِن التعادي لأجل

---

(١) خادم المقتدر بالله ومن قوّاده المقرّبين اليه . ائتمنه المقتدر كثيراً ، فكان يحمل الرسائل الخطيرة ويأتي بأجوبتها . توفّيَ بمصر سنة ٣٥٦هـ .

(٢) وردت الرواية في تحفة الأمراء ، ص ٦٥ باختلاف يسير .

(٣) أبو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجرّاح . وزر للمقتدر والراضي والمتقي . مات سنة ٣٣٢هـ .

(٤) الكلام لمفلح الأسود .

(٥) أورده الجهشياري في « الوزراء والكتّاب ، ص ٢٥٨ » .

(٦) البيت للحطيئة . أنظر ديوانه (ص ١٤٠ ؛ القاهرة ١٩٥٨) .

(٧) من كتّاب الدولة العباسية . توفّي ببغداد سنة ٢٩٧هـ .

(٨) ينسب الى رُخّج . وهي كورة ومدينة من نواحي كابل . كان من أعيان الكتّاب في أيام المأمون الى أيام المتوكّل .

الأعمال وولاية الأهواز[١] والمُجاورة ببغداد ، أمرٌ مشهور ، وكان في فَرَج شرّ وغَدْر ونفاق ومكْر . وجرت الحال بينهما على ذاك أيام الرشيد والأمين والمأمون ، رحمت الله عليهم . واحترقت الدواوين في فتنة الأمين[٢] ، وفيها على فَرَج الأموال الجليلة ، وقد احتال في استهلاك ما تعلّق به منها بضروب التوصّل والحيلة . واتفق أن اجتمعا يوماً بحضرة المأمون وأخذا في المناظرة والمُهاترة ، وجَدّي يتولّى يومئذ الضياع العامّة[٣] ، وكان اذ ذاك [٥٢] فَرَج يتولّى الضياع الخاصّة[٤] . فاعترض المأمون اذ ذاك بأن قال لجدّي ، أنا أعلم انّ جميع حساب فرج عندك ، وانّه قد احتال فيما كان في الدواوين منه وما يقنعني منك الاّ احضاري كلّ ما تعرفه وعمل مشاهرة[٥] له بما يلزمه ، فقال له : لستُ أعرف من ذلك الاّ قَدَر ما أتذكّره وأرجع الى أثبات[٦] عندي فيه وأطالع أمير المؤمنين به ، قال : افعلْ واجمعْ كلّ ما يمكنك جمعُه ويتحقّق عندك وجوبه . وانصرف جدّي الى داره وكان عنده سائر حسابه . وأحضر كاتبَيْن له ، يُقال لهما يونس بن زياد ، ويحيى بن راشد ، وحجب الناس عنه وتفرّد

(١) يقول الجهشياري انّ الرشيد قلّد فرجاً الرخّجي ، الأهواز ، فكثّر عليه عنده ، واتصلت السعايات به ، وتظلمت رعيّته منه ، وادّعي عليه انّه قد اقتطع مالاً كثيراً من مال البلد ، فصرفه بمخلد بن ابان الأنباريّ في سنة ١٩٢هـ ، ثم عفا عنه وأرجعه الى عمله . راجع تفصيل ذلك في (الوزراء والكتّاب ، ص ٢٧١ – ٢٧٢) .

(٢) كان ذلك سنة ١٩٨هـ (٨١٣م) على ما مرّ بنا .

(٣) كان لها ديوان قائم بذاته ، يسمّى بـ « ديوان الضياع » .

(٤) يراد بـ « الضياع » : المزارع . ويغلب في الضياع يوم ذاك أن تكون لأهل الدولة من الخلفاء أو أقاربهم أو عمّالهم أو وزرائهم أو كتّابهم أو من يلوذ بهم من أهل النفوذ . و « الضياع الخاصّة » هي ضياع السلطان ولها ديوان خاصّ ينظر في شؤونها .

(٥) مشاهرة . ج : مشاهرات : ما يعطى معاملة في الشهر .

(٦) أثبات ، واحدها ثَبَت : بمعنى فهرس .

معهما باخراج ما[١] يخرجه وتحصيل ما يُحَصِّلُه ، واحتاجوا الى مَن يكتب بين أيديهم [٥٣] فاستعانوا بابن حَدَث[٢] ليحيى بن راشد ، ولم يَدَعوه ينصرف الى منزله في اليوم الأول ولا الثاني ، وأقاموا على أمرهم يومين وليلتين ، فأخرجوا على فرج مالاً جليلاً ، وجعل مَخْلَد جدّي يبطل كلّ ما يُقَدِّر انّ له حجّة فيه ، واشتمل ما حقّقوه وصحّحوه على اثنين وثلاثين ألف ألف درهم • وانصرف ابن يحيى في الليلة الثالثة الى منزله ، وكان له خال في جملة فرج ينزل معهم في دارهم ، فقال له : يا بُنَيَّ ، فيمَ أنتم ؟ ولِمَ لَمْ تنصرف منذ ليلتَيْن ؟ ولم يزل يَتَسَقَّطُه ويستخرجه ويعِده عن فرج الصِّلة والاحسان حتى أَقَرَّ له بالأمر كلّه ، وأخبره بما خرج على فرج بعد ترك ما ترك واسقاط ما أسقط ، فبادر الرجل الى فرج [٥٤] وحدّثه بما حَدَّثه به ابن اخته ، فقامت قيامته منه ، وتصوَّر زوال نعمته به ، وصار في الليل الى باب جَدّي راجلاً غير راكب ، ومعه غلام واحد في ظلمة بغير شمعة ، فوجده مغلقاً ، ونادى بخادم كان لنا يُقال [له] طريف ، نداءً خفياً يا يا فلان أنا بالباب • وسمع الخادم صوته فعرفه • وقال : أبو الفضل ؟ قال : نعم ، وأريد أن أكلّمك في سرّ ، فلا ترفع صوتك • وخرج اليه ، وقال له : ما لكَ يا سيدي ، وما هذه الصورة ؟ فقال : احتَل لي في الوصول الى مولاك الساعة • فقال : قد صعد الى السطح وحَصَل مع الحُرُم ، واذا كان ذاك لم يُمْكِنّي لقاؤه ولا خطابه • فقال : فَتَلَطَّف وتَوَصَّل • فأعطاه كيساً فيه دنانير ، وقال له : هذه أربعمائة دينار [٥٥] خُذها واجتهد • فحملت الخادم الرغبة في الدنانير على أن صعد الدرجة • قال طريف : فلمّا قربتُ من موضع مولاي ، تَنَحْنَحْتُ • فقال لي وهو مذعور : ما جاء بكَ في وقت لم تجرِ عادة منك ، ولِمَ اجترأتَ على ما لم يكن لك رخصةٌ فيه ؟ قلتُ : أردتُ أن أذكر لك شيئاً هو خير • فقام الى رأس الدرجة ، وقال لي : ما عندكَ ؟ قلتُ : انّ

(١) كتبها الناسخ في المخطوط مرّتين •

(٢) الحَدَث : الشاب • ج : أحداث •

فَرَجاً على بابك ، ومعه غلام واحد بغير شمعة . فأطرق ساعة ، ثمّ رفع رأسه اليّ ، وقال لي : أعطاكَ وأرغبكَ فأقدمتَ على ما كان منك . أصدقني عن أمرك . قلتُ : نعم ، وأريتُه الكيس . قال : رُدَّه وخُذْ مثل ما فيه من تحت يدك وأدْخِلْهُ اليّ الدار قال الخادم : وعُدْتُ الى فَرَج فعرّفتُه [٥٦] ما جرى ، ورددتُ الكيس عليه ، فساءه ذاك وغمّه ، ونزل مولاي وجلس في موضعه ودخل فرج . فلمّا قرب منه ، قام اليه واستقبله فاستعفاه من فعله وطرح نفسه على حصير بين يديه ، ثمّ على الأرض وبكى طويلاً ، وقال له : الله ، الله ، يا باحسن فيّ وفي نعمتي وولدي ولا تقتلني وتفقرني ، واعْفُ لي عن كلّ ما تقدّم منّي . فقال له : معاذ الله أن أفعل ذاك وما الذي جرى وأحوجك الى هذا القول ؟ فقال : قد سمعتُ ما أمرك أمير المؤمنين به ، وعرفتُ ما كان منك في اخراج حسابي واسقاط كلّ ما كانت فيه حُجَّة لي وتحصيلك عليّ بعد ذلك ما فيه هلاكي وفقري وذهاب حالي بقيّة عمري ، فراقب الله فيّ [٥٧] وفيمن ورائي ، فانّك عالم بكثرتهم . ولم يزل القول متردّداً بينهما الى أن قال له جدّي : أما فعلتَ بي كذا فاحتملتُ ، وسعيتَ عليّ في الأمر الفلاني ، فصبرتُ ، وعرّضْتَني للقتل وذهاب النعمة في الوقت الفلاني ، وما أبقيتَ وحلفتَ لي يميناً بعد يمين وما وفيتَ . وعدّد ذلك شيئاً شيئاً وواقفه عليه أمراً أمراً ، فقال له : قد صدقتَ في كلّ ما قلتَ ، وأسأتُ في كلّ ما فعلتُ ، فخُذْ عليّ بالفضل ، وقابلني بالصفح . ووالله واستتمّ يميناً غَمُوساً[١] ، لا قمتُ بعد مقامي هذا مقاماً يسوءُك ، ولأكوننّ كأحد أوليائك في الاخلاص لك . فأقبلْني العثْرة واستعمل معي الفتُوّة[٢] . فقال له جدّي : والله لأقابلنّ نعمة الله عندي فيك وفيما كفانيه [٥٨] منك بالزيادة في الاحسان اليك والأخذ بوثائق الحُجَّة عليكَ على تصوّري وتحقّقي انّك لا تنزع عن عادتك ، ولا ترجع عن عداوتك ، وانّ الذي

---

(١) اليمين الكاذبة التي يتعمدها صاحبها .

(٢) الفتوّة : استجماع كريم الأخلاق .وجميل الطباع والشجاعة والايثار على النفس .

يأتيني آنفاً من قبيحك أكثر ممّا أبدته الأيام أولاً منك . فقال : أكون اذن لغير رِشدة (١) ، وبحيث استدعي من الله العقوبة والنقمة . فقال : فما تشاء ؟ قال : قد علمتُ ما دار بينكَ وبين أمير المؤمنين وانّك لا تجد بُدّاً من ابرائي (٢) شيئاً . فقال له : قد خرج عليك في عاجل التصفّح كذا وكذا بعد اسقاط كلّ ما لك فيه حجّة مقبولة أو مدفوعة . وعليك بعده من الباب الفلاني كذا ، ومن الباب الفلاني كذا ، ووافقه على وَجْه وَجْه ، وهو يقول هذا صحيح وأنتَ فيه مُنْصِفٌ ، الاّ انّ للاستسلام [٥٩] حُكْماً . وهذا المقام بين يديك حقّاً فألطف في أن تُقَرّر عليّ عشرين ألف ألف درهم . قال : فان جَعَلْتُها خمسة عشر ألف ألف درهم . قال : تأخذ بيدي وتتمم مننك عندي . قال : فانْ جَعَلْتُها عشرة آلاف ألف درهم . قال : تسترقني وتستعبدني . قال : فانْ جَعَلْتُها خمسة آلاف الف درهم . قال : هذا ما لا يبلغه أملي ولا ينهض به شكري . قال : فانْ أسقطتُ الكلّ عنك . قال : لا أقدر على مقابلة هذا التفضّل منك . قال : فانّ الله قد وضعه عنك . قال : فكيف تفعل مع أمير المؤمنين . قال : لا عليك ، وكلّ ما لزمكَ بعد وقتي هذا ، فهو عليّ . دونكَ ! ولستُ أدعك تنصرف بعد أن جئتَ على هذه الصورة ، وسلكتَ فيما بيننا سبيل الاستصفاح والاستقالة أو أخرّق [٦٠] حسابك بين يديك ، وأَحْلف لك انّني لا أستبقي منه سحاة (٣) واحدة . ودعا الحِساب فأحرقه ، وأظهر فَرَج من السرور ما لم تُقلّه الأرض معه ، وأورد من الشكر ما استغرق فيه طوقه ووسعه ، ثمّ قال له جَدّي : قد شهد الله ما عاملتك به وهو المسلم منك والمجازي لكلّ منّا على قدر نيّته . ووالله لا تركتَ غايةً في النكث والغدر وركوب الشرّ والبغي الاّ بَلَغْتَها . فبكى فرج ، وقال : أكون اذن وَلَد زِنا ، وجعل يَحْلِف وَيَتألّى (٤) على الاخلاص والصفاء

---

(١) لغير رِشْدَة : أي ولد زنا .

(٢) في معاجم اللغة : « أبراه من الدّين وبرّأه تبرئة ... » .

(٣) القصاصة من الورق . وسيرد ذكرها (ص ٦٦) من هذا الكتاب .

(٤) تألّى : أكثر من الأيمان .

والثبات والوفاء • ونهض فقام معه جدّي وتعانقا ، وأمَر الغلمان بحمل الشموع بين يديه الى داره بعد أن جهد به في أن يركب فلم [٦١] يفعل • وبكّر جدّي الى المأمون ، فأعلمه انه نَظَر فيما عنده من حساب فرج ، فوجد له من الحجج فيه ما يبطل معه كلّ ما يخرج عليه ، وتلطّف في قوله وحَسُن مَنابه عن فرج ، حتى اندرجت القصة ، وزالت المطالبة • فحلف طريف انه لم يمض على ذاك الا أقلّ من خمسة عشر يوماً ، حتى دَسّ فرج لمولاي في الشاشيّة(١) ما دسّ • فقلنا له : وكيف كان ذاك ؟ قال : كان لفرج غلام يُعرَف بنَصْر ، يعمل القَلانِس(٢) ، ويصنع الشاشيات ، مُقدّماً في الحذق بها ، وكان يعمل لنا ما نحتاج اليه منها • فلمّا كان بعد الحديث المذكور بأيّام ، جاءني بخمس شَواشيّ قد تأنّق فيها ، فأخذتُها منه ، وأدخَلْتُها الى مولاي ، فقال : مَن جاء بهذه ؟ ـ قلتُ : نَصْرٌ غلام فرج • فنظرها واستحسنها ، وأمرني بأن أُعْطيَه اذا ركب ، واحدة منها ، ليلبسها ، وأراد من غدٍ [٦٢] الركوب ، وكنتُ أصحبه فيه ، وأحمل دواته ، فخرج سَحَراً ، وقد دفعتُ اليه الشاشيّة من الخمس المحمولات ، وصار في دِهْليزه ، فوجد بِرْذَوْنه(٣) يُراض ، وقعد على دكّته ، وأحَسّ بحكّة في رأسه ، فأخذ الشاشية ووضعها في يده اليسرى ، وحكّ الموضع باليمنى ، وجسّ الشاشية ، فوجد في رأسها ما أنكره وتأمّله بيده ، فاذا هو شيء مربّع ، وعاد الى الدار ودعاني على خَلْوة ، وقال لي : يا طريف ، قرّب الشمعة منّي • فقرّبْتُها اليه ، وقال : جسّ هذا الموضع من الشاشية ، فقد أنكرتُ أمره • فجَسَسْتُه ، وقلتُ : قد أنكرتُ يا مولاي مثل ما انكرتَه • قال : في خُفّك سكّين ؟

---

(١) الشاشيّة : ما يوضع على الرأس وتلفّ عليه العمامة ، أو توضع عليه القلنسوة • وكانت تصنع في الشاش من ديار ما وراء النهر ، فنسبت اليهـا •

(٢) القلانس جمع قَلَنْسُوَة : من ملابس الرأس •

(٣) البرذون : دابة الحمل الثقيلة •

قلتُ : نعم • قال : هاتها • وخَرَقَ الشاشيّة فاذا صليب من خُوص ، [٦٣] فلم أفهم القصّة • ورفعتُ صوتي ، فقال : أكفُف وكففتُ • وقال : هذه الشاشيّة من شواشيّ نَصْر التي حملها الينا البارحة ؟ قلتُ : نعم • قال : اكتم ما جرى ولا تُشْعِر به أحداً مِن علمائنا • واستدعى أخرى من هذه الشواشيّ وخرقها ، فكان فيها مثل ما كان في الأولى واعتبر(١) الكلّ ، فكانت حالةً واحدة • وأمرني باحضار دنانير ، عَيَّن عليّ مبلغها ، فأحضرتُها وأمر بالصّدقة بها ، وقال : ايْتِنِي بشاشيّة ممّا عندنا من غير صَنْعَة نَصْر ، فأتيتُه بعدّة ، اختار منها واحدة جديدة ولبسها ، وقال لي : انّ نَصْراً سيقف الساعة بالباب ويرى شاشيتي جديدةً ، ويسألك عنها ، فاذا فَعَل ، فقل له : هذه ممّا حملتَه أمس • وقد أمر لك بدراهم ، اذا عدتَ دفعتُها اليك ولا تزده [٦٤] تبيناً على ذاك • قال طريف : وخرجتُ مع مولاي ، فاذا نَصْر بالباب كما حسب وسألني عن الشاشيَّة ، فأجبتُه بما وَجَب ، ومضينا الى دار الخلافة ، وأذن المأمون للكُتّاب والقُوّاد ، ودَخَل فَرَج فيمن دَخَل ، وخاض الكُتّاب فيما(٢) كانوا يخوضون فيه دائماً ، وتعرّض فَرَج لمولاي في بعض ما جرى ، وهاتره ونافَره ، وقال للمأمون : والله يا أمير المؤمنين ، ما يدين بدينكَ ، وانْ أَظهر انّه مولاك ، ولا يرى نصحك وانْ زوّق بلسانه ما يزوّقُه لك وأنّه ليعتقد عبادة الصليب • ودليل ذاك أنّ في شاشيته واحداً • ومتى شككتَ في قولي ، فخرّقها وفتّشها واعرف كذبي من صدقي فيه بامتحانها • فوجم المأمون لقوله وحمله كرم النَفْس وفَضْل الحلم على ترك [٦٥] الأمر بتخريق الشاشيّة ، وبادر مَخْلَد الى أخذها من رأسه وتمزيقها بين يديه ، وقال : أنا يا أمير المؤمنين عبدك وعبد آبائك الراشدين ، صلوات الله عليهم ، ومَن يَرَى امامتك ديناً ونصيحتك حقاً • وقد علمتُ انّك توقّفْتَ عن اختبار

---

(١) اعتبر الشيء : اختبره •

(٢) خ : فما • والصواب ما أثبتنا •

أمر الشاشيّة حياة منّي وابقاءً عليَّ ، وما أقدمت على ما أسأتُ الأدب فيه من تخريقها بحضْرتك الاّ لأُبَرِّىءَ ساحتي عندك ممّا قَرَّفني هذا الفاجر الغادر السارق به ، قد غَلَّ(١) أموالك واحتجنها(٢) وأَلطَّ(٣) بما حصَل في ذِمّتِه منها • ووالله يا أمير المؤمنين ، وحياتك الجليلة ، لقد كان من خبري في يومي هذا وما دبّره عليَّ في أمْر هذه الشاشيّة كيت وكيت ، وقَصَّ عليه القصّة وسمّى له نَصْراً القَلانِسيَّ غلامه الذي كان ما احتال به على يده ، فاغتاظ [٦٦] المأمون على فرج ممّا سمعه ، وعجب مِن اقدامه على ما صنعه ، وأَمَر باحضار نَصْر ، فأُحْضِر ، وسأله عن الصّورة ، فلجلج فيها حتى اذا مُدّ وضُرِب خمسين عصاً ، اعترف(٤) بها ، وأحال على فرج فيها ، فبصق المأمون عند ذاك في وجه فرج ، وشتمه ، وأَمَر بتسليمه الى مَخْلَد ليحاسبه ويطالبه بالأموال التي يخرّجها عليه ، وانصرف فرج خازياً منخذلاً ، ومَخْلَد مخلوعاً عليه مُكَرَّماً • وحُمِل اليه فرج فحبسه عنده بعد أن وبّخه على ما كان منه ، وقال له : أَلَم أَقُل لك انّك لا تدع قبيح رسمك ، ولا تنزع عن ذميم خُلقك ؟ وعلى ذاك فأستأنف من الاحسان اليك ما استديم به صنع الله عندي فيك ، ولم يزل مَخْلَد يلطف في أمر فرج ويُكلّم عَمْرو(٥) بن مَسْعَدَة في مقاربته ومباشرته ، حتّى قَرَّر عليه ثلاثة آلاف(٦) ألف درهم • وكان عمرو يعجب من تنافي [٦٧] ما بين الرجلين ، والمأمون يَعْجب ويُعَجّب أصحابه منهما •

---

(١) غَلّ المال : أخذه في خفية •

(٢) احتجن المال : ضمّه الى نفسه واحتواه •

(٣) يقال لطّ فلان الحقّ بالباطل أي ستره ، وألطّ الحقّ بالباطل كلطّ •

(٤) خ : اعرف •

(٥) أبو الفضل عمرو بن مَسْعَدَة بن سعيد بن صول الكاتب • أحد كتّاب المأمون ، ثمّ استوزره • مات سنة ٢١٧ ، وقيل ٢١٥ هـ •

(٦) خ : الف •

وسبيل صاحب السلطان أن يتجنّب السّعاية والنميمة ، فانّهما من الأفعال اللئيمة الذميمة . وقد قيل قول ثبت في النفوس ، واطرد معه القياس : مَن نَمّ اليكَ ، نَمّ عليكَ ، ومَن سعَى عندكَ ، سعَى بك . وكتَبَ[١] محمد بن عليّ ، كاتب محمد بن خالد[٢] اليه : انّ قوماً جاءوه[٣] على سبيل التنصّح ، فذكروا انّ رُسُوماً للسلطان بأرمينية قد عفَت ودَرَست ، وأنّه توقّف عن تتبعها الى أن يعرف رأيه فيها ، فوقّع على ظهر رقعته : قرأتُ هذه الرقعة المذمومة ، وسُوق السُّعاة بحمد الله عندنا كاسدة ، وألسنتهم في أيامنا كليلة ، فاذا قرأتَ كتابي هذا ، فاحمل الناس على قانونك ، وخذْهم بما في ديوانك ، فلم ترِد الناحية ، لتتبع الرُسُوم العافية ، ولا لاحياء الآثار [٦٨] الدائرة ، وجَنّبْني وتَجَنّب بيت جرير[٤] ، حيث يقول :

وكنتَ اذا حَلَلْتَ بدار قوم رَحَلْتَ بخِزْية وتَركتَ عارا

وأجْرِ أمورك على ما يكسب الدعاء لنا ، لا علينا . واعلم انّها مدّة تنتهي ، وأيام تنقضي ، فامّا ذكْر جميل ، أو خِزي طويل . وقد يجوز أن يريد السلطان أمراً ، والرأي ينافيه ، أو يكره شيئاً ، والصواب يقتضيه ، وليس من حكم الأدب أن يراجع باقامة حجّة ، واستيفاء مناظرة ، أو يكاشف بردّ ارادة واستعمال مضادّة ، فانّ ذلك يدعو الى توغّر الصّدور ، واللجاج في الأمور ، وعليكَ بالاشارات اللطيفة ومعاريض القول الخفيفة ، وايراد الأحاديث المشاكلة ، ووضع الموضوعات المقاربة .

---

(١) وردت في (زهر الآداب ٢ : ١٨) و (نهاية الأرب ٣ : ٢٩٣) .

(٢) يريد به محمد بن يحيى بن خالد البرمكيّ . كان والياً على ارمينية للرشيد .

(٣) خ : جاؤه .

(٤) البيت من قصيدة لجرير يهجو بها الفرزدق . أنظر : ديوان جرير ، ص ٢٨١ . والمصون في الأدب ، ص ٢٠ .

وقال عبدالملك بن صالح[١] لعبدالرحمن بن وَهْب ، مؤدّب ولده : يا عبدالرحمن لا تُمنّني على قبيح ، ولا تَرُدَّنَّ عليَّ في محفل . وكلّمني على قدر ما استَنْطَقْتُكَ ، [٦٩] واعلم انّ حسن الاستماع ، أحسن من حسن الحديث ، فأرِني فهمك في طرْفك . واعلم أنّني قد جعلتكَ جليساً مقرّباً ، بعد أن كنتَ معلّماً مباعداً . ومَن لم يعرف نقصان ما خرج منه ، لم يعرف رجحان ما دخل فيه . واياك أن تظهر للسلطان قوة نفس ، وشدّة بطش ، أو تحملَهُ على تعسّف الطريق ، وتولّج المضيق ، وخبط المسالك ، واقتحام المراكب ، فيتصوّرك في الأولى بصورة الأهوج الذي لا يُبالي كيف دخل أو خرج ، فلا يأمنك على نفسه وملكه ، وتكون معه في الأخرى بين أن تُصيب ، فيعتقد انّ الاصابة من رأيه ، أو تزلّ ، فينسب الزلل اليك ، ويُحيل الذنب عليك ، ولكن من الأَوْلَى التوسّط بين الاسراع والتثبّط والتقصّي والتورّط ، [٧٠] والاشارة الى ما الرأي فيه أصوب ، ومن سلامة العواقب أقرب ، ليخلص من عُهْدة التعين والنصّ ، وتبعة البتّ والقطع ، ويصل بلطف الحزم الى ما يكون فيه الحظّ ، وقضاء حقّ النعمة بالنصح[٢] . »[٣] وكان المكتفي بالله ، رحمت الله عليه ، أمَرَ العبّاس[٤] بن الحسن وزيره ، أن يُجرّد جيشاً الى الحاجّ ، فاذا انصرفوا وحصلوا بالكوفة ، طلب حينئذٍ زِكْرَوَيْه[٥] . فقال له العبّاس : انيّ

---

(١) من عظماء بني العبّاس ومن أكابر رجالاتهم . ولاّه الرشيد المدينة ، وقيادة الصوائف . وولاّه الأمين الشام والجزيرة . مات سنة ١٩٦هـ (٨١٢م) .

(٢) أثبت الدينوري هذا الكلام في (عيون الأخبار ١ : ٢١) ، باختلاف يسير .

(٣) ورد في (تحفة الأمراء ، ص ٧٠) .

(٤) العبّاس بن الحسن الجرجاني . كان وزيرا للمكتفي ، ثمّ للمقتدر . كان داهية ولم تحمد سيرته . قتل سنة ٢٩٦هـ .

(٥) هو زكرويه بن مهرويه القرمطيّ . عاث فساداً بعد وفاة المعتضد بالله ، قتل سنة ٢٩٤هـ .

مرجع الحاجّ ما قد كفى الله أمره[١] ، وجلس العبّاس في داره وعنده وجوه الكُتّاب والقوّاد . فقال لهم : انّ أمير المؤمنين أمرني بكذا وكذا ، وأشرتُ بترك طلب زكْرَوَيْه ثقةً بأنّ الله يريح منه قبل وقت الحاجّ ، فما ترون ؟ فكلٌّ صَوَّب رأيه ، وعليّ بن محمد بن الفرات ساكت لا ينطق . فقال له العبّاس : ما عندك يا أبا الحسن ؟ قال أَلاّ تخالف أمير المؤمنين . [٧١] فانْ كان ما رآه صواباً ، كان توفيقاً ، أو خطأً كان على رأيه دون رأيك ، فأقام على أمره ، وكان من الوقعة بالحاجّ ما كان[٢] » .

وما شيء أقبح بذي قَلَم من تعاطي الشجاعة والتخلّق بأخلاق الجنديّة . وقد حُكي انّ عبيدالله[٣] بن سليمان كان واقفاً بحضرة المعتضد بالله ، صلوات الله عليه ، اذْ أفلتَ سَبُعٌ من يَدَي سبّاع ، وهرب الناس من بين يديه ، وعدا عبيدالله مذعوراً ، ودَخل تحت سرير ، وثبت المعتضد بالله في موضعه[٤] ، فلمّا أُخِذ السبع وعاد عبيدالله الى حضرته ، قال له المعتضد : ما أضعف نفسك يا عبيد الله ! وما كان السبع ليصل اليك ولا يُشْرَك أن يصل ، فتفعل ما فعلتَ ! فقال له : قلبي يا أمير المؤمنين قلب الكُتّاب [٧٢] ونفسي من نفوس الأَتْباع ، لا الأصحاب . فلمّا خرج ، قال له أصحابه في ذلك ، فقال لهم : أصبتُ فيما كان منّي ، وغلطتم في تصوّركم ، ووالله ما خفتُ السبع ، لأنّني كنتُ أعلم انّه لا يصل اليّ ، ولكنني اعتمدتُ أن يرَى الخليفة قصور منّتي وقصر همّتي ، فيأمنني

---

(١) هذا الكلام غير مستقيم . وصوابه ما في تحفة الأمراء ، حيث يقول : « فقال له العبّاس : الى رجوع الحاجّ ربّما يكفي الله مؤونته ، ... » .

(٢) تفصيل هذه الوقعة وغيرها من الوقائع التي حلّت بالحاجّ على أيدي زكرويه وأصحابه القرامطة : في (صلة تاريخ الطبري ، ص ١٤ ــ ١٧) .

(٣) هو أبو القاسم عبيدالله بن سليمان بن وهب بن سعيد . من كبّار الوزراء ومشايخ الكتّاب . استوزره المعتضد بالله . توفي سنة ٢٨٨هـ .

(٤) نظير هذه الحكاية ، ما جرى للخليفة الأمين . وقد ذكرها المسعوديّ في مروج الذهب (٦ : ٤٣٢ ــ ٤٣٣) .

ولا يخاف غائلتي ، ولو رأى بخلاف هذه الصورة ، لكانت في تلك ، المخافة المحذورة[1] .

ومما يجري في ضدّ هذه الطريقة ، ما حدّث به سنان[2] بن ثابت جدّي[3] ، قال : كان المعتضد بالله ، صلوات الله عليه ، واقفاً في الميدان[4] قبل افضاء الخلافة اليه ، وبين يديه اسماعيل[5] بن بُلْبُل ، اذْ عُرِض عليه مُهْرٌ عظيم الخلق ، حين جُلِب مِن الجَشَر[6] ، فأمر اسماعيل بعض [٧٣] الرّاضة بأن يسرجه ويلجمه ويركبه . فلما أسرجه ، ورام أن يركبه ، لم يستطع ذاك ولا أمكنه . فضحك اسماعيل به ، وكان قوياً أيّداً[7] . وتقدّم ليركب المُهْر ، وقد أُمْسِك له من كلّ جانب ، فما هو أن وثبَ على ظهره حتى اضطرب من تحته وشَبّ وقام على رجلَيْه وكاد اسماعيل يسقط منه ، وحاول النزول منه فلم يستطعه حتى أمسكه جماعة ، فبذّ[8] وخجل عند ذاك خجلاً شديداً واستحيى استحياءً كبيراً ،

---

(١) ذكر ابن الجوزي حكاية المعتضد والأسد ، تقرب من حكاية هلال الصابىء هذه ، فلتراجع : (المنتظم ٥ : ١٢٩) .

(٢) أبو سعيد سنان بن ثابت بن قرّة الحرّاني . أديب ، مؤرّخ ، فلكيّ ، طبيب . كان في خدمة المقتدر ثمّ القاهر والراضي . أسلم على يد القاهر . له تصانيف كثيرة . توفّي ببغداد سنة ٣٣١هـ .

(٣) لعلّ الأصل « جدّي لأمّي » .

(٤) كان ببغداد على اختلاف العصور عدّة ميادين .

(٥) أبو الصقر اسماعيل بن بلبل . تلقّب بالشكور الناصر لدين الله . استوزره الموفق لأخيه المعتمد سنة ٢٦٥هـ . مدحه الشعراء كالبحتري وابن الرومي وغيرهما وهجوه . قبض عليه المعتضد في سنة ٢٧٨هـ وحبسه وعاقبه . ومات في محبسه واستصفى أمواله .

(٦) الجَشَر : بمعنى المرعى . ويعرف اليوم بين العامّة في العراق بلفظة « الچاير » .

(٧) الأيّد : القويّ .

(٨) بذّ : ساءت حالته ورثّت هيئته .

وأراد المعتضد بالله أن يبيّن له موضع حذقه بالفروسية وانها ليست بالأَيْد والقوّة والجَلَد والشدّة • فقال : قدّموا المُهْر اليّ • فقُدّم ، ولم يزل يمسح وجهه بيده والمُهْر يَتَشَمّمه [٧٤] وينخر ، ولا ينفر ، حتى اذا بالغ في تسكينه ورأى منه الأُنس به ، وَضَع رجله في الرّكاب وَوَثَب على ظهره كأسرع من لَمْح البَصَر • وأخَذَ عنانه أخْذاً رفيقاً ، ثمّ حرّكه تحريكاً لطيفاً ، ولم يزل به حتى خَطَا ومشى ، وذهب عليه وجاء ، فكأنّه قد ذُلّل ورُيّض منذ سنة • وقد كان اسماعيل غنيّاً عن فعله الذي أبدى منه عجزه ، لأنّ الفروسية لم تكن من شأنه ولا ممّا يُراد منه أو يُطالَب به • فهذا مقام جهل الانسان بنفسه وتعاطيه ما ليس من فنّه •

وايّاك واعادة حديث تسمعه ، أو افشاء سرّ تُسْتَوْدَعه • فقد قيل انّ السلطان[1] يغفر كلّ ذَنْب الاّ ما كان من افشاء حديث ، أو فساد حُرَمه ، أو قَدْح في دولة ، وعلى ذاك [٧٥] قال المعتضد بالله صلوات الله عليه ، لأحمد بن الطيّب السَرْخَسي[2] ، وقد قبض عليه عند خروجه الى القاسم[3] بن عُبَيْد الله ، بسرّه في أمره[4] : أنتَ قلتَ لي انّ السلطان يعفو[5] عن كلّ أمر ما دون الخروج بسرّه ، أو الافساد لحُرَمه ،

(١) نسب بعضهم هذه المقولة الى أبي جعفر المنصور : (المحاسن والأضداد ، ص ٢٨ ، تاريخ الطبري ٣ : ٤٢٥ ، المحاسن والمساوىء ، ص ٤٠٢ ، تذكرة ابن حمدون ، ص ٥٢ ، نهاية الأرب ٦ : ٨) • وبعضهم الى المأمون : (العقد الفريد ١ : ١٤ ، ٧٧ ، مروج الذهب ٧ : ٧ ، خلاصة الذهب المسبوك في سِيَر الملوك ، ص ١٣٩) ، وطائفة نسبتها الى الملك أو السلطان : التاج للجاحظ ، ص ٩٤ ، آداب الصحبة وحسن العشرة ، ص ٨١ ، محاضرات الأدباء ١ : ١١٨ ، آثار الأول في ترتيب الدول ، ص ١١١) •

(٢) كان معلّماً للمعتضد ، ثمّ نديماً له • صنّف كتاباً في صفة بغداد وفضائلها • وقد ضاع • قتل سنة ٢٨٦هـ (٨٩٩م) • أنظر : فضائل بغداد العراق ص ٨ •

(٣) القاسم بن عبيدالله بن سليمان بن وهب • وزير المعتضد والمكتفي • لم تحمد سيرته • مات سنة ٢٩١هـ •

(٤) انظر أيضاً تحفة الأمراء ، ص ٤٦٠ ، ٤٦١ •

(٥) خ : يعفوا •

أو السعي على دولته . وأنا احمِلك على حُكْمك ، وقتله .

وما زال جُرْح اللسان كجُرْح اليد[١] ، وزَلّة القول كزَلّة الفعل ، وعَثْرَة الكلم كعَثْرة القدم ، فاحذر أن يكون تَقَرُّبك الى السلطان أو وزيره بخيانة صاحبك مقدّراً انّك تَحْظَى بذلك عنده . فربّما كان فيه فساد أمرك معه ، كما لحق المُكنّى أبا نوح[٢] مع اسماعيل بن بُلْبُل ، فانّ عليّ بن محمد بن الفرات حَدّث ، قال[٣] : « لمّا كثُرَت شكوى المعتمد بالله[٤] رحمت الله عليه [٧٦] من اسماعيل بن بُلْبُل ، أراد الموفّق[٥] أن يقضي حقّه بصرف اسماعيل الى أن يسكن ما في نفسه[٦] منه ، فقال له : أخرج الى ضياعك بكُوثَى[٧] ، وأَقِمْ فيها مدّة شهر معتزلاً للعَمَل ، ثمّ عُدْ بعد ذلك ، وقلّد مكانه الحسن[٨] بن مَخْلَد ، واستخلف الحسن أبا نُوح . وكان أبو نوح يكاتب اسماعيل بن بُلْبُل بأخبار الحسن ، فلمّا عاد اسماعيل الى النظر في الوزارة وحضره أبو نوح وجعل يخاطبه خطاب مأنوس به ، واسماعيل يلوي وجهه عنه . فلمّا خلا

(١) القول لامرىء القيس . أنظر : عيون الأخبار (٢ : ٢٣) ، والعقد الفريد (٢ : ٤٤٥ و ٣ : ٨١) .

(٢) هو عيسى بن ابراهيم بن نوح الكاتب . كان كاتباً لقبيحة أمّ المعتزّ ، ثمّ تقلّد الخاتم والتوقيع أيام المعتز . قتل سنة ٢٥٥هـ .

(٣) وردت أيضاً في تحفة الأمراء ، ص ٧١ .

(٤) المشهور فيه « المعتمد على الله » . وهو أبو العباس أحمد بن المتوكّل . خلافته : ٢٥٦ ـ ٢٧٩هـ = ٨٧٠ ـ ٨٩٢م . وبين المعتمد هذا وبين أبيه أربعة خلفاء ، وهو الخامس . وفي أيامه كانت وقائع صاحب الزنج ، ووقائع يعقوب بن الليث الصفّار .

(٥) هو أبو أحمد طلحة بن المتوكّل . أدار شؤون الدولة في أيام خلافة أخيه المعتمد . حارب الزنج فأفناهم . توفي سنة ٢٧٨هـ (٨٩١م) .

(٦) يعني ما في نفس المعتمد .

(٧) كُوثَى : مدينة بسواد العراق من أرض بابل .

(٨) أبو محمد الحسن بن مخلد بن الجرّاح الكاتب الوزير . ولد في قرية دير قُنّى سنة ٢٠٩هـ وقتل سنة ٢٦٩هـ .

به أقبل عليه وقال له : انّ الحال التي قدّرتها قرّبتك منّي هي التي نفّرتني منك ومنعتني الثقة بك ، لأنك اذا لم تصلُح لمن اصطنعك ورفعك وقلّدك من العمل أكثر ممّا قلّدتك ، لم تصلح لي . وما أُحبّ كونك [٧٧] بحضْرتي ، ولا اختلاطك بخاصّتي ، فاختر بريد ناحية تشاكل طبعك ، فاختار بريد ماه[1] البصرة ، وقلّده اياه » .

وانْ اتفق للسلطان أن يقول قولاً ملْحوناً ، أو يرْوي حديثاً مدفوعاً ، أو ينشد شعراً مكسوراً ، لم يكن لمن يحضر مجلسه من حُرمه وذوي أُنسه ، فضلاً عن أهل الحشمة ومن لا تعلّق له بخصوص الخدمة أن يرُدّ ذلك مواجهاً ومصرّحاً ، بل يُعرّض به مُشيراً ومُلوّحاً ، ويورد فيه من النّظائر والأشكال ما يكون طريقاً الى معرفة الصواب . فأمّا ما عسى أن يكتبه السلطان بيده ، ويسهو في شيء من اعرابه أو لفظه ، فعلى وزيره أو كاتب رسائله أن يُصْلحه سرّاً لا جهراً ، فانّ في ذاك تأديةً للأمانة في النصيحة وحراسة لصاحبه من ظهور العيب والنقيصة .

وحدّث النضْر[2] بن شُميْل ، قال[3] : دخلتُ على المأمون

---

(١) الماه بالهاء الخالصة : قصبة البلد . ج : الماهات . والماهان مثنّى ماه : الدينور ونهاوند ، وهما كورتان من كور الجبل . فالدينور ماه الكوفة ، ونهاوند ماه البصرة .

(٢) نحويّ لغويّ أديب . ولد بمرو ، ونشأ بالبصرة ، ودرس على الخليل بن أحمد ، وأقام بالبادية أربعين سنة فأخذ عن فصحاء العرب . مات سنة ٢٠٤هـ .

(٣) وردت الحكاية في مراجع قديمة مختلفة ، منها : (مجالس العلماء للزجّاجيّ ، ص ١٩٧ ـ ٢٠٢) ، (الأغاني ١٥ : ٢٠ ـ ٢١ ؛ ط . بولاق والساسي) ، (درّة الغوّاص ، ص ٦٤ ـ ٦٥ ؛ ط . الجوائب) ، (شرح درّة الغوّاص ، ص ١٥٠ ـ ١٥١ ؛ ط . الجوائب) ، (نزهة الألباء ، ص ١١١ ـ ١١٥) ، (المحاسن والمساوىء ، ص ٤٣١ ـ ٤٣٣) ، (معجم الأدباء ٤ : ١٢٧ ـ ١٢٨ ، ١٤٩ و ٧ : ٢١٨ ـ ٢٢٢) ، (وفيات الأعيان ٢ : ٢٣٨ ـ ٢٤٠) ، (خلاصة الذهب المسبوك ، ص ١٤٧) ، (تاريخ أبي الفداء ٢ : ٢٧ ؛ ط . مصر) ، (صبح الأعشى ٦ : ٥٣) ، (تاريخ الخلفاء للسيوطي ، ص ٢١١ ـ ٢١٢) ، (تاج العروس ٢ : ٣٧٣) .

صلوات الله عليه [٧٨] بمَرْو[1] وعليّ أخلاق[2] مُتَرَعْبِلَة[3]، فقال لي : يا نَضْر، تدخل عليّ في مثل هذه الأخلاق ؟ ـ قلتُ : يا أمير المؤمنين، انّ حَرّ مَرْو لا يُدْفَع الا بهذه الثياب • ـ فقال : لا، ولكنّك مُتَقَشِّفٌ • وتجارَيْنا الحديث[4] • فقال المأمون : حدّثني هُشَيْم[5] بن بشير عن مُجالِد[6] عن الشَعْبِي[7] عن ابن عبّاس[8]، قال : قال رسول الله صلى الله عليه، اذا تزوّج الرجلُ المرأةَ لدينها وجمالها، كان في ذاك سَدَاد[9] مِن عَوَز • فقلتُ : صدق فُوك يا أمير المؤمنين، وعَثَر هُشَيْم • حدّثني عَوْف الأعرابي[10] عن الحسن[11] عن ابن عبّاس[12]، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه : اذا

---

(١) متى أطلق الكتّاب هذا الاسم، فانّما يريدون به « مرو الشّاهجان » لا « مرو الرّوذ » • والأولى هي مرو العظمى أكبر مدائن خراسان، وكان المأمون عاملاً عليها لأبيه •

(٢) أخلاق جمع خَلَق : الثوب البالي •

(٣) أي قد أخلقت وتمزّقت •

(٤) في مجالس العلماء : « فأخذ بنا في الحديث في ذكر النساء » •

(٥) محدّث مشهور • مات سنة ١٨٣هـ •

(٦) مُجالِد بن سعيد بن عُمير الهمذاني الكوفيّ • كان راوية للأخبار • مات سنة ١٤٤هـ •

(٧) هو عامر بن شراحيل الشعبيّ الهمذاني الكوفي • كان اماماً حافظاً فقيهاً متقناً • مات سنة ١٠٤هـ على رواية •

(٨) هو عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن هاشم الهاشمي القرشي • كان يقال له : « البحر والحبر وترجمان القرآن » لكثرة علومه • مات سنة ٦٨هـ •

(٩) في الأغاني، ومعجم الأدباء : « هكذا قال بفتح السين من سداد » •

(١٠) عوف بن أبي جميلة العبدي أبو سهل الهجري البصري المعروف بالأعرابي • كان صدوقاً ثقة مشهور • كثير الحديث • مات سنة ١٤٦هـ •

(١١) هو الحسن البصريّ • امام أهل البصرة • قال ابن سعد : كان الحسن جامعاً عالماً رفيعاً فقيهاً حجّة مأموناً، عابداً ناسكاً كثير العلم، فصيحاً جميلاً وسيماً • توفي سنة ١١٠هـ •

(١٢) في درّة الغوّاص، والمحاسن والمساوىء، ومعجم الأدباء، ووفيات الأعيان، وخلاصة الذهب المسبوك : « عن عليّ بن أبي طالب ••• » •

تَزوَّج الرجلُ المرأة لدِينها وجمالها ، كان في ذاك سِدَاد[١] من عَوَزٍ • وكان المأمون مُتكئاً فاستوى جالساً • وقال : السَّداد لَحْن يا نَضْر ؟ قلتُ : نعم ، وانّما لحن هُشَيْم [٧٩] وكان لَحّاناً • قال : ما الفرق بينهما ؟ ـ قلتُ : السَّداد : القصد في الدِّين ، والسبيل • والسِّداد : البُلْغة ، وكلّ ما سَدَدتَ به شيئاً فهو سِداد • قال[٢] : فأنْشِدني أخلب بيت للعرب • قلتُ : قول حمزة بن بِيض[٣] في الحَكَم بن مروان[٤] :

تقولُ لي والعيونُ هاجعةٌ أقِمْ علينا يوماً ، فلم أُقِمِ
ايَّ الوجوه انتجعتَ قُلتُ لها وأيُّ[٥] وجهٍ الاّ الى الحَكَمِ
متى يَقُلْ حاجبا[٦] سُرادِقهِ هذا ابن بِيضٍ[٧] بالباب يَبْتَسِمِ

---

(١) في : الأغاني ، ومعجم الأدباء : « هكذا قال بكسر السين من سداد » •

(٢) يظهر انّ في رواية هلال الصابىء هذه نقصاً ظاهراً • ففي المصادر التي نقلت الرواية ، ما هذا نصّه : « ••• قال : أفتعرف العرب ذلك ؟ قلت : نعم ، هذا العَرْجيّ [الشاعر] من ولد عثمان بن عفّان ، يقول :

أضاعوني وأيّ فتىً أضاعوا ليوم كريهةٍ وسِداد ثغر

قال : فأطرق المأمون ملياً ثمّ قال : قبّح الله من لا أدب له • ثمّ قال : أنشدني أخلب بيت ••• » • قلنا : وهذا البيت هو من جملة أبيات للعرجيّ عملها في السجن • أنظر : ديوان العرجيّ ، ص ٣٤ •

(٣) من شعراء الدولة الأموية • كوفيّ ، خليع ماجن • مات سنة ١١٦هـ •

(٤) في : مجالس العلماء ، وتاج العروس (٥ : ١٤ ـ ١٥) : الحكم بن أبي العاص •

(٥) في : الأغاني ، وشرح درّة الغوّاص ، ومعجم الأدباء ، وتاريخ الخلفاء : لأيّ •

(٦) في : مجالس العلماء ، وتاج العروس « صاحبا » ، وفي : المحاسن والمساوىء « صاحب السرادق » ، وفي : معجم الأدباء « حاجب سرادقه » ، وفي : خلاصة الذهب المسبوك « حاجباً سرادقه » •

(٧) في شرح درّة الغوّاص « ابن حيص » وهو تحريف •

قد كنتُ أسلمتُ[١] فيك مُقتبلا فهات اذْ حلّ اعطني[٢] سَلَمي[٣]

قال : فأنشدني أنصف[٤] كلمة للعربَ[٥] . قلتُ : قول ابنُ أبي عروبة المداني[٦] :

انّي[٧] وان كان ابن عمّي غائباً[٨] لمقاذِفٌ[٩] من دُونه ووراثه

[٨٠] ومفيده نَصْري وان كان امرأً مُتزحزِحاً في أرضه وسمائه

واذا الحوادث أجْحَفَتْ بسَوامه قرّنتُ[١٠] صحيحتنا الى جرْبائه

واذا استجاش وفرتُه ونَصَرتُه واذا تَصَعْلَكَ كنتُ من قرنائه[١١]

واذا دَعا باسمي ليركبَ مركباً صعباً قعدتُ له على سيسائه[١٢]

واذا أتى من وجهه بطريفة[١٣] لم أطّلِعْ مما وراء خِبائه

---

(١) مجالس العلماء : أقسمت .

(٢) مجالس العلماء : وادخل وأعطني .

(٣) أسلمتُ : أسلفت . يريد أنّه قدم اليه مديحه ولم يأخذ جائزته . مقتبلاً : آخذاً قبيلاً أي كفيلاً . وسلمي : سلفي ، يريد جائزتي .

(٤) في سائر المراجع : « فقال المأمون : لله درّك ، كأنّما شقّ لك عن قلبي ، فأنشدني أنصف بيت للعرب » .

(٥) تمام الرواية : « فقال المأمون : أحسنتَ يا نَضْر ، أنشدني الآن أقنع بيت قالته العرب ، فأنشدته قول ابن عبدل الأسدي » . قلنا : وهي في أحد عشر بيتاً . مطلعها :

انّي امرؤ لم أزل وذاك من اللـــه قديماً أعلم الأدبا

(٦) هذا ما في المخطوط . وفي معجم الأدباء ٧ : ٢٢٠ : « أبي عروة المدني » .

(٧) هذه الأبيات عدا البيت الرابع ، والبيت السادس ، وردت في مجالس العلماء للزجّاجيّ باختلاف يسير في الرواية .

(٨) الأغاني : عائباً ، المحاسن والمساوىء : غائلا ، شرح درّة الغوّاص ، وتاريخ الخلفاء : عاتباً .

(٩) المحاسن والمساوىء : لمُداهِن ، شرح درّة الغوّاص : لمراجم .

(١٠) مجالس العلماء ، والمحاسن والمساوىء ، وخلاصة الذهب المسبوك : قرّبت .

(١١) لم يرد هذا البيت في سائر المراجع .

(١٢) سيسَاء الظهر من الدواب : مجتمع وسطه وهو موضع الركوب .

(١٣) الأغاني ، وشرح درّة الغوّاص ، وتاريخ الخلفاء : بطريقة .

وإذا أرتدى ثوباً جميلا(١) لم أقل يا ليت انّ عليَّ حسن ردائه(٢)

قال : أحسنتَ ، لله أبوك ! فانشدني في المعروف ٠ قلتُ قول القائل(٣)

يد المعروف غُنْمٌ حيث كانت تَحَمَّلها كفورٌ أو شكورُ

فعند الشاكرين لها جَزاءٌ وعند الله ما كفر الكفورُ

[٨١] فدعا بدواة ودَرْج(٤) ، وكَتَبَ شيئاً لا أعلم ما هو ، ثمّ قال لي : كيف تقول مِن التراب(٥) : أفْعِلْ ؟ ـ قلتُ : أتْرِبْ(٦) ـ قال : فمن الطين ؟ قلتُ : طِنْ(٧) ٠ ـ قال : فالكتاب ماذا ؟ قلتُ : مُتْرَبٌ مطين ٠

(١) خلاصة الذهب المسبوك : كريماً ٠

(٢) ورد هذا البيت في المحاسن والمساوىء ، هكذا :

وإذا رأيتُ بُرْداً ناضراً لم يُلْفِني مُتَمَنِّياً لردائه

(٣) في خلاصة الذهب المسبوك : « قال : أحسنت يا نضر ، فعندك ضدّها ؟ قلتُ : نعم أحسن منه ٠ قال : هات ٠ فانشدتُه » ٠ ـ ثمّ ذكر البيت الأول فقط ٠ أمّا سائر المراجع فلم تذكر هذين البيتين ٠

وفي المحاسن والمساوىء : « فقال : لقد أحسن وأجاد ، فاخبرني عن أعزّ بيت قالته العرب ، قلت : قول راعي الابل » ٠ ـ وذكر خمسة أبيات ، مطلعها :

أطلبُ ما يطلب الكريم من الرزْ ٠٠٠٠قِ لنفسي وأجملُ الطلبا

وفي مجالس العلماء ، نسب هذا الشعر الى عروة ٠ قال القائل : « فانشدني أقنع بيت قالته العرب » ٠ وذكر سبعة أبيات ، مطلعها البيت الآنف الذكر : أطلبُ ما يطلب الكريم ٠٠٠

(٤) الدَرْج : ورق طويل يُلوى على نفسه ، ويكتب فيه ٠

(٥) في : درّة الغوّاص ، ونزهة الألباء ، ومعجم الأدباء ، ووفيات الأعيان ، وخلاصة الذهب المسبوك : « ٠٠٠ ثمّ قال : كيف تقول اذا أمرتَ مَن يترب الكتاب ؟ قلت اتربه ٠ قال فهو ماذا ؟ قلت : فهو مترب ٠ قال : فمن الطين ؟ قلت : طنه ٠ قال : فهو ماذا ؟ قلت : فهو مطين ٠ قال : هذه أحسن من الأولى ٠ ثمّ قال : يا غلام : اتربه وطنه وابلغ معه الى الفضل بن سهل ٠٠٠ » ٠

وفي المحاسن والمساوىء بعض اختلاف في الرواية : « ٠٠٠ ثمّ قال : يا نضر ، كيف تقول من الاتراب ؟ قلت : أقول : إتْرِبِ القرطاس ، والقرطاس متروب ٠ قال : فلِمَ كسرتَ الألف ؟ قلت : لأنّها ألف وصل تسقط في التصغير ٠ قلت : فكيف تقول من الطين ؟ قلت : طِنِ الكتاب والكتاب مطينٌ ٠ قال : هذه أحسن من الأولى ، ثمّ دفع ما كتب الى خادم ووجهه معي الى ذي الرياستين ٠٠٠ » ٠

(٦) و (٧) عقد ابن المُدَبِّر في رسالته العذراء (ص ٢٦ ـ ٢٧) ، فصلاً في هذا الشأن ٠ فليراجع ٠

قال : هذا أحسن من الأول . وأمرني أن ألْقَى الفَضْل(١) بن سَهْل بالرُّقعة . فأتيتُه بها . فلمّا قرأها ، قال : ما السبب الذي وصلكَ أمير المؤمنين فيه بخمسين ألف درهم ؟ فحدّثتُه . فقال : يا سبحان الله ! لَحَنْتَ أمير المؤمنين(٢) ؟ قلتُ : لا ، ولكن عرّفتُه انّ هشيماً كان لحّاناً . فأمر لي الفَضْل من عنده بثلاثين ألف درهم وانصرفتُ الى منزلي بثمانين(٣) . وكان من حُسْن أدب الحسن(٤) بن سهل وسجاحة(٥) خُلْقه اذا عرض عليه أحد كُتّابه نُسخة كتاب قد أنشأه واراد تغيير شيء من ألفاظه أن يقول له : والله لقد أجدتَ وأحسنتَ واستوفيتَ الغَرَض « وأتيتَ على المعنى »(٦) ، ولكن [٨٢] ما عندكَ في ابدال هذه اللفظة بكذا ؟ وهذا الفَصْل بكذا ؟ فيقول الكاتب : يفعل الأمير ذاك . فيقول : لا بل غَيِّرْهُ أنتَ بخطّك . واذا كان هذا فعل الأصحاب بالأتباع ، فما قولك في فعل الأتباع بالأصحاب ؟ .

وليس من العادة أن يذكر أحد بحضرة الخليفة بكنيته(٧) الا مَن

---

(١) استوزره المأمون وفوّض اليه اموره كلّها وسمّاه ذا الرئاستين لتدبيره أمر السيف والقلم . قتل سنة ٢٠٢هـ .

(٢) نظير هذه الرواية ما جاء في باب تبجيل الملوك وتعظيمهم (العقد الفريد ٢ :١٢٥) : « دخل الشعبيّ على الحجّاج ، فقال له : كم عطاك ؟ قال : ألفين . قال : ويحك ! كم عطاؤك ؟ قال : ألفان . قال : فَلِمَ لحنت فيما لا يلحن فيه مثلك ؟ قال : لحن الأمير فلحنتُ ، وأعرب الأمير فأعربتُ ، ولم أكن ليلحن الأمير فأعرب أنا عليه ، فأكون كالمقرّع له بلحنه ، والمستطيل عليه بفضل القول قبله . فاعجبه ذلك منه ووهبه مالاً » .

(٣) في سائر المراجع « ... فاخذتُ ثمانين الف درهم بحرف استفيد منّي » .

(٤) استوزره المأمون بعد أخيه الفضل ، وحظي عنده ، وكنّاه بـ « ذي الكفايتين » . وتزوّج المأمون بوران بنت الحسن . مات سنة ٢٣٦هـ .

(٥) سجيح خُلْقُه : سهل . يقال في عقله رجاحة وفي خلقه سجاحة .

(٦) ما بين القوسين « » استدركه الناسخ في الهامش .

(٧) في العقد الفريد (٢ : ٤٦١ ــ ٤٧١) فصل طريف في الكنايات . فليراجع .

شرّفه بالتكنية وأهّله لهذه الرتبة ، ولا باسم الخليفة ان وافق اسمُه اسمَه . وقد رُوِيَ انّ سليمان[١] بن عبدالملك ، قعد ذات يوم يفرض[٢] للناس . فأقبل فتىً من بني عبْس جسيمٌ وسيمٌ يملأ العين مَنظرُه . فقال سليمان : ما اسمك ؟ ـ قال : سليمان بن عبدالملك . فأعرض عنه حين وافق اسمُه اسمَه . فقال له الفتى : لا شقيَ اسمٌ وافق اسمكَ ، فافرض لي . فانّي سيفٌ بيدكَ [٨٣] انْ ضربتَ بي قطعتُ ، أو أمرتَني أطعتُ . وسهمٌ في كنانتك أسْتَدُّ[٣] انْ أرسلتَ ، وأصدقُ حيث وجّهتَ . فقال له سليمان : ما قولك لو لقيتَ عدوّاً ؟ ـ قال : أقول « حَسبيَ اللهُ لا الهَ الاّ هوَ ، عليه توكّلْتُ »[٤] . ـ قال : أكنتَ مُتكفّياً[٥] بذلك لو لقيتَ عدوّك ؟ ـ قال : انّما سألتَني عمّا أنا قائل فأخبرتُك ، ولو سألتَني عمّا أنا فاعل لأنبأتُك . لو كان ذاك لضربتُ بالسيف حتى يتَعقّف ، ولطعنتُ بالرمح حتّى يتقصّف ، ولعلمتُ أنّي وانْ المتُ انّهم يألمون ، ولرجوتُ من الله ما لا يرجون . ـ قال له سليمان : أقرأت القرآن ؟ ـ قال : نعم ، قرأتُه صغيراً ، وتأمّمْتُه كبيراً ، وجعلتُه لي أميراً ، وعاملتُ[٦] عليه خبيراً . ـ قال : أفلَكَ مالٌ يُغنيك ، أو عرْضٌ من الدنيا يكفيك ؟ ـ قال : لم أزل بين والدَيْن لا يُنكّد لي مَعاش بينهما . ـ قال : فكيف برُك [٨٤] بهما ؟ ـ قال :

---

(١) كان من خيار خلفاء بني أميّة . فُتحت في أيامه كثير من المدن والأمصار . توفّي سنة ٩٩هـ .

(٢) أي يعطي للناس .

(٣) سدد سهمه الى المرمى : وجّهه . وسهم سديد : مصيب . ورمح سديد : قلّ ان تخطيء طعنته . واستدّ الشيء : استقام كأسدّ وتسدّد . قال الشاعر :

أعلّمه الرماية كلّ يوم فلمّا استدّ ساعده رماني

(٤) سورة التّوبة . الآية ١٢٩ .

(٥) كذا ما في المخطوط ، ولعلّ الأصل « مكتفياً » .

(٦) كذا ما في المخطوط ، ولعلّ الأصل « وعملتُ عليه » .

اخفض لهما من الذلّ جناحاً ، وأرغب الى الله في أن يُوليهما صلاحاً ، ويُلقيهما يوم اللقاء تحيّة ونجاحاً .

وانْ دَعَت الحاجة الى ذِكْر شيءٍ يوافق اسم حُرمةٍ للسلطان[١] ، وما لا تجوز المواجهة به ، أو تقع الطِّيَرَة[٢] منه ، أَورد ذاك باسمٍ مستعار . وتَجنَّب في هذا ما ينبو عن القلوب والأسماع[٣] ، كفعل عبدالملك بن صالح ، وقد أَهدَى الى الرشيد وَرداً ، فانّه كَتَب : « قد أنفذتُ الى حضرة أمير المؤمنين ورداً مِن بستانه في داره التي أسكَنَها ، في طبق من قُضبان » فلمّا قُرِىءَ ذلك على الرشيد ، قال أحد الجلساء : ما أبرد قوله في قُضبان ! فقال الرشيد : انّما كَنَّى[٤] به عن الخَيْزُران الذي هو اسم أُمّي[٥] ، وقد مَلَّح في الاستعارة وأجمل الأدب في هذه العبارة[٦] ! [٨٥] فاستُمْلِح ذلك ، بعد أن استُقْبِح ، واستُحْسِن بعد أن استُهْجِن . وكقول الفَضْل[٧] بن الرَّبيع ، وقد سأَله الرشيد ، صلوات الله عليه ، عن شجرة خِلاف ، وقال له : ما هذه ؟ ـ فقال : وفاق ،

---

(١) حكى التنوخي (نشوار المحاضرة ١ : ٩٧ ـ ٩٨) رواية طريفة في هذا الشأن ، وكذلك الأصفهاني (الأغاني ٥ : ١٧٤ ؛ بولاق) .

(٢) الطِّيَرَة : ما يتشاءم به من الفال الرديء .

(٣) راجع في هذا الشأن ما كتبه ابن عبد ربّه (العقد الفريد ٢ : ٣٠٠ ـ ٣٠٢) في « التفاؤل بالأسماء » .

(٤) نقل ابن عبد ربّه (العقد الفريد ٢ : ٤٦١ ـ ٤٧١) طائفة من الحكايات الطريفة في هذا الباب . فلْتراجَع .

(٥) الخيزران بنت عطاء ، زوجة المهدي وأمّ ابنيه الهادي والرشيد . توفيت ببغداد سنة ١٧٣هـ .

(٦) وردت هذه الرواية في : مروج الذهب ٦ : ٣٥٣ ـ ٣٥٤ ، فوات الوفيات ٢ : ١٣ ، محاسن الملوك ، ص ٢٩ ؛ المخطوط . ثمّ أنظر التاج للجاحظ ص ٨٥ . حاشية ٣ ، مطالع البدور ٢ : ١٣٦ .

(٧) أبو العبّاس الفضل بن الربيع بن يونس : كان حاجباً للمنصور والمهدي والهادي والرشيد . فلمّا نكب الرشيد البرامكة ، استوزره بعدهم . واستخلف الأمين ، فاقرّه في وزارته ، فعمل على مقاومة المأمون . وكان خبيراً بأحوال الخلفاء وآدابهم . مات سنة ٢٠٨هـ .

يا أمير المؤمنين(١) ! ــ وكقول العبّاس بن عبدالمطّلب ، وقد سُئل(٢) وقيل له : أيّما أكبرُ أنتَ أَم رسول الله ؟ ــ فقال : رسول الله أكبر ، وأنا أسَنُّ ، صلّى الله عليهما • وكقول سعيد بن مُرّة ، وقد دخل على معاوية ، فقال له : أنتَ سعيد ؟ ــ فقال له(٣) : أنا ابن مُرّة ، وأمير المؤمنين السعيد • ومن ضدّ ذلك ما حكاه الحسن(٤) بن محمد الصِلحيّ ، قال : لمّا صَرَفَ الراضي بالله ، رحمت الله عليه ، عبدالرحمٰن بن عيسى عن وزارته ، نكبه ونكبَ عليّ بن عيسى أخاه ، وصادر علياً على ألف ألف درهم ، وعبدالرحمٰن على ثلاثة آلاف(٥) دينار(٦) ، وكان [٨٦] ذلك طريفاً ، وحُصِّل عليٌّ مُعتقلاً في دار الخلافة ، وخاف أن يكون في نفس الراضي بالله عليه ما يدعو الى قتله ايّاه ، فراسلني ، وكنتُ اذْ ذاك كاتب محمد بن رائق ، يسألني خطاب الراضي بالله عن صاحبي في نقله الى دار وزيره ، الى أن يؤدّي ما قُرِّر عليه أمره • فجئتُ الى الراضي ، وقلتُ

(١) في « الفخري » (ص ٢٤٢) انّ « المنصور رأى يوماً في بستانه شجيرة من شجر الخلاف فلم يدر ما هي ، فقال : يا ربيع ما هذه الشجرة ؟ ••• » •

(٢) وردت هذه الرواية في : التاج ، ص ٨٨ ، المحاسن والأضداد ، ص ٢١ ، المحاسن والمساوىء ، ص ٤٩٠ ، محاضرات الأدباء ١ : ١١٧ •

(٣) أورد ذلك أيضاً الجاحظ في التاج ، ص ٨٧ ــ ٨٨ • وصاحب محاسن الملوك ، المخطوط ص ٢٨ • والبيهقي في المحاسن والمساوىء ، ص ٤٩٠ •

(٤) أحد مشايخ الكتّاب في أيام وزارة ابن الفرات •

(٥) اتفق المؤرّخون انّ عبدالرحمن بن عيسى عجز عن تمشية الأمور ، وضاق المال حتى استعفى من الوزارة • واختلفوا في تقدير المبلغ الذي صودر عليه وعلى أخيه عليّ بن عيسى • فمنهم من قال (ابن الأثير في الكامل ٨ : ٢٣٥) : انّ علياً صودر على مئة ألف دينار ، وصودر عبدالرحمن على سبعين الف دينار • واضاف آخر (مسكويه في تجارب الأمم ١ : ٣٣٨) الى ذلك انّ عليّ بن عيسى أدّى سبعين ألف دينار وقيل تسعين ألفاً (تكملة تاريخ الطبري ، ص ٩٥) • وادّى أخوه ثلاثين الف دينار • ثمّ صُرفا الى منازلهما • ومنهم من قال (ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ٣ : ٢٥٧) : انّ كلّ واحدٍ منهما أدّى سبعين ألف دينار •

(٦) ذكر هلال الصابىء هذه الحكاية بتمامها في تحفة الأمراء ، ص ٣٣٣ ــ ٣٣٤ •

له : يا أمير المؤمنين : عليّ بن عيسى خادمك وخادم آبائك ، ومَن قد عرفتَ محلّه من الصناعة ، وموقعه من جمال المملكة ، ومن حاله وأمره كذا وكذا • فقال : هو كذلك ، ولكنني أنقم عليه ذنوباً • وأخَذ يُعَدِّد ذنوب عبدالرحمن[1] • فقلتُ : يا مولانا ، وأي درك يلزمه فيما قَصَّر فيه أخوه ؟ ـ قال : سبحان الله ! وهل دَبَّر عبدالرحمن الاّ برأيه ، أو أمضى شيئاً أو وَقَفَهُ الاّ عن أمره وأمري ايّاهُ بألاّ يحلّ [٨٧] ولا يعقد الاّ بموافقته • وأقبلتُ أعتذر له ، وأجعل بازاء كلّ ذَنْبٍ حُجّة • فقال : دَعْ ذا • ما خاطبني الاّ قال : واك[2] • فهل تُتَلَقّى الخلفاء بمثل ذاك ؟ ـ فقلتُ : يا أمير المؤمنين ، انّ هذا طبعٌ له ، قد أُلِف منه وحُفِظ عليه ، وعِيبَ به في أيام خدمته للمقتدر بالله ، وما استطاع أن يفارقه مع نشأته عليه ، وتعوّده اياه • فقال : اعمل على انه خُلْقٌ ، أمَا كان يمكنه أن يُغَيِّره معما وَصَفْتَه به من الفضل والعقل ، أو يتحفّظ معي خاصّة فيه ، مع قلّة اجتماعه معي ومخاطبته ايّاي[3] • وما يفعل هذا الاّ عن تهاون وقلّة مبالاة ، فقبّلْتُ الأرض مراراً بين يديه ، وقلتُ : الله ! الله ! وان[4] يتصوّر مولانا ذاك فيه ، وانّما هو عن سوء توفيق • والعفو من أمير المؤمنين مطلوب • ولم أزل حتى أمَر بنقله الى دار وزيره ونُقِل ، وصَحَّح ما [٨٨] أُخِذ به خطّه • وصُرِف الى منزله •

---

(١) راجع في هذا الشان : تجارب الأمم ، والمنتظم ، والكامل في التاريخ ، والنجوم الزاهرة ، في حوادث سنة ٣٢٤هـ ، والفخري ، ص ٣٨١ ـ ٣٨٢ •

(٢) كانت عادة أبي الحسن بن الفرات في كلامه أن يقول للانسان : « بارك الله عليك » ، ومن عادة أبي الحسن عليّ بن عيسى أن يقول : « والك » أو « واك » ، فكان الناس يقولون : لو لم يكن من الفرق بين الرجلين الاّ حسن اللقاء وصرف ما بين القولين • انظر : تحفة الأمراء ، ص ٣٣٢ ـ ٣٣٣ •

(٣) في التحفة : « اجتماعي معه ومخاطبتي اياه » •

(٤) في التحفة : « أن يتصوّر » بلا واو •

وممّا هذه سبيله انشاد أبي النّجْم[١] الرّاجز هشامَ بن عبدالملك قصيدته[٢] التي أوّلها :

الحمدُ لله الوَهُوبِ المُجْزِلِ   أَعْطَى فلم يَبْخَلْ ولم يُبَخَّلِ

حتى انتهى الى قوله : والشمس قد صارت كعَيْن الأحول • فظنّ انه عَرَّض به[٣] • فأمَر بأن تُوجأَ[٤] عُنُقه •

وكقول ذي الرُّمَّة[٥] ، وقد أنشده[٦] :

مَا بَالُ عَيْنَيْكَ[٧] منها الماءُ[٨] يَنْسَكِبُ[٩]

كأنّهُ مِن كُلَى مَفْرِيَّةٍ سَرِبُ

فقال له : بل عينك[١٠] •

وقد كان المتنبّي افتتح قصيدته الهائية التي يمدح بها عضدالدولة[١١] ،

---

(١) اسمه المُفَضَّل ، وقيل الفضل بن قدامة • من رجّاز الاسلام الفحول المقدّمين • أخباره في الأغاني ؛ ط • الساسي ١ : ١٤١ و ٩ : ٧٣ ـ ٧٨ = (١٠ : ١٥٠ ـ ١٦١ ؛ ط• دار الكتب) ، و ١٨ : ١٤١ و ٢٠ : ١٧ •

(٢) هي أرجوزة ، وليست بقصيدة •

(٣) تفصيل الحكاية في الأغاني (١٠ : ١٥٥ ـ ١٥٦ ؛ ط• دار الكتب) •

(٤) يقال : وجأه باليد وبالسكين اذا ضربه •

(٥) أبو الحارث غَيْلان بن عُقْبَةَ العَدَوِيّ • شاعر مضري اسلامي بدوي • توفّي في خلافة هشام بن عبدالملك • وله ديوان قد طبع •

(٦) الصحيح انه أنشد عبدالملك بن مروان •

(٧) كذا ما في المخطوط ، والصحيح ما في الديوان (ص ١) ، والأغاني (١٦ : ١١٣ ؛ الساسي) ، والفرج بعد الشدة (٢ : ٣٤) عينك •

(٨) في الأغاني : الدمع •

(٩) قال جرير : ما أحببتُ أن يُنْسَب اليّ من شعر ذي الرُّمّة الاّ قوله : ما بال عينك منها الماء ينسكب • فانّ شيطانه كان له فيها ناصحاً • ثمّ قال : لو خرس ذو الرُّمّة بعد قصيدته « ما بال عينك ••• » لكان أشعر الناس •

(١٠) تفصيل الخبر في الأغاني (١٦ : ١١٣ ؛ الساسي) •

(١١) ديوان المتنبّي (ص ٥٥٢ ـ ٥٥٦ ؛ ط • عزّام = ٤ : ٢٦٩ ـ ٢٨١ ؛ ط • السقا وزملائه) •

وأنشده اياها[١] ، بقوله :

أوْهِ[٢] بَديلٌ مِن قَولتي وَاهَا[٣]

لمن نَأتْ والحديثُ[٤] ذِكراها .

[٨٩] فقال له : أُوَّهْ وكَيَّه . وقد كان قال في قصيدته الكافيّة التي ودّعَه بها :

وإمّا[٥] شِئْتِ يا طُرُقي فَكُوني

أذاةً أوْ نَجَاةً أوْ هَلاكا[٦] .

فقال عضدالدولة : يوشك أن يُصاب في طريقه[٧] . فكانت منيّتُه فيه .

ويُقال انّه دَخل على الداعي[٨] العَلَويّ ، شاعرٌ[٩] في يوم مِهْرَجان[١٠] ، فأنشده :

لا تقل بُشْرَى ولكن بُشْرَيان غُرَّةُ الداعيوَوجْه[١١] المهرجان

---

(١) بشيراز سنة ٣٥٤هـ .

(٢) تقال عند التوجّع .

(٣) تقال عند الاستطابة . وقد نقده الثعالبي (اليتيمة ١ : ١٢٣) ، وعجب من قوله هذا ، بافتتاح كلامٍ في مخاطبة ملك .

(٤) في ديوان المتنبي : والبَدِيلُ .

(٥) في ديوان المتنبي (ص ٥٨٦ ؛ ط. عزّام = ٢ : ٣٩٥ ؛ ط. السقا وزملائه) ، ويتيمة الدهر (١ : ١٨٩) : « وأيّاً شئتِ » ، وهو الصواب .

(٦) يقول : كوني أيّها الطريق كيف شئت ، فلا أبالي ، ولو كان فيه الهلاك .

(٧) قيل : انّ عضدالدولة ، قال : تَطَيَّرْتُ عليه من تركه النجاة بين الأذاة والهلاك .

(٨) هو الحسن بن قاسم العلويّ ، آخر رجال الدولة العلوية في طبرستان . قتل سنة ٣١٦هـ .

(٩) في يتيمة الدهر (١ : ١٢٤) : هو « ابن مقاتل » .

(١٠) المِهْرَجان : من أعياد الفرس المشهورة . أنظر « مِهْر والمِهْرَجان » : لابراهيم پور داود : مجلة « الدراسات الأدبية » (١ [بيروت ١٩٥٩] ٢ ـ ٣ ، ص ١٢٤ ـ ١٤٦) .

(١١) في يتيمة الدهر : ويوم المهرجان ، وهو الصحيح .

فبَطَحَه وضربَه خمسين عصاً ، وقال : اصلاح أدبه أبلغ في ثوابه[١] .

وكان اسماعيل بن عبّاد ، أنشد عضدالدولة في وروده الى حضرته بهَمذان ، قصيدةً بائية لُقِّبت « اللاّكنيّة » لقوله في ابتدائها :

أُشَبِّبُ « لكن » بالمعالي أُشَبِّبُ   وأنسبُ « لكن » بالمفاخر أنسُبُ

ولي صبوة « لكن » الى حضرة العُلي   وبي ظَمأ « لكن » من العِزّ أشربُ

ويقول فيها في ذكر أبي تَغْلِب[٢] بن حَمْدان [٩٠]

ضَمَمْتَ[٣] على أبناء تَغْلِب تأْيهَا

فتَغْلِبُ ما كرَّ الجديدان تُغْلَبُ

فتَطيَّر عضدالدولة من مُواجهته اياه بتُغْلَب ، وقال : يكْفي الله .

وهذه أمور وانْ قَلّت وصَغُرت ، فلها تأثير في الصّدور ، وموقع من استشعار السّوء أو السّرور . وسبيل الحازم أن يَتَيَقّظ فيها ، ويتحفّظ منها . وما أحسن ما قال ابن الروميّ ، وقد قال له ابراهيم الزجّاج[٤] : أراك تكثر التفاؤل والطيرة[٥] . فما اعتقادك في ذاك ؟ ـ قال : الفأْل لسان الزمان ، والطيرة عنوان الحدْثان .

واياك وأن يدعوك أنْسُك بالسلطان ، وانبساطك معه الى التقصير به ، أو الادلال عليه . وخُذْه في المعاملة باستشعار الهيبة ، واستعمال المراقبة ، وزِدْه من الاعظام والكرامة ، مع تأكّد الحُرْمة

---

(١) نفر الداعي العلوي من قول الشاعر « لا تقل بُشْرَى » أشدّ نفار . أنظر : اليتيمة ١ : ١٢٤ .

(٢) من مشاهير بني حمدان . ملك الموصل وديار ربيعة وغيرها . قتل سنة ٣٦٩هـ .

(٣) لعلّها : هَجَمْتَ .

(٤) من أكابر علماء العربية . أخذ الأدب عن المبرّد وثعلب . له مصنفات كثيرة في اللغة . توفّي سنة ٣١١هـ .

(٥) عقد الدينوري (عيون الأخبار ١ : ١٤٤ ـ ١٥١) فصلاً مسهباً في « الطيرة والفأل » ، وابن عبد ربّه (العقد الفريد ٢ : ٣٠٠ ـ ٣٠٣) في « الطيرة والتفاؤل بالأسماء » ، وكذلك النويري (نهاية الأرب ٣ : ١٤٣ ـ ١٤٩) .

[٩١] وتَمادي المُصاحبة(١) • ودع التَبَجُّح بكفاية انْ كانت فيك ، أو المطالبة بما تقتضيه آمالك ، ودواعيك ، فانّ زيادة الدّالّة مَفْسَدة للحُرْمة ، ومُواصلة الاستزادة مجلبة للبغضة • وقد حُكي انّ المأمون ، صلوات الله عليه ، عرض على المُعَلّى بن أيّوب عملاً يُقَلّده اياه ، فاستعفاه منه • فقال له : الخائن أسْهَل أمراً عليَّ مِن الأمين ، لأنّه لا يُدِلّ ولا يَتَسَحَّب • وقال المنصور ، صلوات الله عليه في أبي مسلم(٢)، أدَلَّ فأمَلَّ ، وأوجَفَ فأعْجَفَ • وقال في خطبته يَذْكُرُه : ولم يمنعنا وُجُوبُ الحقّ له ، مِن ايجاب الحقّ عليه(٣) •

وحَدَّث عُبيدالله بن عبدالله بن طاهر ، قال : كنتُ بحضرة عبيدالله بن سليمان ، فرمى اليَّ برقعة ، وقال : أما ترى هذا التصريح [٩٢] والتهجين القبيح ؟ • فنظرتُ فيها ، فوَجَدْتُها رقعة حمد(٤) بن محمد الكاتب ، وقد ضَمَّنَها :

بَيْنَنا حُرْمَةٌ وعَهْدٌ وَثيقُ ... وعلى بعضنا لبعضٍ حُقُوقُ
فاغتنمْ فُرصةَ الزمان فما يَدْ ... ري مُطيقٌ مِنّا مَتَى لا يُطيقُ

فقلتُ : الوزير ، أيّده الله ، مُنْتَهى الآمال ، وحَقيقٌ بالاحسان والافضال • قال : الاّ انّ الدّالّة ربّما أخْرَجت الى الخَرْق ، وغيَّرت

---

(١) قال بعض العقلاء : مثل السلطان كمثل النار فلا تقرب منها قرباً تباشر فيه لهبها ، ولا تبعد عنها بعداً تفقد معه ضوءها •

(٢) قتل أبو مسلم سنة ١٣٧هـ (٧٥٥م) •

(٣) خطب المنصور بالمدائن عند قتل أبي مسلم الخراساني • وقد نقل تلك الخطبة الشهيرة غير واحدٍ من الكتبة والمؤرّخين • أنظر : تاريخ الطبري (٣ : ٤٣٣) ، مجمع الأمثال (ص ٣١٨) ، مواسم الأدب (٢ : ١٢٠) ، جمهرة خطب العرب (٣ : ٢٦ ـ ٢٧) • وفي هذه المراجع قول المنصور : « ولم تمنعنا رعاية الحق له ، من اقامة الحقّ عليه » •

(٤) هو أبو عبدالله حمد بن محمد القُنّائي الكاتب • ابن أخت الوزير الحسن بن مَخْلَد الجرّاح • خلف خاله على ديوان الخراج ، وولي أعمالاً جليلة من العمالات والدواوين •

جميل الخلق . ـ قلتُ : وليست دالّة ذوي الانْس موجبةً غضباً ، ولا قاطعةً سبباً . ومِن شِيم الفاضلين ، الاحسان الى الخَدَم المؤمّلين .

ومتى أراد الوزير أن يكتب شيئاً بحضرة الخليفة اذا أَمَرَه به ، فقد كانت العادة جاريةً بأن يكون في خُفِّ الوزير أو الكاتب دواة لطيفة بسلسلة [٩٣] ودَرْج ومَطْيَنَة[١] فيها أَسَاحِي[٢] وطِين[٣] . فاذا أراد أن يكتب ، علّقَ الدَواة في يده اليسرى ، وأَمسك الدَرْج بيده اليمنى ، واذا فرغ ، أَصلح[٤] الكتاب وأَسْحاه[٥] ، ووضع الطّين عليه وختمه[٦] وأَنفذه .

وقيل : انّ الواثق بالله[٧] ، رحمت الله عليه ، آلَى على نفسه ليقتلنّ محمد بن عبدالملك الزيّات[٨] ، متى قدر عليه وأُفْضِي الأمر اليه ، وذاك

---

(١) المَطْيَنَة : أداة فيها طين أحمر يُخْتَم به .

(٢) الأساحي ، جمع إِسحاءَة : وهي قصاصة من الورق كالسّير في عرض رأس الخنصر ، تلفّ على الكتاب ـ أي الخطّ أو الرسالة ـ بعد طيّه ، ثمّ يلصق رأسها . وتتخذ أيضاً من شَرّابة ابريسم سوداء . وذكرت في هذا الكتاب أيضاً (ص ٤٢) بصورة « سحاة » .

(٣) كان الكاتب يختم الكتاب بخاتم الخليفة أو السلطان او غيرهما . يُغْمَس في طين أحمر مذاب بالماء ، ويسمّى طين الختم .

(٤) أي يُصْلِح ما لعلّه وَهِم فيه الفكر أو سبق اليه القلم .

(٥) بعد اصلاح الكتاب يطوى . وهو أن يلفّ بعضه على بعض لفّاً خاصّاً . وللناس في صورة الطيّ طريقتان : الأولى : أن يكون لفّه مدوّراً كانبوبة الرمح . الثانية : أن يكون طيّه مبسوطاً في قدر عرض أربعة أصابع مطبوقة .

(٦) أي شدّ رأس الكتاب وختمه بالخاتم حتى لا يطّلع أحد على ما في باطنه .

(٧) الواثق بالله ابن المعتصم . دامت خلافته من سنة ٢٢٧ الى ٢٣٢هـ (٨٤٢ ـ ٨٤٧م) .

(٨) أديب شاعر ، استوزره المعتصم ، ثمّ الواثق . ولمّا تولّى المتوكل الخلافة قبض عليه . ومات منكوباً سنة ٢٣٣هـ .

لقبيح عامَله محمد بن عبدالملك به ، والخبر مشهور فيه[1] . فلمّا تقلّد الخلافة وأراد أن يكتب كتاباً ، فأمَر كُتّابه ما خلا محمد بن عبدالملك ، بأن يُقَرّروا[2] نُسْخَتَه له ، فكتب كلٌ منهم بما لم يوافق ما في نفسه ، ودخل محمد بن عبدالملك ، وهو على جملة اعتقاده في النُبُوّ عنه ، واعتزام السوء فيه . فقال له : أكتب يا محمد في معنى كذا كتاباً ، فأخرج دواةً ودَرْجاً مِن خُفّه [٩٤] وكتب بما استوفى المعنى فيه ، وعرضه عليه ، فكان على ما في نفسه وقال له : أنتَ الذي يحتاج اليه الملك مِن هاهنا ، ووضع سبّابته في أصل أذنه ، وخرج اليه بما في صدره منه ، وقال له : استبقاؤك والاحتفاظ بك أَوْلَى مِن اطاعة الحفيظة فيك ، وقد حلفتُ على ما اعتقدتُه فيك بيمين هي كذا ، فاطلبْ لي مخرجاً ومخلصاً منها[3] ، واطلق مِن مالي كلّ ما أَبْرأ به مِن الحنث فيها ، وأقرّه على وزارته ، وكان هذا الرسم جارياً الى أن تغيَّر في أيام المقتدر بالله ، صلوات الله عليه ، فانّ المقتدر أَمَر عليَّ بن عيسى أن يكتب بحضرته كتاباً عنه باسْقاط مال

---

(١) تفصيله في نشوار المحاضرة ٨ : ١٤ — ١٥ .

(٢) في النشوار « ... فتقدّم الواثق الى الكتّاب دونه بأن يكتب كل منهم نسخة بخبر وفاة المعتصم وتقلّده الخلافة ... » .

(٣) في الفخرى ، ص ٣٢٣ — ٣٢٤ : لمّا « مات المعتصم وجلس الواثق على سرير الخلافة ، ذكر حديث ابن الزيّات ، فأراد أن يعاجله ، فخاف أن لا يجد مثله ، فقال للحاجب : أدخل اليّ عشرةً من الكتّاب ، فلمّا دخلوا عليه اختبرهم ، فما كان فيهم من أرضاه . فقال للحاجب : أدخل مَن المُلْك محتاج اليه محمد بن الزيّات . فادخله ، فوقف بين يديه خائفاً . فقال لخادم : أحضر اليّ المكتوب الفلاني . فاحضر له الكتاب الذي كان كتبه وحلف فيه ليقتلنّ ابن الزيّات . فدفعه الى ابن الزيّات ، وقال : اقرأه . فلمّا قرأه ، قال : يا أمير المؤمنين أنا عبد ان عاقبته فأنت حاكم فيه ، وان كَفّرْتَ عن يمينك واستبقيته كان أشبه بك . فقال الواثق : والله ما أبقيتك الاّ خوفاً من خلوّ الدولة من مثلك ، وسأكفّر عن يميني فانّي أجد عن المال عوضاً ، ولا أجد عن مثلك عوضاً . ثمّ كفّر عن يمينه واستوزره ... » .

التكملة[١] عن أهل فارس ، فأخرج من خُفّه الدواة اللطيفة التي ذكرناها ، وعلّقها بيده اليسرى ، وأخذ الدَرْج باليُمْنى [٩٥] ورآه المقتدر بالله ، وقد شَقّ ذلك عليه ، فأمر باحضار دواته ، وأن يقف بعض الخدم معه فيُمْسِكها حتى يفرغ من كتابته . وكان أوّل وزير أُكرِم بهذا ، ثمّ صار رسماً للوزراء بعده[٢] .

وليس من الأدب أن يُستَسْقَى الماء في دار الخلافة ، ولا من الرسم أن يُسْقَى . هذا في عموم الناس . فأمّا الخواصّ ، فربّما فُسِح لهم في ذاك على وَجْه الاكرام . والأَوْلَى ألّا يكون .

وحدّثني ابراهيم بن هلال جدّي ، قال : حضر المهلّبي دار المطيع لله ، رحمة الله عليه ، لأَمْرٍ عرض ، فالى أن يؤذن له ويصل ، ما استسقى ماءً . وتأخّر الى أن دَخَل الى حضرته ، وخرج ، ونزل الى طيّاره ، ولحقه خادم معه غلام تركيّ وضيءُ الوجه ، حسن الثياب ، وفي يده شَرابيّ[٣] ذهب ، فيه كوز بِلّور وعليه منديل دَبيقي[٤] [٩٦] وبيده الأخرى منديل شراب . فشرب المهلّبي . فلمّا فرغ وسلّم الكوز الى الغلام ، قال الخادم

---

(١) في المئة الثالثة للهجرة غلب بنو الصفّار على فارس . فجلا قوم من أرباب الخراج عنها لسوء المعاملة . فقررت الحكومة خراجها على من بقي . وسمّي ذلك بـ « التكملة » ، لأنّه كمل بها قانون فارس القديم . ولم تزل هذه التكملة تُستَوْفَى حتى أعيد افتتاح فارس سنة ٢٩٨هـ ، فتظلّم أهل فارس . وورد قوم من أجلادهم الى بغداد لرفع ظلامتهم فجمع المقتدر مجلساً من القضاة والفقهاء والكتّاب والعمّال والقوّاد ، فافتى الفقهاء ببطلان التكملة . وصدر كتاب الخليفة بذلك سنة ٣٠٣هـ . راجع : نشوار المحاضرة (٨ : ٦٨ ــ ٧٥) ، تجارب الأمم (١ : ٢٨ ــ ٢٩) ، تحفة الأمراء (ص ٢٨٦ ، ٣٤٠ ــ ٣٤٥) .

(٢) راجع في هذا الموضوع ، نشوار المحاضرة (٨ : ٧٢) ، تحفة الأمراء (ص ٣٤٢) .

(٣) شرابيّ : صينية يُجْعَل عليها أقداح الشراب . والذي يسعى في تقديم الأقداح يسمّى شرابياً أيضاً .

(٤) الدَّبيقيّ ، منسوب الى دَبيق : بليدة كانت من أعمال مصر . تنسب اليها الثياب الدبيقية الشهيرة . تحمل الى جميع البلدان .

للغلام : امضِ مع الوزير . فقال المهلّبي : ولِمَ ذاك ؟ ـ قال : لأنّه لم تجرِ العادة يا سيدي بأن يخرج عن دار الخلافة شيءٌ مِن هذه الأشياء ويعود اليها ، وقد رُسِم لي ما فَعلتُ ولا قدرةَ لي على مخالفته . والغلام الآن عندك ، وما معه لك . وأصعد المهلّبي ومعه جميع ذلك .

وما أليق هذا الفعل بأفعال السلف مِن هذه الشجرة الشريفة ، فانّ المكنّى أبا عبيدة[1] معمر بن المثنّى ، قال : حَجّ ضِرار[2] بن الأَزْوَر في الجاهلية ، فرأى متاعاً عند بعض التجّار ، فأعجبَه وساومه فيه وابتاعه منه بثلاثين بعيراً ، وقال له : أَقِم لي ضميناً ، فدخل الى [٩٧] المسجد الحرام ، ورأى العبّاس بن عبدالمطّلب ، صلوات الله عليه ، في حلْقة ، وهو بارع الجمال[3] . فقال : مَن هذا ؟ ـ قالوا : ابن شَيْبَة الحَمْد[4] العبّاس بن عبدالمُطّلب . فأتاه وقال له : يا ابن شَيْبَةَ الحَمْد ، أنا ضِرَار بن الأَزْوَر ، وخَبَّرَه بقصّته مع التاجر . فقال : ايتِني به .

---

(١) خ : « أبا عبيدالله » وهو تصحيف ، صوابه « أبا عُبَيْدة » .
وهو مَعْمَر بن المثنّى البصري . كان من أعلم الناس باللغة وأنساب العرب وأخبارها . وهو أوّل من صنّف غريب الحديث . وكان أبو نؤاس يتعلّم منه ويمدحه . وقال الجاحظ : لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم منه . قيل انّ تصانيفه تقارب المئتين . مولده في البصرة ، وبها توفّي سنة ٢٠٨هـ .

(٢) أحد الأبطال في الجاهلية وفي الاسلام . كان شاعراً مطبوعاً . حضر وقعة اليرموك ، وفَتْح الشام . وقاتل يوم اليمامة أشدّ قتال ، حتّى قطعت ساقاه ، فجعل يحبو على ركبتيه ويقاتل والخيل تطأه . مات سنة ١١هـ .

(٣) قال المؤرّخون : انّ العبّاس كان جميلاً أبيض غضّاً ، ذا ضفيرتين ، معتدل القامة . وقيل : بل كان طويلاً . أنظر : الأعلاق النفيسة ، ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦ ، ولطائف المعارف ، ص ٦٨ ؛ ط . ليدن = ص ١١٢ ؛ ط . القاهرة ، ونكت الهميان ، ص ١٧٧ . والبداية والنهاية ٧ : ١٦٦ .

(٤) في (الكنز المدفون ، ص ٨٦) انّ « شَيْبَة الحَمْد هو عبدالمُطّلِب ، وذلك انّه لمّا وُلِد كان في ذؤابته شعرة بيضاء » .

فأتاه به . وضمن له الابل على أسنانها ، وأخذ ضرار المتاع وانطلق به . ثمّ جاء بالابل فوجد التاجر قد أخذها من العبّاس ، فجاءَه وأعلمه احضارَه الابلَ ليأخذها مكان ما دفعه عنه ، فقال : انا أهلُ بيتٍ ، اذا أخرجنا من أموالنا شيئاً لم نرتجعْه ، فشأنك بابلك . فعاد ضرار بها ، وقال :

آبَتْ الى الحيّ أدماءٌ مُزَنَّمة ... لُحٌ محاجرُها وُرقٌ وأعياسُ

أقامها ماجد الجدَّيْنِ ذو فَخَر ... ضخْمٌ دسيعتُهُ بالحَمْد مكّاسُ

ما ناب حيٌّ[1] من الأحياء نائبةٌ ... الاّ تَحَمَّلَ عنها ذاك عبّاسُ

[٩٨] فتى قريشٍ وفي البيت الرفيع بها ... واري الزناد ما أصلد الناسُ

(١) كذا ما في المخطوط . والصواب : حيّاً .

قوانينُ الحِجابَةِ (١) ورُسُومُها

سبيل الحاجب ، أن يكون نَصَفاً(٢) ، مُكتهلاً(٣) ، قد أَحكمته الأمور وحَنَّكَتْهُ ، أو شيخا متماسكا قد عجمته الدهور وعركته . وله عقل وحزْم يَدُلاّنه على صواب ما يأتي [وما](٤) يَذَر ، فهو صَبْحان(٥) له مسالك ما يورد ويصدر ، وأن يُرتّب الحواشي فيما يَتَولَّوْنَه ترتيبا لا يجاوز بكلّ منهم فيه حَدّه ، ولا يُحمّله ما لا يُطيقه . ثمّ يُراعيهم مُراعاةً تدعوهم الى التحرّز في الأفعال والتحفّظ في الأعمال ، ومداومة الخدمة من غير اخلال ، وملازمة الحشمة من غير استرسال(٦) .

[٩٩] وحدّثني ابراهيم بن هلال جَدّي ، قال : حدّثني جعفر(٧) بن وَرْقاء الشيباني ، قال : كنتُ في أيام المعتضد ، رحمت الله عليه ، مع

---

(١) خ : « الحجبة » . ـ والحجابة : حفظ باب الخليفة أو الملك أو الوزير ، والاستئذان للداخلين عليه . ويقال لمن يتولاّها : الحاجب .

(٢) النَصَف : من كان متوسّط العمر .

(٣) من كان بين الثلاثين والخمسين من عمره .

(٤) زيادة اقتضاها سياق العبارة .

(٥) أي صبيح الوجه .

(٦) قال المنصور للمهدي : لا ينبغي أن يكون الحاجب جهولاً ولا عيياً ولا غبياً ولا ذهولاً ولا متشاغلاً ولا خاملاً ولا محتقراً ولا جهماً ولا عبوساً .
وقال سهل بن هارون للفضل بن سهل : اتّخذ حاجبك سهل الطبيعة ، معروفاً بالرأفة ، مألوفاً منه البرّ والرحمة ، وليكن جميل الهيئة حسن البسطة ، ذا قصد في نيته وصالح أفعاله ، ومره فليضع الناس على مراتبهم ، وليأذن لهم في تفاضل منازلهم .
أنظر : رسائل الجاحظ ، ص ١٥٩ ـ ١٦٠ .

(٧) من بيت امرة وتقدّم وآداب . اتصل بالمقتدر . وتقلّد عدّة ولايات . كان شاعراً كاتباً ، مات سنة ٣٥٢هـ .

نظرائي من أولاد الأمراء والقُوّاد ، مرسُومِين بالمُقام في الدار[١] على رَسْم الخِدْمة بنوائب كانت لنا ، وكنّا نجتمع في حجرة نستريح فيها بعد انقضاء الخِدْمة وانصراف الموكِب ، فَنَنْزَع خفافنا ، ونضع عمائمنا عن رؤوسنا[٢] ، ونلعب بالشِّطْرَنج والنَّرْد . فاطَّلَع علينا أحد أصحاب الأخبار[٣] في الدّار ، فكتب بخبرنا الى المعتضد بالله ، ونحن لا نعلم . فلم يبعد أن خَرَج خادم صغير مِن خواصّ الخدم ، وفي يده الفَصْل المرفوع في أمرنا ، وعلى ظهره توقيع بخطّ المعتضد بالله رحمت الله عليه ، حكايته : « يَسْتَصْفِعُونَ وما لهم مِن صافح » . فسلّمه الى خفيف السَّمَرْقَنْدي الحاجب[٤] ، وصنع الله لي أنْ لم يكن ذلك في يوم نَوْبَتي ، فحين وقف على الفصل [١٠٠] والتوقيع ، انزعج ، ونهض ، واستدعى مَن كان في النَّوْبَة ، فضَرَب كلّ واحدٍ منهم عِدّة مقارع . فما رُئي بعد ذلك الاّ لازمٌ للتوقُّر على الخدمة ، متجنِّبٌ للتبذُّل[٥] .

وحدّث ابن دهقانة النديم ، قال : شرب المعتصم بالله ، رحمت الله عليه ، دواءً ، فلمّا خرج منه ، دعا بصينية ذهب ، فيها رِطْلٌ[٦] بِلَّوْر ،

---

(١) يعني « دار الخلافة » .

(٢) راجع ما كتبناه بعنوان : « نزع العمائم في دور الخلفاء والأمراء والسلاطين وبحضرتهم » : الرسالة (١٠ [١٩٤٢] ، العدد ٤٥٣ ، ص ٣١٠ — ٣١١) .

و « العمائم : رسوم لبسها ونزعها في دور الخلفاء والأمراء والسلاطين وبحضرتهم » : الثقافة (٦ [١٩٤٤] ، العدد ٢٨٥ ، ص ١٦ — ١٩) .

(٣) أصحاب الأخبار : الجواسيس .

(٤) من مشاهير الحجّاب في أيام المعتضد والمكتفي .

(٥) ممّا يناسب هذه الحكاية ، ما ذكره الشابشتي (الديارات ، ص ٢٥ — ٢٦) في معرض كلامه على « دير مديان » . وقد أسهب في ذكر أخبار ابراهيم بن اسحاق الطاهري . فلتراجع .

(٦) رِطْل جمعه أرطال : وعاء يسع رطلاً من الخمر . يقابله في وقتنا عند الأفرنج « لتر Litre » .

فيه جُلاَّب(١) يغيّر به الماء ، فوُضع بين يديْه ، ودخل اسحاق بن ابراهيم المُصْعَبيّ ، وجاء وصيف ، فاستأذن لجماعة من القضاة لأمر احتيج الى حضورهم فيه ، فأذن المعتصم في دخولهم ، فقال له اسحاق : لا تأذن لهم ، ثمّ قال لمارد الخادم : ارفع هذا الشراب من بين يَدي أمير المؤمنين ، فرفعه ، وقال لايتاخ(٢) : ايذن لهم الآن ، فدخل القوم ثمّ خرجوا . وقال اسحاق لايتاخ : اردُد شراب أمير المؤمنين ، فردّه ، وأنكر المعتصم [١٠١] فعله . وقال له : ما حملك على خلافي ، وانّما هو جُلاَّب أردتُ تغيير الماء به . فقال : ما أردتُ خلافك ، يا أمير المؤمنين ، ولكنك الإمام الذي يقيم الحدود ويُغَيّر المنكر . وشهادة هؤلاء القضاة ، تضرب الأعناق ، وبمشورتهم تُعقد الأمور ، ولو رأوا الشراب بين يديك ، لم يقدم أحد على أن يسألك عنه ، أو يستثبتك فيه ، ولقال واحد : جُلاَّب ، وقال آخر : خمر . فعدوٌّ يحقق الظنّة ، ووليٌّ يدفع ذلك . وقد قيل : ادفع ما يريب الى ما لا يريب . قال : أَصَبْتَ يا أبا الحسن ووُفِّقْتَ . !

وكان محمد(٣) بن عمر بن يحيى العلويّ ، حَضَر دار المطيع رحمت الله عليه في أيّام شرف الدولة(٤) ، ومعه نِحرير(٥) الخادم ، ومحمد(٦) بن الحسن بن صالحان الوزير اذ ذاك ، وابن الخيّاط صاحب

---

(١) ضرب من الأشربة ، وهو العسل أو السكّر ، عقد بوزنه أو أكثر من ماء الورد . مركّب من (گل) أي (وَرْد) ، ومن (آب) أي (ماء) . وهو فارسي معرّب .

(٢) من رجال دولة المعتصم ومن بعده الواثق فالمتوكل . مات سنة ٢٣٥هـ .

(٣) هو الشريف أبو الحسن العلوي الكوفي . كان المقدّم على الطالبيين في وقته . مات ببغداد سنة ٣٩٠هـ .

(٤) ابو الفوارس شيرويه بن عضدالدولة البويهي . تملّك بغداد بعد أبيه . مات سنة ٣٧٩هـ .

(٥) قتل سنة ٣٧٩هـ .

(٦) وزر لشرف الدولة بن عضدالدولة البويهي ، ثمّ لأخيه بهاءالدولة . توفّي في بغداد سنة ٤١٦هـ .

ديوان الرسائل ، والحسن بن محمد بن نصر صاحب ديوان الخبر والبريد ، وكلّهم [١٠٢] بالسَّواد[١] ، سوى محمد بن عمر ، فانّه كان ببياض • فخرج اليهم مُؤْنس الفَضلي الحاجب ، وقال لمحمد بن عمر : ليس هذا اللباس ، أيّها الشريف ، لباس الدّار ، ولا حضورك حضور مَن يريد الوصول[٢] • ـ فقال له : كأنَك أَنكرتَ البياض[٣] ؟ ـ قال : نعم • ـ قال : هذا زِيّي وزِيُّ آبائي • ـ قال : ما الأمر على هذا ، ولا رأيتُ أحداً مِن أسلافك دخل هذه الدّار الاّ بالسَواد • ولقد حضر عمر[٤] بن يحيى

---

(١) كان الرسم اذ ذاك أن لا يصل أحد الى الخليفة في يوم موكب أو غيره الاّ بسواد •

والسواد شعار بني العبّاس ، وكان أشياعهم يرتدون به • ولذلك سمّاهم التاريخ « المسوّدة » (بكسر الواو المشددة) • أمّا بنو أميّة فكان شعارهم البياض • وذووهم والمنتصرون لهم يسمّون « المبيِّضة » (بكسر الياء المشدّدة) •

وأوّل ما لبس العبّاسيون السواد حين قتل مروان ، ابراهيم بن محمد الامام ، لبسوه حزناً عليه ، فصار شعاراً لهم • وأول رجل لبس السواد عبدالله بن عليّ بن عبدالله بن عبّاس عمّ السفّاح والمنصور •

(٢) ممّا يناسب هذه الحكاية ما ذكره ابن خلكان (وفيات الأعيان ٢ : ١٣٦) ، في ترجمة الشريف البياضي الشاعر • قال : « ••• وانّما قيل له البياضي ، لأنّ أحد أجداده كان في مجلس بعض الخلفاء مع جماعة من العبّاسيين ، وكانوا قد لبسوا سواداً ما عداه فانّه كان قد لبس بياضاً • فقال الخليفة : مَن ذلك البياضي ؟ فثبت ذلك الاسم عليه واشتهر به ••• » •

(٣) يحكى عن الشريف الرضي انّه أول عظيم من عظماء العلويين ألقى سلاح النضال وغيّر لباس السواد بلباس البياض على الرسم العبّاسي للعمّال ورجال الخلافة ، تاركاً الشعار الذي كان يلبسه آباؤه بكبرياء يوازي ما كانوا يشعرون به من حزن • وهو يشير في بعض شعره الى انّ حذره راجع الى شيء من الكآبة والهمّ الذي انطوت عليه نفسه • أنظر ديوان الشريف الرضي (٢ : ٥٢٤ ـ ٥٢٧ ؛ بيروت ١٩٦١) •

(٤) الشريف أبو عليّ عمر بن يحيى العلويّ • اشتهر بوساطته بين الخليفة المطيع لله والقرامطة لرجع الحجر الأسود الى مكّة • فرجعه سنة ٣٣٩هـ •

وكان يتولّى أمر الحاج في كثير من السنين •

أبوك عندنا في أيّام المطيع لله[١] ، رحمت الله عليه ، لتقرير أمر الحاج ، ومَن يخرج معه ، وهو بسَواد أَسْوَد • ــ فقال : ما مَعْنَى سَوَاد أَسْوَد ؟ ــ قال له : سَوَادٌ مَصْبوغٌ • وانّني لأَذْكُرُه وقد عرق ، والسَواد يجري على جبينه وهو يَمْسَحُه بشُسْتَجَة[٢] في يده • ــ قال له محمّد بن عمر : فما الذي تريدُه أيّها الحاجب ؟ ــ قال : أن تُغَيِّر هذه اللُبْسَة وتفعل ما [١٠٣] جرت به العادة[٣] • ــ قال : أو انصَرِف ! ــ قال : الاختيار اليك • وقام محمد بن عمر ونزل الى زَبْزَبه ، وانصرف الى داره • ووجمت الجماعة ممّا جرى ، وعجبتُ منه • حدّثني بذلك عليّ بن عبدالعزيز بن حاجب النعمان •

وممّا ينكر ، دخول الداخل الى دار الخلافة بنَعْل أو خُفّ أَحْمَر وَلالَكَة[٤] حمراء ، لأنّ الأحمر لباس الخليفة وبعده الخوارج عن الطاعة • واتفق أن دَخَل ابن أبي الشوارب القاضي ، ــ وكان مِن جِلّة القضاة وممَّن يرجع بنسبه الى بني أُميّة ، ــ دار المطيع لله ، رحمت الله عليه ، بخُفّ أحمر ، ورآه المُكَنَّى أبا الحسن[٥] بن أبي عمرو الشَرابيّ الحاجب ، وكانت بينهما عداوة ، فقال له : تأتي أيّها القاضي الى خليفة آبائك في العِناد والمباينة • يا غلام [١٠٤] انزع خُفّه وأَعْلِ به

---

(١) تقدّم قول المؤلّف انّ محمد بن عمر العلويّ ، حضر دار المطيع ، وكلامه ها هنا يخالف ذلك ، فلعلّ الأصل « حضر دار الطائع لله » : (الدكتور مصطفى جواد) •

(٢) الشُسْتَجَة : هي المنديل أو القطعة التي يُتَمَسَّح بها ، وتسمّى اليوم عند العراقيين : المنديل أو الكَفيّة •

(٣) كانت عادة خلفاء بني العبّاس في المئتين الثالثة والرابعة للهجرة ، أن يلبسوا قلنسوة محدّدة وقباء ، وكلاهما أسود • وهذا هو لباس وجوه رعيتهم أيضاً • وكذلك كان عَلَم الخلافة أسود ، عليه بالكتابة البيضاء « محمد رسول الله » •

(٤) ضَرْب من الأحذية • والكلمة فارسية •

(٥) اسمه محمّد • ذكره صاحب تكملة تاريخ الطبري (ص ٢١٣) في حوادث سنة ٣٦٣هـ •

رأسه ، وتَناوَلَه من المكروه قولاً وفعلاً بما أَسْرَفَ فيه . وعرف المطيع لله ذلك ، فلم يُنْكِره . وانصرف ابن أبي الشوارب الى داره ، فاحتجب فيها ولم يخرج منها حَياءً وكمداً . وكانت وفاته[1] عقيب هذه القصّة .

وحدّثني ابراهيم بن هلال جَدّي ، قال : حدّثني المُكَنّى[2] أبا عليّ الحسن بن محمد الأنباريّ ، قال : كنتُ أخطّ بين يدَي دِلْوَيه[3] الكاتب وهو يتولّى كتابة سَلامة[4] أخي نُجْح[5] الملقّب في أيّام القاهر بالله بالمؤتمن ، وسَلامة اذ ذاك حاجب القاهر بالله ، وكنتُ أجلس في دهليز باب الخاصّة[6] الذي يلي دجلة من دار السّلطان ، فأخدم صاحبي فيما يستخدمني فيه ، فانّي لجالس متعلّق على دكّة هناك ؛ اذْ جَعَلْتُ احدى رجليّ على [١٠٥] الأُخرى ، وكان بازائي صديق لي من خلفاء الحجّاب يَوَدُّني وُدّاً شديداً ، فوثب اليّ وضَرَبَ رجلي ضربةً مؤلمةً بعصاً كانت في يده ، فقمتُ مَذْعوراً . فقال : يا أبا عليّ ، اعرف لي موضع مسامحتي ايّاك ، ووالله لو أنّ هاهنا مَن أتخوّف أن يَرْفَع الخَبر ، لما قدرتُ على مسامحتك . فقلتُ : وأيّ شيء أنكرتَ منّي ؟ وبأيّ شيء سامحتَني ؟ ـ فقال : نحن مأمورون اذا رأينا أحداً من الناس كلّهم قد جلس في دار السّلطان هذه الجِلْسَة التي جَلَسْتَها ، ووضع احدى رجلَيْه على الأخرى ، بأن تُجَرّ رِجْله من موضعه حتى

---

(١) توفّي سنة ٣٤٧هـ .

(٢) خ : المكنّا .

(٣) هو ابو محمد دِلْوَيْه كاتب نصر القشوري الحاجب أيام المقتدر بالله والقاهر بالله .

(٤) سلامة الطولونيّ الحاجب ، المعروف بالمؤتمن . حجب جماعة من الخلفاء ، منهم القاهر والراضي والمتقي حتى سنة ٣٣٢هـ .

(٥) نُجْح الطولونيّ امير اصبهان أيام المقتدر بالله . ثمّ ولاّه المقتدر الكوفة فالبصرة .

(٦) أحد أبواب دار الخلافة العباسية من أسفلها .

تخرجه مِن حريم الدار . ونَهاني عن المعاودة الى ذلك ، وعن أن أكشف رأسي ، أو أتَبَذَّل ، أو أمزح ، أو أرفث في شيء مِن تلك المواضع . فشكرتُه على ما عاملني به وأرشدني [١٠٦] اليه .

وحدَّثني جدّي : انّ المُكنّى أبا الهَيْثَم حضر يوماً في دار عضدالدولة ، وأخَذ عمامته من رأسه ، ووَضعها بين يدَيْه ، ورآه بعض أصحاب الأخبار ، فكتب بما كان منه ،وخرج أستاذ دار[١] فَحَزَق[٢] به وشَتَمَه ، وأخذ العمامة وضرب بها رأسه حتى تَقَطَّعَت قطعاً ، ووكّل به واعتقله . فسُئِل فيه عضدالدولة ، وقيل : هذا رجل محرور الرأس ولا يستطيع ترك العمامة على رأسه ، وانّما فعل هذا لذاك ، لا لجَهْل بأدب الخدمة . فبعد مراجعات ما ، أمر باطلاقه .

وليس للحاجب أن يُقبل على أحدٍ ممَّن يكون السلطان مُعْرِضاً عنه ولا أن يرضى عمَّن يكون السلطانُ ساخطاً عليه[٣] ، ولا أن يوليه من البرّ والاكرام ، ما كان يوليه من قبل . ولذلك فعل نَصْر القُشُوريّ [١٠٧] الحاجب بحامد[٤] بن العبّاس ما فعل ، وقد كان وُزِّرَ . وذلك[٥]

---

(١) ويقال فيها استدار واستادار واستاد الدار . وهي مركّبة من لفظين فارسيين : استاذ أو أستذ بمعنى « الأخذ » ، و دار بمعنى « الممسك » . وهو لقب من يتولّى قبض مال الخليفة أو السلطان أو الأمير وصرفه . وتمتثل فيه أوامره .

(٢) ضَيَّق عليه .

(٣) قال ابن المقفّع (الأدب الكبير والأدب الصغير ، ص ٤٤) : « جانب المسخوط عليه والظنين به عند السلطان ، ولا يجمعنك واياه مجلس ولا منزل ، ولا تظهرنّ له عذراً ، ولا تثنين عليه خيراً عند أحد الناس » .

(٤) كان يتولّى دائماً أعمال السّواد ، ولم يكن لـه خبرة بأعمال الحضرة . استوزره المقتدر بالله سنة ٣٠٦هـ . وكان كريماً مفضالاً متجمّلا ، جميل الحاشية ، غزير المروءة ، قاسي القلب في استخراج المال ، قليل التثبّت ، سريع الطيش والحدّة ، الاّ انّ كرمه كان يغطّي على ذلك . قتل سنة ٣١١هـ .

(٥) انظر : تجارب الأمم (١ : ٩٦ ـ ٩٨) ، وتحفة الإمراء (ص ٣٦ ـ ٣٨) .

انّ حامداً لمّا خاف من عليّ بن محمد بن الفرات في وزارته الثالثة[١] ، أصعد مِن واسط الى بغداد مستتراً ، ودَخل دار السلطان يزِيِّ الرُهْبان متنكّراً ، واستأذن على نَصْر القُشُوريّ ، فلمّا أَوصله اليه ورآه نَصر ، لم يقم اليه ، ولا وَفّاه مِن الحقّ ما كان يُوَفّيه اياه ، لـكنّه قال : الى أين جئتَ ؟ ـ قال : جئتُ بكتابك • ـ قال : الى هذا الموضع كاتبتك بأن تجيء • واعتذر اليه من تقصيره به ، وقال لا يمكنني معما أعرفه من تنكّر الخليفة عليك ، أن أتجاوز ما وقفتُ عنده •

واذا اتفق يوم المَوْكب ، حضر حاجب الحُجّاب[٢] بأكمل لباسه من القَبَاء الأَسْوَد المُوَلّد[٣] والعمامة السوداء ، والسيف والمِنْطَقَة ، وقـدّامه الحُجّاب وخُلَفاؤهم [١٠٨] وجلَس في الدّهليز مِن وراء الستر • وحضر الوزير وأمير الجيش ، ومَن له رَسْم في حضور المَوْكب ، فاذا تكامل الناس ، راسَل الخليفة بذاك ، فانْ أراد أن يأذن الاذن العام ، خرج الخادم الحَرَميّ الرسائلي[٤] ، فاستدعى حاجب الحُجّاب ، ودخل وحده حتى يقف في الصحن ويقبّل الأرض ، ثم يرُسَم له ايصال القوم على منازلهم ، فيخرج ويدعو وليّ العهد ان كان في الوقت وليّ عهد ، وأولاد الخليفة ، ان كان له ولد • ثمّ يدخل الوزير

---

(١) مدّتها سنة واحدة ، انتهت بقتله في ٢١ شهر ربيع الآخر سنة ٣١٢هـ •

(٢) قال ابن تغري بردي (النجوم الزاهرة ٣ : ٢٧٢) في حوادث سنة ٣٢٩هـ ، انّ فيها « خلع المتقي على بدر الخرشنيّ ، وقلّده الحجابة وجعله حاجب الحجّاب • قلت : هذا أوّل ما سمعنا بمن سمّي حاجب الحجّاب ، ولـكن لا نعلم هل كان بهذه الـكيفية أو غير هذهالصورة من انّه كبير الحجبة ، ولعلّه ذلك » •

(٣) المُوَلّد : ما يُستعمل عنـد العوام • وغير المولّد ما يستعمله الخواصّ •

(٤) الحَرَميّ : الذي يجوز له دخول الحرم ، وأكثر ما يكون مجبوباً •
الرسائلي : الذي من شأنه ايصال الرسائل الى داخل الحرم ، ويجوز أن يقوم بهذه الوظيفة شخص واحد •

ويمشي الحُجّاب بين يدَيْه الى أن يقرب مِن السرير ، فاذا قَرُب ، تأخّروا عنه ، ويقدم الوزير بعد تقبيل الأرض الى أن يدنو من الخليفة ، فانْ شَرّفه بمدّ يده اليه ، أَخَذَها وقبَّلَها وتَراجَع ، حتى يقف عن يَمْنَة السرير على خمس أذرع منه ، وأدخل بعده أمير الجيش ، فقبَّل [١٠٩] الأرض ، ووقف يَسْرة السرير ، ثمّ أصحاب الدواوين والكُتّاب ، وأوصل القُوّاد يَقْدمُهم خلفاء الحُجّاب على مراتبهم ودَعوهم ، ووقفوا يميناً وشمالاً على رُسُومهم ، ونُودي ببني هاشم ومَن يَلبس الدَّنّيّات[١] ويتقلّد الصلوات فيقدّمون الى أول البساط ويُسلّمون ويقفون مُفْردين ، ثمّ يُدعى القضاة فيقدم منهم مَن يلي قضاء القضاة[٢] ، أو قضاء الحَضْرَة[٣] ، ويقع الاذنُ العام حينئذٍ ، فيدخل الجند ويقومون صَفَّيْن بين حَبْلَيْن ممدودَيْن في صَحْن السلام[٤] ، جُعِل الغرض منهما أن يمنعا مِن الازدحام والتضايق والاختلاط والتّضاغط ، وأن يُشاهد الخليفة مَن يدخل بينهما على بُعْدٍ فيعلم مَن هو ، ويكون ذاك أروع وأَهيب .

---

(١) الدَّنّيّات ، واحدتها الدَّنّيّة : قلنسوة بشكل الدّن (وهو « الخُمْب » عند أهل بغداد اليوم) محدّدة الأطراف ، طولها نحو شبرين ، تتخذ من ورق وفضّة على قصب (عيدان) ، وتغشّى بالسواد ، وتزّين أحياناً بشقائق صفر طوال تتدلّى على الصدر . كان يلبسها القضاة عامّة في العصور الاسلامية السالفة ، كما كان يلبسها الخطباء والأكابر أحياناً .
راجع بحثنا : « دنّيّة القاضي في العصر العباسي » : (الرسالة ١٠ [١٩٤٢] ص ٩٧٩ - ٩٨١ ، ١٠٠٦ - ١٠٠٧ ، ١١١٠) .

(٢) قضاء القضاة : وظيفة موضوعها التحدّث في الأحكام الشرعية وتنفيذ قضاياها ، والقيام بالأوامر الشرعية ، والفصل بين الخصوم ، ونَصْب النوّاب للتحدّث فيما عسر عليه مباشرته بنفسه . وهي أرفع الوظائف الدينية وأعلاها قدراً وأجلّها رتبة .

(٣) أراد المؤلّف بالحضرة : عاصمة الخلافة العبّاسية أي بغداد في عصره .

(٤) من الصحون المشهورة بدار الخلافة العباسية ببغداد . وكان لسعته تقام فيه الاحتفالات والأعياد والاجتماعات على اختلاف أسبابها .

وِمِنَ الرَسْم أن يَزُمَ[١] الناس فلا يُسْمَع لهم صوت ولا لغط

وحدثني عليّ بن عبدالعزيز بن حاجب النعمان : أنّ [١١٠] عضدالدولة راسل الطائع لله عند استقرار ما استقرّ مِن الخلْع عليه وتلقيبه تاجالملّة ، والعهد اليه بولاية الأمور . وذلك في سنة سبع وستين وثلثمائة ، وقال : أسأل أن يكون دخولي دار[٢] السلام راكباً لأتَمَيَّز تميّزاً يعرف به موضعي مِن زيادة التكرمة ، وأن يُمَدّ في وجه الخليفة ستارة لئلا يراه أحد قبل مثولي بين يديه . وأراد بهذا ألا يراه الناس وهو يقبّل الأرض ، فوعد بما سأله ، وعُمل دون الباب الذي يدخل منه ، قطع بآجُرّ وطين . فلمّا دخل راكباً لم يمكنه تجاوزه . وكان ترتيب الأمر أن جَلَس الطائع لله ، رحمت الله عليه ، على السرير في صدر السدلّى من دار[٣] السلام ، في دَسْت خزّ أسْوَد نَسيج بالذهب ، وحوله مِن خدمه الخَواصّ نحو مائة خادم بالزينة الحسنة والأقْبية الملوّنة والمَناطق ، وسيوف الحمائل[٤] المحلاّة[٥] ، وبأيديهم الدبابيس[٦] والطَبَرْزينات ، ومن جانبَي السرير [١١٠] الخدم الشيوخ الصقالبة المُطيعيّة ، ومنهم : خالِصٌ ، وطريف ، وبَدْر ، وأَهيف ، وسابور ،

---

(١) زَمّهُ : أسكته وهو من زَمّ القربة اذا ملأها وجعل الزمام عليها . فيكون معنى زمّه أسكته حتى لا يتكلّم بما يضرّه . ويلفظها العراقيون اليوم « صمّ » ، بالصاد .

(٢) و (٣) كذا ما في المخطوط ، ولعلّه يريد « صحن السلام » .

(٤) الحمائل جمع حميلة ، وهي علاّقة السيف .

(٥) أي مرصّعة بالجواهر .

(٦) الدبابيس ، واحدها الدَبّوس : من آلات الحرب . يحملها الفرسان في السروج تحت أرجلهم ، ويتقاتلون بها بعد التضارب بالسيوف والرماح ، وتصنع عادة من الحديد .

ورياض ، ومَواهب ، وصَلَف . الى مَن دونهم . وفي أيديهم المَذَاب[١] ، وبين يَدَيْه مُصْحَف عثمان ، رحمت الله عليه ، وعلى كتفَيْه البُرْدَة[٢] ، وبيده القضيب[٣] ، وهو متقلّد لسيف رسول الله[٤] ، صلّى الله عليه ، وعليه ثياب سُود ، وعلى رأسه رُصَافِيَّة[٥] ، وضُربت على الأساطين الوُسْطَى ستارة ديباج ، أنفذها عضدالدولة لتكون حجاباً للطائع لله ، حتى لا تقع عليه عينٌ لأحدٍ من الجند قبله ، ومُدَّت الحبال في صحن السلام على أعمدتها . وسبق الدَيْلم والأتراك الى الدخول من غير أن يكون مع أحد منهم حديدة فضلاً عن غيرها[٦] . ووقف الدَيْلم مِن الجانب الأَيْسَر ، والأتراك من الجانب الأَيْمن ، والأشراف والقضاة وأصحاب المراتب في الصحن دون الأساطين مِن الجانبَيْن على مراتبهم ، وحُجّاب الخليفة اذ ذاك مؤنس الفضلي ، ووَصِيف ، [١١٢] وأحمد بن نَصْر العبّاسي ، وخلفاؤهم ثمانية وعشرون ، وجميعهم بالأَقْبِيَة السُود

---

(١) المَذابّ : جمع مِذَبَّة . وهي ما يُذَبّ به الذباب . وقد عُدَّت من الآلات الملوكية . ولها أرباب من الناس مختصّون بحملها في المواكب والحفلات .

(٢) انّ بُرْدَة النبيّ التي كان الخلفاء يلبسونها في المواكب والاحتفالات ، كانت شَمْلَة مخطّطة ، وقيل كانت كساءً أسود مربّعاً فيها صِغر . راجع : الآثار النبوية (ص ١٢ ــ ٢١) .

(٣) قضيب الخلافة : عود كان النبيّ يأخذه بيده وهو من تركاته . وهو ثالث علامات الخلافة ، فاذا تولّى الخليفة جاؤوه بالبردة والخاتم والقضيب .

(٤) هو ذو الفقار أشهر أسياف النبيّ ، غنمه يوم معركة بدر ، فكان سيفه المفضّل الذي لا يفارقه في حرب من حروبه . راجع : السيف في العالم الاسلامي (ص ٤٠ ــ ٤٢) .

(٥) الرُصافِيَّة : قَلَنْسُوَة طويلة عانية ، كان يلبسها الخلفاء العباسيون ومن ينتمي اليهم .

(٦) يريد بذلك ألاّ يكون مع أحد منهم شيء من السلاح . أنظر : ذيل تجارب الأمم ، ص ٥٨ .

المُوَتَّدة ، والسيوف والمناطق المشمَّرة ، وحجّاب عضدالدولة قيام في مُقدّم الحبال من الجانبَيْن ، ثمّ أوذن الطائع لله لعضدالدولة ، فأذن له ، فحين أَحَسّ بدخوله الصحن ، أمر برفع الستارة ، فرُفعت ووقع طَرْفه على عضدالدولة ، فقال له مؤنس ووصيف ، وقد تلقّياه ومشيا بين يديه : قد رآك أمير المؤمنين ، فقبّل الأرض ، ففعل ، وأخذا بعضدَيْه ، وكَرّر ذلك مراراً الى أن قرب منه ومن جانبَيْه المُطَهَّر[1] بن عبدالله ، وعبدالعزيز[2] بن يوسف ، ووراءه جبريل[3] بن محمّد ، وموسى ، ودرنتا[4] شيري ، والحسن بن ابراهيم ، وأسفار[5] بن كردويَه ، وزيار بن شَهْراكَوَيْه ، ومحمد بن العبّاس ، ووكيد بن سليمان ، فقيل انّ زيار بن شَهْراكَوَيْه أكبر تقبيل عضدالدولة الأرضَ ، وقال : هذا هو الله ، وسمعه [١١٣] عضدالدولة ، فقال لعبدالعزيز بن يوسف : عَرِّفه انّه خليفة الله في أرضه ، ووصل عضدالدولة الى باب السدِلّي بين السماطَيْن ، وما يتحرّك أحد ممَّن وراء الحبلَيْن ، وكان مرجان الخادم واقفاً في الصحن ، وبيده قوس جُلاهِق[6] ، حتّى اذا طار غراب أو نَعَب ، رَماه ومَنَعَه . ولمّا انتهى عضدالدولة الى باب السدِلّي ، التفت الطائع لله الى خالص وقال له : استَدْنه . فصعد عضدالدولة العَتَبَة وقبّل الأرض دفعتَيْن في عرض السدِلّي ، وقال له الطائع : أدْنُ

---

(١) هو وزير عضدالدولة البويهي . انتحر سنة ٣٦٩هـ .

(٢) أبو القاسم عبدالعزيز بن يوسف الحكّار ، تقلّد ديوان الرسائل لعضدالدولة ، وكان معدوداً في وزرائه وخواصّ ندمائه . مات سنة ٣٨٨هـ . وقد رثاه الشريف الرضي بقصيدة (ديوان الشريف الرضي ١ : ٦٣٠ ـ ٦٣٤ ؛ بيروت ١٩٦١) .

(٣) كان من الرجّالة الفُرس ببغداد .

(٤) خ : درنتا .

(٥) من أكابر قوّاد عضدالدولة ومقدّم جيشه .

(٦) طين مدوّر كالبندق ، يرمى به عن القوس . واللفظة فارسية .

اليَّ ، فَدَنا ، وأكَبَّ على تقبيل يده ورجله ، فثنى الطائع عليه يمينه ، وكان بين يدي سريره ، مما يلي الجانب الأيمن ، الكرسي المربَّع المُغَشَّى بالأرْمَنِيّ ، برَسْم جلوس الأمراء . فقال له : اجلس ، فأومأ ولم يفعل ، حتى قال له : أقسمتُ عليك لتجلسنّ ، فقَبَّل الكرسي وجَلَس . وقال له الطائع : ما كان أشوقنا اليك وأتوقنا الى مفاوضتك . فقال : عُذْري ظاهر بحضرة مولانا . فقال [١١٤] نيَّتُك موثوقٌ بها ، وعقيدتك مسكون اليها . فأومأ برأسه ، وقال الطائع لله : قد رأيتُ أن أفوّض اليك ما وكَّله الله تبارك وتعالى اليَّ مِن أمور الرعيّة في شرق الأرض وغربها ، وتدبيرها في جميع جهاتها سوى خاصّتي وأسبابي وما تحوبه داري ، فتولّ ذلك مستخيراً لله فيه . فقال عضدالدولة : يعينني الله على طاعة مولانا أمير المؤمنين وخدمته . ثمّ قال عضدالدولة : أُريد المطهَّر ، وعبدالعزيز بن يوسف ، ووجوه القُوّاد ، الذين دخلوا معي ليسمعوا لفظ أمير المؤمنين بما شرّفني به ، وكانوا قد وقفوا صَفّاً واحداً دون العَتَبَة بين سماطي أصحاب المراتب ، فأُدْنوا . وقال الطائع : وهاتوا الحسين[١] بن موسى ، ومحمد[٢] بن عمر ، وابن معروف[٣] ، وابن أم شيبان[٤] ، والزّينبيّ[٥] . فقُرِّبوا وتكلّلوا وراء عضدالدولة ، وأعاد الطائع لله

---

(١) يظهر لي انّ « الحسين بن موسى » هذا ، هو أبو أحمد العلوي الموسوي ، والد الشريفين الرضي والمرتضى . ولاّه المطيع لله نقابة الطالبيين وامارة الحاج سنة ٣٥٤هـ ، كما في كامل ابن الأثير . وتوفي سنة ٤٠٠ وقيل سنة ٤٠٣هـ ببغداد : (الدكتور مصطفى جواد) .

(٢) هو محمد بن عمر العلويّ الشريف . وقد سبق ذكره .

(٣) هو قاضي القضاة أبو الحسين محمد بن قاضي القضاة أبي محمد عبيدالله بن أحمد بن معروف .

(٤) هو محمد بن صالح بن عليّ بن يحيى بن عبدالله الهاشمي المعروف بابن أمّ شيبان . ولي القضاء ببغداد . مات سنة ٣٦٩هـ .

(٥) هو أبو تمّام الحسين وقيل الحسن بن محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن محمد الشريف . كان قاضي القضاة ، وولي نقابة بغداد . مات سنة ٣٧٢هـ .

القـول في التفويض [١١٥] اليه ، والتعويل عليـه ثمّ التفتَ الى طريف الخادم ، فقـال : يا طريف : تُفاض عليـه الخِلع ويُتَـوَّج • فنَهَض عضدالدولة وحُمِـل الى الرواق الذي يلي السـدلّى ، ودَخَل معـه عبدالعزيز بن يوسف ، وخُرّشيد بن زيار بن مافنَّه الخازن ، وأربعة نفر من الثيابيين ، وأُلبِس الخِلَع وعُصِب عليه التاج ، وأُرْخيَت احدى ذؤابتَيْه[1] المنظومة بالجوهر الجليل الفاخر ، وعاد يتهادى مِن ثقل ما عليه مِن الخِلَع والحُلَى ، فأَوْمأَ ليقبّل الأرض ، ولم يستطع • فقال له الطائع لله : حَسْبُكَ حَسْبُك ، وأمره بالجلوس على الـكرسيّ ، وجلس ، ثمّ استدعى الطائع لله من مؤنس الفضلي تقديم أَلْويَتِه ، وكان ذلك اليه ، فقدّم اللواءَين أحدهما على المشرق والآخر على المغرب ، فاستخار الطائع لله الله َ [١١٦] تبارك وتعالى ، وصلّى على رسوله ، وعقَدهما وأَعادهما الى يد مؤنس ، ثم قال : يُقْرأ كتابه ، فقرأه عبدالعزيز بن يوسف ، فلمّا فرغ منه قال له الطائع لله : خار الله لنا ولك وللمسلمين ، آمُرك بما أَمَرَك الله به ، وأَنْهاك عمّا نَهاك عنه ، وأبرأ الى الله ممّا سوى ذلك • انهض على اسم الله وادنُ اليَّ • فدَنا اليه وأَخذ الذُؤابة المرخاة ، فعَقَدَها على التاج في موضع كان قد أُعِدّ لعقدها • وذلك لمسألة تقدّمت من عضدالدولة وموافقة • ثمّ أَخَذ الطائع لله سيفاً كان بين المخدّتَيْن اللتين تليانه بجَفْن[2] أَسْود وحلية فضّة ، فقلّده اياه مُضـافاً الى السيف الذي قلّده مع الخلعة • فلمّـا أراد عضدالدولة أن ينصرف ، راسل الطائع لله ، وقال : انّي أَتَطيَّر أن أَرْجع على عقبي ، وأسأل أن يتقدّم بفتح هذا الباب لي ، وأومأ الى الباب الدَوّاريّ المنفتح مِن السـدلّى ، [١١٧] الى الحدائق • وكان للحدائق باب يَنْفتح الى دجلة ، فأَذِن في ذلك • قال ابن حاجب النعمان : وشوهد في الحال نحو

---

(١) الذُؤابة : ضفيرة الشعر المرسَلة •

(٢) جَفْن السيف : غمده وقرابه •

ثلثمائة صانع قد أُعِدّوا حتّى هيّىء للفرس مسقال[1] قدم عليه اليه ، والطائع لله يراه ، وركب وسار وحده راكباً ، وسائر الجيش يمشون في طول الرَّقَّة[2] بين الشوك والدَّغل ، الى أن خرج من باب الخاصَّة . ثمّ ركب القُوّاد والجند من هناك وسار في البلد .

فأمّا مراتب النزول والركوب من الدُور والأبواب ، فلها حدود يعرفها البوّابون ، ويأخذون الناس بالوقوف عندها وترك تجاوزها ، وعلى خلفاء الحجّاب والبوّابين أن يمنعوا الجند من دخول الدار[3] بسلاح الا مَن كان برَسْمها من الخدم والغلمان الداريّة ومَن أذن له في ذاك وأُريد منه . وليس لأحد أن يجلس في دار الخلافة على كرسيّ الا حاجب الحجّاب وأمير الجيش .

---

(١) المخطوط : مسقاف . ولعلّها : سِقاف بمعنى الألواح ، أي ألواح الخشب .

وفي المنتظم (٧ : ١٠٠) : « مسقال » . ويراد بها الاسقالة . وهي ما يُربط من خشب وحبال ليُتَوَصّل بها الى المحالّ العالية ، وتُعرف اليوم عند العراقيين بـِ « الآسْكَلَة » .

(٢) هي الأرض التي يغمرها ماء النهر ثمّ ينضب عنها .

(٣) أي « دار الخلافة العبّاسية ببغداد » .

ولمُسايرة الخلفاء في المواكب أدب[1]

[١١٨] حدثني ابراهيم بن هلال جدّي فيه بما قال : حدثني سِنان بن ثابت جدّي[2] ، قال : كان والدي ثابت من أعرف الناس برُسُوم خدمة الخلفاء ، فكنتُ أراه في أسفاره مع المعتضد بالله ، صلوات الله عليه ، اذا استدعاه الى مُسايرته وأمَرَه بمحادثته ، يخرج عليه في المسايرة حتى يكون كالسابق له قليلاً ، فظننتُ أولاً انه فعل ذلك سهواً الى أن كَثُر كَثْرةً علمتُ بها انه متعمّد له . فسألتُه عن السبب فيه . فقال لي : يا بُنَيّ ، انّ من الأدب المأخوذ على مَن أهّلَه الخليفة لمسايرته ومُطاولته في مواكبه ، أن يكون مركوبه مختاراً سليماً من المعايب التي تعرض في المسايرة ، فانّه انْ كان كثير اللُعاب ، أو كثير العبث برأسه ، أو مداوماً للصهيل والشغب ، أو معتاداً للحِران [١١٩] والتحصُّن ، لم يصلح أن يُساير الخليفة على مثله ، ولأجل ذاك يَختار الأتباع مُسايرة رؤسائهم على البغلات الطاهرات الأخلاق . نعم ، ومن أدب المُسايرة للخلفاء والكبراء أن يكون التابع سائراً مِن تحت الريح ليكون الرئيس في أعلاها ، فلا يتأذّى بالغبار الذي يثيره الحافر ، ولا بروائح الروث ، وأن يأخذ أيضاً الجانب الذي يقابل الشمس ، ليكون الخليفة والرئيس الذي يسايره مستدبراً لها ، وأن يخرج عليه في المُسايرة شيئاً يسيراً ، كما تراني أفعل ، ليكون هو الملتفت اليه ، ولا يكلّفه الالتفات ، حتى اذا انقضى ما يخاطب فيه ، وأراد التباعد عنه ، تقدّم وكان في أوائل موكبه متى احتاج اليه ، استدعاه مِن أمامه ، ولم يتجشّم التوقّف على انتظاره .

---

(١) تناول غير واحدٍ من الكتبة والمؤرخين ، هذا البحث باسهاب . راجع في هذا الموضوع : التاج للجاحظ (ص ٧٢ ، ٧٧ ــ ٨٣) ، عيون الأخبار (١ : ١٩ ــ ٢٧) ، العقد الفريد (١ : ٢١ و ٢ : ٤٣١ ــ ٤٣٢) ، مروج الذهب (٧ : ١٠٩ ــ ١١١) ، المنهج المسلوك في سياسة الملوك (ص ٧١ ــ ٧٢) ، المحاسن والمساوىء (ص ٤٩٤ ــ ٤٩٧) .

(٢) لعلّ الأصل « جدّي لأمّي » .

وكان عضدالدولة عند قدومه الى الحَضْرَة [١٢٠] في سنة أربع وستين وثلثمائة • وانهزام الأتراك المُعِزِّيَّة ، وخروج الطائع ، رحمت الله عليه ، معهم(١) ، وخلوّ دار الخلافة ، أحَبَّ أن يشاهدها ، ويستقرئ أبنيتها ، ومجالسها ، ودُورها ، وصحونها ، ودواخلها ، وغوامضها ، فصار اليها وطافها موضعاً موضعاً ، وبين يديه مؤنس الفضلي الحاجب ، يريه شيئاً شيئاً ، ويعرّفه مكاناً مكاناً ، حتى اذا انتهى الى دار السرّ المرسومة بالحرم ، وقف مؤنس ، وقال : هذا ، أيها الملك ، موضع ما طرقه فَحْلٌ غير الخلفاء ، والأمر أمرك في دخوله أو تركه على ما جرى به رسمه • فقال : ارجع بنا عنه وتجاوزه ولم يدخله • فكان أدب مؤنس في الوقوف الذي وَقَفَه أفضل أدب ، وفعل عضدالدولة في العدول عنه أحسن فعل ! •

وايّاك مراجعة السلطان(٢) [١٢١] قولاً عند التَغَضّب ، واستكراهه على اللين أثر التَصَعُّب ، فانّ المُحاجَّة داعية اللجاجة ، والحرص على الصّلاح في غير أوانه ، باعثٌ على قوّة الفساد وتطاول زمانه • وعليك بالصَّمت عند الفورة ، والحصر عند النعرة • واجتهد في البُعد عن عيانه عند بوادر لفظه ، وشوارق غيظه ، وانتظر في ايراد عذرك ، وانْ كنتَ واثقاً به ، سكون صدره مِن توهّجه ، وخلوّ قلبه مِن توقّده ، ثمّ اتِ به لطيفاً ، يكون غرضك فيه زوال الشبهة لا الادلال ببراءة الساحة ، فانّ العذر الخالي من اللُطْف ، شرٌ مِن الذّنب الخالي من العُذْر • واسلك في الاستعطاف سبيل الرفق من غير اكثارٍ في المعاودة ، ولا كدٍّ بالشفاعة ، فالعَوْد على محمود العاقبة ما كان عن نيةٍ طائعة ، وارادة صادقة ، واحذر زلاّت قولك وفلتاته ، وعاصِ [١٢٢] ما يتملّكك من شهواته ولَذّاته ، واجعل جوابك عمّا تُراعَى عواقبه وتُخاف بوائقه ، اشارة لا افصاحاً ،

---

(١) كان الأتراك قد أخذوا الخليفة معهم كارهاً ، فسعى عضدالدولة حتى ردّه الى بغداد •

(٢) في كتاب التاج (ص ١٢٩ ــ ١٣٩) جملة حكايات في هذا المعنى • وراجع أيضاً : قابوسنامه (ص ١٩٤) ، مختار الحكم ومحاسن الكلم (ص ١٦٤ ، ١٨٧ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٣٧) ، طبقات الأطباء (١ : ٦٤) •

وتمليلاً لا اغراقاً ، فانك على قول لم تقله ، أقدر منك على رد ما قلته .
واحتمل هجنة العي في هذا المقام ، فانها هجنة مأمونة ، وان لم تكن
على الحلم محمولة لم تكن الى العجز معدولة . وقيل لأرسطاطاليس :
ما أصعب شيء على الانسان ؟ ـ قال : الصمت . واحذر عند لقاء سلطانك
انبساط الدالّة ، أو انقباض الهيبة ، فان ذاك يدعو الى الاسترسال فيما يجب
التحرز منه ، وهذا يؤدي الى الاخلال بما يجب القيام به . وكن في
الأمرين متوسطاً ، ومن عثرة الهجوم وغفلة الاحجام متحفظاً ، ولا
تعوّل لصاحبك وكفايتك على الاعتذار ، فقلّ عاجز الا وله عذر يصوغه ،
وقلّ كافٍ الا وله عائق يعوقه . وانما تتبيّن الكفاة في مغالبة العوائق
[١٢٣] ومعاصاة الموانع . واحذر أن يوردك موارد المزح الى ما يغيظ
السلطان منك ، واجعل حكاية ما تحكيه له ، واشارة ما تضحكه به عائدتين
عليك دونه ، ولا يحملك ما تراه من ضحكه على الاستمرار فيما حذّرك
منه ، فربّما أظهر قبولاً من وراء تكرّه ، ورضىً من أثناء تسخّط .
ومتى أعطاك برّاً فلا تستقصره ، أو أولاك فضلاً فلا تستصغره . ودع
الشكوى ، فانها ثقيلة على السلطان ، والالحاح فانه من أكبر دواعي
الحرمان . وعليك بالشكر فانه مادة للاحسان ، والصبر فانه عُدّة
للانسان . وكن أصمّ عمّا تسمعه ، وأعمى عمّا تلحظه[1] ، وكتوماً لما
تستحفظه ، وأميناً على ما تحضره ، ولا تدخل في سرّ كان مطوياً
عنك ، ولا تنصت الى قول كان مستوراً منك .

وحدثني ابراهيم بن هلال جدّي ، قال : حدثني هلال أبي ، قال :
حدثني ابراهيم أبي ، قال : كنتُ واقفاً بين يدي المكتفي بالله ، صلوات
الله عليه ، [١٢٤] وهو يفاوضني في بعض الأمور ، اذ جرى ذكر ثابت بن
قرّة ، وسلامة طرائقه ، وما كان فيه من أدب النفس . فحدثنا خادم
رومي كان واقفاً بين يديه وأُنسيتُ اسمه ، قال : دخلتُ الى

(١) في « الديارات » للشابشتي (ص ٧٨) : « مَن صحب السلطان
وخدمه ، احتاج أن يدخل أعمى ويخرج أخرس » ، ونظير ذلك ما في « المصون
في الأدب » للعسكري (ص ١٤٧) .

المعتضد بالله ، صلوات الله عليه ، لأخاطبه بسرٍّ كان يُراعيه مِن أَمْر حُرمه ، وهو يحادث ثابتاً ويشاوره ، فبدأتُ أُخاطبه بالرُومية . وكان المعتضد عارفاً بها . فخرج ثابت مبادراً ، وردّه المعتضد بالله ، وقال له : لِمَ خرجتَ قبل أن ينقطع الكلام بيني وبينك ؟ ـ فقال : لأنّني أحسن الكلام بالرومية ، وكرهتُ أن أسمع مِن سرّ أمير المؤمنين ما اعتمد المتكلّم به كتمانه عنّي . فاستحسن هذا الفعل منه وزاد استرجاحه ايّاه .

[١٢٥] جلوس الخلفاء ، وما يَلبَسونه في المواكب ، ويَلبَسه الدّاخلون عليهم مِن الخواصّ وجميع الطّوائف

الذي جرَت به العادة ، أن يكون جلوس الخليفة على كرسيّ مرتفع ، في دَسْت كامل أَرْمني[١] ، أو خزّ[٢] . وأن يكون فَرْش جميع المجالس أرمنياً في صيف وشتاء ، ويكون لباسه قَباءً مُولَّداً أسْوَدَ ، امّا مُصْمَتاً[٣] أو مُلْحماً[٤] ، أو خزّاً . فأمّا الدّيباج[٥] والسَقْلاطُون[٦] أو المَنْقوش فلا . ويَجعل على رأسه مُعَمَّمَةً سوداء رُصافيّةً ، ويتقلّد سيف النبيّ صلى الله عليه ، ويَجعل بين مخدّتي الدَّسْت عن يساره سيفاً آخر ، ويَلبس خُفّاً أحمر ، ويضع بين يديه مصحف عثمان ، رحمت الله عليه ، الموجود اذ ذاك في الخزائن ،

---

(١) نسبة الى ارمينية . وقد اشتهرت مدنها بعمل نسيج من خالص الحرير يقال له الأرمنيّ .

(٢) الخزّ من الثياب ما ينسج من صوف وابريسم . ج : الخزوز .

(٣) يقال ثوب مُصْمَت : اذا كان لا يخالط لونه لون .

(٤) المُلْحَم من الثياب ، ما كان سَداه ابريسم ، أي حرير أبيض ، ولحمته غير ابريسم .

(٥) الديباج : ثوب رقيق حسن الصنعة . وهو المعروف اليوم عند العراقيين بـ « القنويز » .

(٦) السقلاطون (بفتح السين وكسرها) : ضرب من الأكسية . واللفظة يونانية (Sigillatum) يراد بها نسيج من الحرير مخلوط بغزل الذهب . وقد اشتهرت بغداد بصنعه ، فقيل سقلاطونيّ بغداد .

وعلى كتفيه بُرْدَة النبيّ ، صلّى الله عليه ، ويُمْسِك بقضيبه ، ويقف الغلمان الدارية والخدم الخاصّة والبرّانية [١٢٦] من خلف السّرير وحواليه متقلّدين بالسيوف[١] ، وفي أيديهم الطبرزينات والدّبابيس ، ويقوم من وراء السّرير وجانبيه خدمٌ صقالبة يذبّون عنه بالمذابّ المُقمّعة بالذهب والفضّة ، ويُمدّ في وجهه ستارة ديباج اذا دخل الناس رُفعت . واذا أُريد صرفهم مُدّت . ورُتّب في الدّار وبحيث يقرب من المجلس ، خدم بأيديهم قِسِيّ البُنْدُق ، يرمون بها الغربان والطيور لئلاّ ينعب ناعب ، أو يصوّت مُصوّت .

فأمّا العبّاسيون من أرباب المراتب ، فزيّهم السّواد بالأقْبية المُولّدة والخفاف . ولهم منازل في شدّ المناطق والسيوف وتقلّدها ، اللّهمّ الاّ أن يكون منهم مَن قد ارتسم بالقضاء ، فله أن يلبس الطّيْلَسان[٢] . وأمّا قضاة الحضْرة ، ومَن أُهّل للسّواد من قضاة الأمصار والبلاد ، فبالقُمُص والطّيالسة والدّنّيّات والقراقفات[٣] وقد تُركت [١٢٧] الدّنّيّات والقراقفات في زماننا ، وعُدل الى العمائم السّود المصقولة . وتطرّف قوم فلبسوا القصَب[٤] والخزّ الأسود ، ولا أرى القصَب الاّ أن يكون بغير طُرُز[٥] . وأمّا أولاد الأنصار ، فبالثياب والعمائم الصُّفْر ، ولم يبقَ منهم في هذا العصر كبيرُ أحدٍ .

---

(١) كذا ما في المخطوط ، ولعلّ الأصل « السيوف » .

(٢) الطّيْلَسان : كساء أخضر ، لحمته أو سداه من صوف . يلبسه الخواصّ من العلماء والمشايخ . ج : الطيالسة .

(٣) القراقفات : جمع قراقف . وقراقف جمع قرْقفة . والكلمة ارميّة من قرْقفْتا . انظر : (دليل الراغبين في لغة الآراميين ، ص ٧٠٩) ، وهي من القلانس المستديرة الضخمة التي تلبس في الرأس ، وكانت من ملبوس الفقهاء والقضاة في عهد العباسيين .

(٤) القصب هنا ثياب كتان رقاق ناعمة . وغالى بعضهم فأدخل فيه مطروق الذهب والفضّة ؛ فكان منه ما نسمّيه اليوم بـ « الكلَبْدُون » .

(٥) الطُرُز : جمع الطراز : الثوب الموشّى .

وأمّا الأمراء والقُوّاد فبالأقْبية السُود من كلّ صِنْف والعمائم على هذا الوصف . وفي أرجُلهم الجوارب واللاّلَكات السُود مَشْدودة بالزّنانير(١) . هذا حُكْمُهم يُراعى أمرُه . فأمّا مَن سواه ، فممنوعون من السَّواد ، محمولون على اختيارهم في الألوان ، ما خلا الاسترسال والتبذّل وتَرْك القانون الأول .

(١) المراد بها هنا الرباط الذي يربط اللالك .

خِلَعُ التقليد والولاية والتّشريف والمنادمة

الذي جرت به العادة في خِلَع أصحاب الجيوش وولاة الحروب : عمامة مُصْمَتَة سوداء ، وسَواد مُصْمَت بجُرُبّان[١] مُبَطَّن الأسفل منه [١٢٨] وسواد آخر مُصْمَت بغير جُرُبّان ، وخَزّ سُوسي[٢] أحمر ووَشْي[٣] مُذْهَب ومُلْحَم أو مُصْمَت خجي[٤] ، وقَباء دَبيقي ، وسيف احتباء[٥] أحمر حلْيَتُه فضّة بيضاء وقَبيعتُه[٦] على القائم[٧] طبرزينته . وعلى جَفْنه فَلَك[٨] فضّة ، وعلى حمائله مثلها . وحفّ أبو العبّاس وراءه . والحُمْلان[٩] دابّة بسَرْج عربيّ ، رُكُبُه مربّعة

---

(١) الجُرُبّان : لفظ فارسيّ معرّب . اتخذه العرب بمعنى جيب القميص . ج : الجربّانات . والمراد بجيب القميص : طوقه . وامّا الجيب الذي توضع فيه الدراهم ونحوها فمولّد لم تستعمله العرب .

(٢) السُوس بلدة في ايران من اقليم خوزستان . اشتهرت بعمل الخزّ . قال ابن حوقل : « ويعمل بالسوس الخزوز الثقيلة ، ومنها تحمل الى الآفاق » : (صورة الأرض ، ص ٢٥٦) .

(٣) الوَشْي : ضرب من الثياب المنسوجة من الابريسم .

(٤) في المخطوط « حجي » ولعلّها رُخّجيّ نسبة الى رُخّج : كورة ومدينة من نواحي كابل .

(٥) يقال : احتبى بالسيف . اشتمل به .

(٦) القَبيعة : الفضة أو الحديدة العريضة التي تلبس أعلى القائم ، فتكسب السيف شكلاً مقبولاً وتزيد ثقله وتجعله متزناً في قبضة المحارب . انظر : السيف في العالم الاسلامي . ص ١٧٨ .

(٧) قائم السيف : ما يقبض عليه من السيف — أي مقبضه — .

(٨) الفَلَك : جمع فلكة ، شيء مستدير يوضع على قراب السيف لتحكيم أجزائه .

(٩) الحُملان : ما يحمل عليه من الدوابّ في الهبة الخاصّة .

ومركبُه على الاختيار ، وزيد أصحاب الفتوح والآثار الطوق(١) والسوارين(٢) والسيف والمنطقة ، وصار ذلك رسماً لأمراء الحضرة(٣). فلما ورد عضدالدولة وملك العراق، خلعت عليه الخلع المذكورة ورُصّع السواران والطوق بالجوهر ، وترك على رأسه التاج المرصّع بالذوائب المنظومة بالجواهر . وقد كان فُعل ذلك بالافشين في أيام المعتضد بالله(٤) ، وببدر المعتضدي(٥) في أيام المكتفي بالله ، ومؤنس(٦) في أيام المقتدر بالله ، [١٢٩] وبابن يلبق(٧) في أيام القاهر بالله ، وببجكم(٨) في أيام الراضي بالله ، وبتوزون(٩) في أيام المستكفي بالله ، رحمت الله على الخلفاء الراشدين .

وأضيف لعضدالدولة الى اللواء الأبيض الذي جرت به العادة لأمراء الجيوش ، اللواء المذهّب المخصوص كان بولاة العهود . وقيل انّ أحدهما

---

(١) و (٢) الطوق : ما يحاط بالرقبة ، من المعدن . ويلبسه الكبار وأولاد الملوك والأمراء وأصحاب الآثار العظيمة .

وكان طوق الذهب في حدود سنة ٣٠٠ للهجرة يُخلَع على القوّاد المنتصرين . وقد سُوِّر القائد الذي هزم القرامطة ، بسوار من ذهب . راجع صلة تاريخ الطبري (ص ٣ ، ٣٥) .

(٣) أمراء الحضرة : أي أمراء عاصمة الخلافة ، وهم الذين عرفوا بعد بـ « أمراء الأمراء » .

(٤) كذا ما في المخطوط . ولعلّ الأصل « في أيام المعتصم بالله » ، فانّ الافشين من أمرائه لا من أمراء المعتضد بالله .

(٥) من موالي المتوكل . خدم المعتضد والموفّق . وكان صاحب جيش المعتضد . قتله المكتفي في سنة ٢٨٩هـ . وهو غير بدر الكبير مولى المعتضد ، المعروف ببدر الحمامي ، المتوفّى سنة ٣١١هـ .

(٦) مؤنس الخادم . لقّب بالمظفّر . عاش تسعين سنة ، منها ستّون أميراً . قتل سنة ٣٢١هـ .

(٧) هو عليّ بن يلبق . من قوّاد الأمير مؤنس . قتل سنة ٣٢١هـ .

(٨) أمير تركي . اشتهر أمره في أيام الراضي بالله . قتل سنة ٣٢٩هـ .

(٩) أمير تركي . اشتهر أمره في أيام المتقي لله . مات سنة ٣٣٤هـ .

على المشرق والآخر على المغرب ، وحُمِل على فرس بمركب ذهب[١] ، وجُنِبَ بين يديه مثله ، ولُقِّب تاج الملّة[٢] ، مضافاً الى عضدالدولة . فكان أوّل مَن تلقَّب بلقبَيْن من الأمراء ، وقُرِىءَ عهده[٣] على الملأ بحضرة الطائع لله . وكانت العُهود من قَبْل تُسَلَّم الى أصحابها بحضرة الخليفة ، ويقول له : هذا عهدي اليك ، فاعمل به . فأمّا اللواء[٤] ، فيكون من حرير أبيض ، ويُكتب على أحد جانبيه بالحبر « لا اله الاّ الله وحده ، لا شريك له ، ليس كمثله شيء ، وهو خالق كلّ شيء ، وهو اللطيف الخبير » . [١٣٠] وَيبيَّض موضع العقد في الوسط ، وفي الجانب الآخر : « محمّد رسول الله أرسله بالهُدَى ودِين الحَقّ ليُظْهِرَه على الدِّين كلِّه ولو كَرِه المُشْرِكون »[٥] . القائم بأمر الله أمير المؤمنين . —

وأمّا حديدة اللواء فيُكتب عليها من جانب : « بسم الله الرحمن الرحيم لعبدالله عبدالله ابن جعفر الامام القائم بأمر الله أمير المؤمنين أيّده الله ، « فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ »[٦] — ومن الجانب الآخر « وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ[٧] انَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الذّينَ انْ مكَّنّاهُم في الأَرْضِ أَقامُوا الصَّلاةَ وآتَوُا الزَّكاةَ وأَمَرُوا بالمعْروفِ ونَهَوا عن المُنكَرِ ولِلّهِ عاقِبةُ

---

(١) المركب الذهب : السرج وما يتعلّق به .

(٢) الّف أبو اسحاق الصابىء ، تاريخه الموسوم بـ « التاجي » ، نسبةً الى « تاج الملّة » وهو اللقب المضاف الى عضدالدولة .

(٣) نسخة هذا العهد ، كتبها أبو اسحاق الصابىء . وهو منشور في رسائل الصابىء (ص ١٩٢ — ١٩٧) .

(٤) كان علم الخلافة أسود ، عليه بالكتابة البيضاء : محمد رسول الله : (تجارب الأمم ١ : ١٧٦) .

(٥) سورة التوبة . الآية ٣٣ .

(٦) سورة البقرة . الآية ١٣٧ .

(٧) خ : « من نصره » .

الأُمُور »[1]

وأمّا خِلَع الوزير[2] ، فمثل الثياب المذكورة من غير صياغة ، والحُمْلان شِهْرِيّ[3] بمركب مُذْهَب .

وأمّا خِلَع المُنادمة[4] ، فكانت عمامة وَشْي مُذْهَبَة وغِلالَة[5] ، ومُبَطَّنَة[6] ودُرّاعة[7] دبيقية ، وتحمل مع المخلوع عليه التحايا[8] [١٣١] والطِّيب .

وحدّثني عليّ بن عبدالعزيز بن حاجب النعمان ، قال : لمّا خَلَع الطائع ، رحمت الله عليه ، على عضدالدولة ولقّبه « تاج المِلَّة » ، حَمَل اليه في اليوم الثالث قَلَنْسُوَة وَشْي مُذْهَب مَجالِسيَّة[9] ، وفَرَجِيَّة[10]

---

(١) سورة الحَجّ . الآية ٤٠ ، ٤١ .

(٢) ذكر ياقوت في مادة « باب الحُجْرة » (معجم البلدان ١ : ٤٤٤) انه موضع بدار الخلافة . وهي دار عظيمة الشأن عجيبة البنيان ، فيها يخلع على الوزراء واليها يحضرون في أيام الموسم للهناء .

(٣) الفرس الشِهْرِيّ هو الفاره النادر . ج : الشهاري .

(٤) أنظر في هذا الشأن : التاج (ص ٧٠) ، أدب النديم (ص ٣٢) ، الأغاني (٢١ : ٣٩ ؛ ط . ليدن) .

(٥) غلالة ، بالكسر : ما يُلْبس تحت الثوب وتحت الدرع أيضاً . ج : غلائل . أنظر : معجم الملابس العربية لدوزي ، ص ٣١٩ — ٣٢٣ .

(٦) مُبَطَّنَة : ضرب من الأردية ، يُلْبس فوق الثياب ، له بطانة قوية ثخينة .

(٧) دُرّاعة : جبّة مشقوقة المقدّم . تعمل من الديبّاج أو الدبيقي أو الصوف ، يلبسها الرجل كما تلبسها المرأة .

(٨) التحايا جمع التحيّة : التحفة والطرفة ، وأكثر ما تطلق على الطاقة من الأزهار والرياحين التي يُحَيّى بها الندماء ، وتزيّن بها مجالس الشرب . أنظر : حبيب زيّات : الخزانة الشرقية ٢ : ٥٤ — ٦٠ .

(٩) المجالسيّة : منسوبة الى المجالس .

(١٠) الفَرَجِيّة : ثوب يلبس فوق سائر الثياب ، أو يُلْقَى على الكتفين القاءً . وله طوق وأردان طوال ، ويكون أحياناً مفرجاً من القدّام من أعلاه الى اسفله ، مزرراً بالأزرار . ج : الفَرَجيات والفَرَاجي .

وَشْيٍ كوفيَّة[١] مُثْقَلَة[٢]، وغِلالَة قَصَب في مِنديل دَبِيقي، وصينية ذهب وزنها ثماني مائة مثقال، ومِغْسَل ذهب، وزنه مائتا مثقال، وخُرْداذِيّاً[٣] بِلَّوْراً فيه شَراب تفّاح ناقص عن مِلْئِه، كأنّه مشروب منه، وعلى فَمِ الخُرْداذِيّ خِرقة حرير مشدودة بشَرّابة مختومة، وكأساً وكوزاً بسلسلة، في صدره بِلَّوْراً، وصينية أخرى وزنها خمس مائة مثقال، فيها خمس بَنَفْسَجيّات[٤] ذَهَباً مُشَبَّكاً مُبَطَّنَةً بالفضّة، وبين الذهب المشبّك والبطانة الفضّة نَدّ[٥]، وفيها خمس شَمّامات[٦] مُبَخَّرَة، وصينية ذهب ثالثة، وزنها خمس مائة مثقال، فيها خمس قِطع بِلَّوْراً في غُلُف خيزران من قِحْف[٧] وكوب[٨]

---

(١) الكوفية هاهنا لا تعني « الكوفية » من لباس الرأس، بل ذلك الوشي الذي اشتهرت بصنعه مدينة الكوفة، وكان يحمل منها الى الآفاق .

وللأب أنستاس ماري الكرملي مقالة في « الكوفية والعقال »، نقل فيها هذا النصّ الذي بين أيدينا بهذه الصورة : « ... فرجيّة وشيٍ، وكوفية مثقلة ... » . فهو قد أضاف « و » لا وجود لها في المخطوط، فجعل الفرجيّة شيئاً والكوفية شيئاً آخر : المقتطف (مارس ١٩٤١، ص ٢٣٧ ـ ٢٤٨)، ومجلّة غرفة تجارة بغداد (٤ [١٩٤١] ج ٣، ص ٢٠٩ ـ ٢١٩) .

(٢) الثوب المُثْقَل أو المُثَقَّل : الموشّى بخيوط الفضّة والذهب، أو المزيّن بالحجارة الكريمة فأصبح بذلك ثقيلاً .

(٣) الخُرْداذيّ : اناء من البلّور ذو عنق ضيّقة وبطن تتسع من أعلى الى أسفل، أو هي دَبّة لها مقبض ومنقار، يصيَّر فيها الخمر أو الزيت . ويقال لها الخُرْدَاذِيّة أيضاً .

(٤) بنفسجيّات، مفردها بَنَفْسَجِيّة : اناء من فضّة أو من ذهب، توضع فيها أزاهير البنفسج، ويسمّيها بعضهم زهرية .

(٥) النَدّ : العود الذي يتبخّر به، والمطرّى بالمسك والعنبر والبان .

(٦) شَمّامات جمع شَمّامة : كتلة مركّبة من أجزاء وأفاويه قويّة الرائحة .

(٧) القِحْف : اناء من خشب مثل قحف الرأس، كأنّه نصف قدح، لشرب الخمر . جمعه أقحاف وقحوف وقِحَفَة .

(٨) الكوب : الكأس أو القدح، لا عروة له .

ونصفيّه(١) وثلثيــة(٢) [١٣٢] ونافِج(٣) ، ودَسْتاً ديباجاً حَمُوليّاً(٤) منسوجاً بالذهب كاملاً بَمساوره(٥) ، وعليه اسم المطيع لله ، رحمت الله عليه ، غير مَحْشُوّ ، وسَبَذَة فُقّاع(٦) ، فيها(٧) عشرون كوزاً بِلَّوْراً مملوءة ماء وَرْد ، وعلى رؤوسها الحرير الملوّن ، والطّارمة(٨) الساج الكبرى المُعْتَضِديّة . فلمّا وصل ذلك الى عضدالدولة سُرّ به سروراً شديداً ، وقال : كنتُ أُوثر أن يكون الدَسْت مَحْشواً ومحمولاً في الأسواق لتَتَبيَّن فخامته ، وموقع التشريف به .

وقد كان الطائع لله ، أحضر محمّد بن بَقيّة(٩) داره وأجلسه على طعامه وخلَع عليه ازار قَصَب ودُرّاعة دَبيقية وسراويلاً دَبيقياً بتكّة ابريسم وحُمل معه عند انصرافه صينية فضّة فيها طيب .

وكان لخِلَع الولايات من قبلُ مراتب ثلاث . فأعلاها : قيمته ثلثمائة

(١) النصفية : اناء يسع نصف رطل .

(٢) الثلثية : اناء يسع ثلث رطل .

(٣) النافج والنافِجَة : وعاء يجعل فيه المسك . ج : النَوافِج .

(٤) حَمُوليّاً : نسبة الى الحَمُول ، وهو السيّد الكريم الحليم الجيّد القيام بما حُمّل ، الذي لا تلقاه الاّ طيب النفس بما حُمّل .

(٥) مَساوِر جمع مِسْوَر أو مِسْوَرَة : متكأ من جلد .

(٦) السَبَذَة : وعاء كالقُفّة ، والسفط لغة فيه . وينطق به بعض العراقيين اليوم « السَبَت » .
والفُقّاع : ضرب من الشراب ، سمّي بذلك لانه يرتفع على سطحه زبد يشبه الفقاقيع .

(٧) لعلّ شيئاً من المتن سقط بعد لفظة فقّاع ، فاضاع سياق الكلام .

(٨) الطّارمة : قبّة تتّخذ من نفيس الخشب . وتُبَطّن بانواع الحرير والديباج والابريسم . أنظر : مروج الذهب (٦ : ٤٢٦ – ٤٢٧) .

(٩) وزير عزّالدولة البويهي . ولمّا ملك عضدالدولة ، قبض عليه والقاه تحت أرجل الفيلة . فلمّا قتل صلبه سنة ٣٦٧هـ . فرثاه محمد بن عمران الأنباري الشاعر بقصيدته المشهورة ، ومطلعها :

علوّ في الحياة وفي الممات ... لحقّ أنت احدى المعجزات

دينار ، وأوسطها مائة دينار ، وأقلّها ثلاثون ديناراً . وقد تجاوزت الحال الآن ذاك [١٣٣] بما أُضيف من الصّياغات[١] ، ولم تجر العادة في حُمْلان السّلطان أن يكون بغـالاً ولا بجُناغ[٢] ولا بكُنْبُوش[٣] ، بل تكـون الدوابّ مكشوفة الأكفال ، ولا أن تخلع على أَحَد من حواشي المخلوع عليه معه .

(١) جمع صياغة . تسمية بالمصدر أي المصوغات .

(٢) الجُناغ : لفظة فارسية معناها : ثوب مرصّع منقّش يلقى على السرج للزينة .

(٣) الـكُنْبُوش : لفظ فارسيّ معناه : ما يستر به مؤخّر ظهر الفرس وكفله .

ما يُخْدَم به الخليفة عند التقليد والتشريف بالتكنية واللقب

لم يكن ذاك من قبل ، وانّما كانت التفرقة تقع على حواشي الدار ، فلمّا تغيّرت الأحوال ، وضاقت الموادّ ، وقصـرت الأموال ، جُعِل من الرسم أن يخدم المُوَلّى أو الملقّب ، الخزائن بما تمكنه الخدمة به على التجمّل ، والزيادة فيـه من مال وثيـاب وطيب وآلات • ويعطى مع ذاك الـكُتّاب والحواشي ما يُسْلك فيه هذه السبيل •

[١٣٤] فأمّا مَن تَقدّم من أمراء بني بويه ، رضي الله عنهم ، فلا أعلم تفصيل ما حملوه ، لـكنّ عليّ بن عبدالعزيز بن حاجب النعمان حدّثني : انّ عضدالدولة حَمَل الى الطائع عقيب الخَلْع عليه في سنة سبع وستين وثلثمائة ، وتلقيبه ايّاه بتاج الملّة ، وبعد انفاذ الطائع لله اليه ما أنفذه من الخلعة المَجالسيّة ، وما اقترن بها من الأَلْطاف[١] والتَحايا والصَّواني والدَّسْت والطّارِمَة على يد خُرّشيد بن زيار بن مافنّه الخـازن ، وما حُمِل على خمس مائة حمّال ، وكان خمسين ألف دينار عَمّانيّة[٢] في عشرة أكياس ديباجاً ألواناً مختومة على الاشريجات[٣] الفضّة ، وألف ألف درهم في مائتي كيس ، وخمس مائـة ثوب أصـنافاً بين ثوب ديبـاج

---

(١) الألطاف : التحف والهدايا •

(٢) نسبةً الى مدينة عَمّان ، وكانت من دور الضرب في المئة الرابعة للهجرة •

(٣) خ : الاسريحات • والاشريجات ، واحدتها الاشريْجة • يقال : أخرطتُ الخريطة وشرّجتُها وأشرجتُها وشرجتُها : شددتُها • أي شددتُها بالشَرَج وهي العرى •

جاء في حكاية وقعت سنة ٣٥٢هـ ، أيام المطيع لله ، الخليفة العبّاسي ، ما هذا نصّه : « واستدعيت الضرف التي [كذا : ولعلّ الأصل بالظرف الذي] كانت دنانير المطيع فيـه ، فنقلتهـا اليه وختمتهـا بالاسريحـات [بالاشريحات] التي كانت عليه ، فأتاني رسـول المطيع ، فحملت المـال ووضعته بين يديه ، وقلت : إنّ رأى أمير المؤمنين أن يتقدّم بوزنه ، فقال : ما أفعـل ذلك وهي تحت ختمـي ، فخفت أن يتـأمل الختـم فعجلت الى كسره ••• » : تكملة تاريخ الطبري (ص ١٨٢ ــ ١٨٣) •

ملكي[١] قيمته مائتا دينار ، والى ثوب أبيض صَبْغُ أرضه قيمته [١٣٥] نصف دينار ، وثلاثين صينية فضّة مُذْهَبَة وغير مُذْهَبَة ، فيها العنبر[٢] والمِسْك الفتيق[٣] والنوافج والكافور[٤] والندّ وتحايا العُجن[٥] والعُود الهندي[٦] والمغليّ والقِطَع[٧] وعشرين صينية مدهونة[٨] في عشر منها العُود الصَّنفي[٩] وفي عشر السُك[١٠] الأقراص والمُذْهَب من التماثيل[١١] والبُنْك[١٢] المُخَيَّر والصندل[١٣] النَفّاح[١٤]

---

(١) للأب أنستاس ماري الكرملي نبذة بعنوان « الملوكي أفصح من الملكي » : (المقتطف ؛ فبراير ١٩٤١ ، ص ١٦٠ — ١٦١) .

(٢) ضرب من الطيب .

(٣) يقال : فتق المِسْك : استخرج رائحته .

(٤) ضرب من الطيب . أصله من شجر بجبال بحر الهند والصين . خشبه أبيض هش . ويوجد في أجوافه الكافور . وهو أنواع .

(٥) العُجن : جمع عجين . ويراد به هاهنا ما يعجن من أخلاط الطيب .

(٦) عود الهند يضرب مثلاً في أمهات الطيب . ومن خصائصه ثبات رائحته في الثوب أسبوعاً وأكثر .

(٧) القِطَع ، واحدتها القطعة ، أي ما يقطع من العود والصندل ونحوهما .

(٨) أي من الفخار الصينيّ .

(٩) الصَّنْف بلد بالصين ، يجلب منه عود من أحلى الأعواد وأبقاها في الثياب .

(١٠) السُكّ : طيب يتّخذ من الرّامك . والرّامك بالفتح أو الكسر : شيء أسود كالقار يخلط بالمسك لتفوح رائحته فيصير سُكّاً : (البلدان لليعقوبي . ص ٣٧٠ ، وحياة الحيوان ٢ : ٢٣٠) .

(١١) التماثيل : شخوص وحيوانات كانت تصنع من الندّ والعنبر ونحوهما ، وتهدى في الأعياد والمواسم والخلع .

(١٢) البُنْك : قشر عطر الرائحة ، يشبه قشر شجر التوت ، يجلب من الهند واليمن ، وهو من الطيوب المشهورة .

(١٣) الصندل : العود الطيب الرائحة ، يكون احمر وأبيض وأصفر ، يؤتى به من الصين ومن سُفالة الهند .

(١٤) يقال : نفح الطيب أي انتشرت رائحته .

والأُتْرُج ، ونَصْلَيْن هنديَّيْن ، ودَسْتَيْن ديباجاً تُسْتَرياً[١] أحدهما أزرق والآخر مُمَزَّج[٢] ، وعشرة أفراس شَهاريّ ، منها شهريّان بمركبَيْن ذهباً وثلاثة بمراكب فضة مُذْهَبَة ، وخمسة بجلال قِرْمز ، وعشر بغلات ، منها اثنتان للسَّرْج وثمان للعَمَّارِيَة[٣] ، والآكُف بآلاتها ، وعشرة أرؤس جمالاً مكسوَّة .

وحمل صمصام الدولة[٤] وشرفها [١٣٦] وبَهاؤها[٥] عند افضاء الأمر اليهم ، ووقوع الخلع عليهم ، ما لا احصر أصنافه ومقاديره ، لكنّه جملة كبيرة ، فانّه كان والأموال موفورة والخزائن مملوءة ، وآخر ذاك ما حمله

---

(١) تُسْتَر ، تعريب شوشتر : أعظم مدينة بخوزستان ، يعمل بها ثياب وعمائم فائقة : (معجم البلدان ١ : ٨٤٧ ــ ٨٥٠) .

والتُسْتَرِيُّون :محلّة كانت ببغداد ، في الجانب الغربي ، بين دجلة وباب البصرة ، يسكنها أهل تستر ، وتعمل بها الثياب التسترية : (معجم البلدان ١ : ٨٥٠ و ٢ : ٤٩٦ ــ ٤٩٧ ؛ مادة خوزستان) .

(٢) المُمَزَّج : المنسوج بالذهب . جاء في أحداث سنة ٥١٢هـ ، انّ الخليفة المسترشد بالله « أطلق ضمان غزل الذهب . وكان صنّاع السقلاطون والممزّج وغيرهم ممّن يعمل منه يلقون شدّة من العمّال عليها وأذىً عظيماً » : (الكامل في التاريخ ١٠ : ٣٨٢) .

(٣) العمّاريّة : نوع من القبّة ، يوضع على بغل ، ويقعد فيه شخصان كلّ منهما في جانب . وتسمّى في العراق « تختروان » . ج : العَمّاريّات .

(٤) ممّا جاء في أحداث سنة ٣٧٢هـ ، عند قيام صمصام الدولة بالملك ، أن « روسل الطائع لله في ذلك وسئل كتب عهد له مقرون بالخلع والألقاب واللواء وامضاء ما قلّده عضدالدولة من النيابة عنه ، فانعم بالاجابة ولقّبه صمصام الدولة وشرّفه بالعهد واللواء والخلع السلطانية . وجلس صمصام الدولة جلوساً عاماً حتى قرىء العهد بين يديه وهنأه بما تجدّد لديه » : (ذيل تجارب الأمم . ص ٧٨) .

(٥) قبيل وفاة شرف الدولة في سنة ٣٧٩هـ ، عهد بالمُلك الى ولده ابي نصر فيروز . وفي تلك السنة خلع عليه الطائع لله الخلع السلطانية ، ولقّبه بهاء الدولة وضياء الملّة .

سلطان الدولة[١] من فارس بوساطة محمد[٢] بن عليّ بن خلف ، وعلى يد عليّ بن محمد الزينبيّ ، فانّه أنفذ عشرة آلاف دينار بَدْرِيَّة[٣] ، وألف درهم خُماسِيَّة[٤] ، وصندوقَيْن مملوءَيْن ثياباً وطِيباً ، وثلاثين ألف درهم لابن حاجب النعمان ، وأعطى الزينبيّ ، - وكان محمد بن عليّ بن خلف أنفذه من الأهواز لاستدعاء ذاك - ألف دينار بَدْرِيَّة ، وعشرين قطعة ثياباً ، وحمله على فرس بمركب ذهب . ولمّا أراد أمير المؤمنين القادر بالله ، صلوات الله عليه ، الجلوس لقراءة الكتاب بالعهد والألقاب ، أنفذ ابن خلف الى الدار العزيزة[٥] ، فروشاً وستوراً كثيرة جليلة ، ورُدَّ ذاك عند [١٣٧] انقضاء المجلس ، فأعاده ابن خلف ، وقال : انّما حملته خدمةً لا عاريةً .

---

(١) سلطان الدولة أبو شجاع بن بهاء الدولة فيروز بن عضد الدولة البويهي . تولّى الملك بعد موت أبيه بهاء الدولة . قدم بغداد سنة ٤٠٨هـ . مات بشيراز سنة ٤١٥هـ .

(٢) لقّب بفخر الملك ، وكان من أعظم وزراء آل بويه . ومن محاسن أعماله في العراق ، انّه سدّ البثوق ، وعمّر سواد الكوفة ، وعمل الجسر والمارستان ببغداد . قتل سنة ٤٠٧هـ ، وقد مرّ تفصيل أخباره في مقدّمتنا لهذا الكتاب .

(٣) لعلّها من دنانير الأمير بدر بن حسنويه . وقد قتل سنة ٤٠٥هـ .

(٤) الخماسيّة من الدراهم ، ما كان وزنها خمسة قراريط .

(٥) أي دار الخلافة العباسية .

رُسُوم المكاتبات عن الخلفاء في صدُورها وعنواناتها ، والأدعية فيها وما يُعاد منها في أواخرها[١]

من رسوم الكتب عن الخلفاء واليهم ، أن تكون بأوْضح خطّ ، وأفصح لفظ ، وتكون السطور من أوّل القرطاس ، ومن غير تفصيل في أحد جانبي السطر ، ويكون بين كلّ سطر وسطر سَعَة .

وسبيل الكاتب أن يقلّ المَشْق[٢] والمدّ ، ويتجنّب الارسال والادغام ، ويمتنع من النَقْط والشكْل ، فانّ فيهما تقصيراً بمن يُكاتَب ، لأنّه يُتَصوَّر بصورة مَن تنقص معرفته ، فيحتاج اليهما في مكاتبته .

فأمّا العنوان ، فالذي جرت العادة به فيه أن يكتب في جانبه الأيمن [١٣٨] بسم الله الرحمٰن الرحيم ، لعبدالله عبدالله أبي جعفر الامام القائم بأمر الله ، أمير المؤمنين بغير دُعاء ولا ذكر اسم أب وانْ كان خليفة مُلَقَّباً ، لأنّ اللقب بامرة المؤمنين قد قام مقام النَّسب الذي يُعتمد فيه التعريف . ومن الجانب الآخر : من عبده ، أو : عبدُهُ وصنيعتُهُ . وعلى ما يختار المُكاتب فلان بن فلان ، باسمه واسم أبيه . وانْ كان مُكَنّىً من حضرة الخليفة لم يذكر عليه ، أو مُلَقَّباً مُكَنّىً ، اقتصرَ على اللقب والاسم واسم الأب . وانْ كان الأب مُلَقَّباً مُكَنّىً ، ذكره باللقب والاسم . وقال بعد ذلك : مولى أمير المؤمنين ، انْ كان من الأعاجم والموالي . ويكون جميع ما ذكرناه في سطر واحد . وقد كانت العنوانات العامّة قديماً على مثل هذه الصّفة من تقديم اسم الكاتب[٣] [١٣٩] وتأخير اسم المكتوب

---

(١) راجع في هذا الشأن : صبح الأعشى ٦ : ٢٢٧ ـ ٢٢٩ .

(٢) يقال مشق في الكتابة : مدّ حروفها .

(٣) كانت سنّة العرب اذا كتب الى أحد ، شريفاً كان أو مشروفاً ، بدأ الكاتب بنفسه الى المكتوب اليه ، وكتب : من فلان الى فلان : (الوزراء والكتّاب ، ص ٢٥) .

اليه ، الا فيما كان الى امام ، أو والد ، على ما رُوِيَ عن رسول الله صلّى الله عليه ، من قوله : اذا كَتَبَ أحدكم ، فليَبدأ بنفسه ، الا الى والد أو امام. وكتب زيد[١] بن ثابت الى معاوية ، فبدأ باسم معاوية اتّباعاً لهذه الوَصاة والطريقة .

وكان ممّا نقمه المنصور ، صلوات الله عليه ، على أبي مسلم أن كتب أبو مسلم اليه : من أبي مسلم الى أبي جعفر ، عدولاً به عن هذه الرتبة وتوقفاً عن الاقرار له بالامامة . ثمّ تَسَمَّح الناس فقدموا اسم المكتوب اليه[٢] ، وأخّروا اسم الكاتب ، وجعلوا ذاك بغير دُعاء للمُكاتَب ، الى أن كتب الفضل بن سهل الى ابراهيم بن المهديّ :

« لأبي اسحاق أبقاه الله من أبي العبّاس » ، فأنفذ الكتاب الى سليمان عمّه مُطْرِفاً له به . فما وصل اليه حتى وافاه صاحبه بكتاب من الفضل اليه ، بمثل ما كاتب ابراهيم به . واستُعمِل الدعاء على العنوانات [١٤٠] من بعد ذاك ، الا ما كان الى الخليفة وعنه ، فانّه بقي على قديم رَسْمه . فأمّا اليوم فقد أسقط الملقّبون ذكر ألقابهم على عنوانات كتبهم الى الخلفاء واقتصروا على اسمهم واسم أبيهم ، وظنّوا انّ ذلك اعظام للخليفة واخبات ، وليس كذاك ، فانّ اللقب تشريف من السلطان ، وكأنّ التارك له تارك لما شُرّف به . ومن الأوامر في الكتب بالألقاب : يُكاتب أمير المؤمنين مُتلقّباً مُتسمّياً ، ومَن سواه مُتلقباً مُتكنّياً . وعلى هذا فانّني أرى اسقاط اللقب الآن جميلاً ، لأنّ الألقاب قد زادت على حدودها ، وتجاوزت ما كان عُهِد قديماً منها[٣] . فأمّا صدر الكتاب بعد بسم الله الرحمٰن الرحيم ، فيكون

---

(١) من كبار الصحابة . مات سنة ٤٥هـ .

(٢) انظر : صبح الأعشى ٦ : ٣٣٠ – ٣٣١ .

(٣) من طريف ما ذكره هلال الصابىء (تحفة الأمراء ، ص ١٥٠) ، قوله انّ الألقاب في عصره ، قد خرجت عمّا يحاط به ويوصف ، أو يأتي عليه حصر ، وصار لقب الأصغر أعظم من لقب الأكبر .

لعبدالله أبي جعفر عبدالله الامام القائم بأمر الله[١] أمير المؤمنين ، بغير دعاء من عبده [١٤١] فلان ، سلام على أمير المؤمنين • فانّي أحمد أليه الله الذي لا اله الاّ هو وأسأله أن يصلّي على عبده ورسوله صلّى الله عليه وسلّم • وقد كان ما يكتب به قديماً في الصُدور لأبي فلانٍ فلان ، سلام عليك • أمّا بعد • حتى كانت أيّام المأمون صلوات الله عليه ، فانّه زيد بعد سلام عليك : فانّي أَحْمَد اليك الله الذي لا اله الاّ هو • وأسأله أن يصلّي على محمّد عبده ورسوله صلّى الله عليه وسلّم • ويكون الصدر الذي ذكرناه في سطرَيْن • وبُقال بعده : أمّا بعد • أطال الله بقاء سيّدنا ومولانا أمير المؤمنين وأدام عِزّه وتأييده وكرامته وسعادته وحراسته ، وأتَمّ نعمته عليه وزاد في احسانه وفضله عنده وجميل بلائه ، وجزيل عطائه له • فالحمد لله • ويوصف الله بصفاته انْ كان الكتاب ابتدأ في اِخبارٍ بفَتْح أو مطالعة بأثر وانْ كان جواباً ، قيل : أمّا بعد فانّ كتاب سيّدنا ومولانا أمير المؤمنين [١٤٢] أطال الله بقاءه • ويستتم الدعاء • وَرَدَ على عبده بكذا وبقبض الكتاب وفهمه وفعل وصنع ، وتُشرح الصورة فيما يُراد ذكره • وأوّل مَن تكلّم بأَمّا بَعْد[٢] : قُس[٣] بن ساعدة في موقفه بعُكاظ وخُطْبته ، واستحسنها رسول الله ، صلّى الله عليه ، فاستعملها واتّبع رأيه وفعله فيها والمعنى في ذلك : أمّا بعد ذكر الله فالحال كذا • واذا فرغ من الكتاب وختم بانْ شاء الله ، قيل أتمّ الله على أمير المؤمنين نعمته وهنأه كرامته وألبسه عَفوه وعافيته وأَمْنه وسلامته ، والسلام على أمير المؤمنين ورحمت

---

(١) قال هلال (تحفة الأمراء ، ص ١٥١) : « ••• حتى لقد بلغني عن مولانا الخليفة القائم بأمر الله أطال الله بقاءه ، انّه قال : لم تبق رتبة لمستحقّ » •

(٢) بصدد قولهم « امّا بعد » ، راجع : الوزراء والكتّاب ، (ص ١١) ، وصبح الأعشى (٦ : ٢٢٥ ، ٢٣١ ، ٣٣١ — ٣٣٢) •

(٣) قُس بن ساعدة الايادي ، أشهر خطباء عرب الجاهلية • مات سنة ٦٠٠م •

الله وبركاته . وكتب يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا[1] . ولا يذكر اسم كاتب لأنّ ذاك يُفْعَل فيما يكتب به عن الخلفاء لا اليهم . وأمّا قولهم في صَدْر الكتاب سلام على أمير المؤمنين وفي آخره[2] السلام على أميرالمؤمنين [١٤٣] فانّ الأول ابتداء ونكرة . والثاني اشارة الى الأول ومعرفة ، وكأنّه قال : والسلام المبتدأ به مردود على أمير المؤمنين . وأمّا الكُتُب الى وُلاة العهود فعلى مثل هذا الترتيب . ويُقال للأمير واللقب انْ كان مُلَقّباً : الى فلان وَليّ عهد المسلمين وابن أمير المؤمنين انْ كان ولد الخليفة . وأمّا المكاتبات الخاصّة بين الخليفة ووزيره وصاحب جيشه المقيم على بابه ، فانّها تفتتح بذكر الأغراض من مطالعةٍ واستئمارٍ ومسألةٍ والتماسٍ ، وكذاك يكون ما يرفع من قصص المتظلّمين ، اذ ليس تكون تلك السبيل الأولى الاّ في الكتب الواردة من البلاد والصادرة اليها . ومن المأخوذ على كاتبِي الرقاع ، ورافعي القصَص ، اذا تجاوزوا الوزير وصاحب الجيش [١٤٤] وأهل الرُتَب ، أن يذكروا أسماءَهم وأسماء آبائهم على الرّقاع ، من غير أن يقولوا الخادم ولا العبد ، اذْ كان هذا من الرُتَب التي لا يؤهَّل لها كلّ أحد . وممّا كان الرسم جارياً به ، أن يقتصر في الكتاب الى الخليفة ، أو منه ، أو من الوزير الى عمّاله ، ومن عمّاله اليه ، على معنىً واحد وتكون المعاني اذا كثرت في عدّة كُتُب .

---

(١) أنظر : صبح الأعشى ٦ : ٢٤٤ ـ ٢٥١ .

(٢) أنظر : صبح الأعشى ٦ : ٣٩٧ .

خطاب الخلفاء في الكتب والأدعية لهم

كان الرسم القديم أن يُقال بعد التصدير المذكور : أمّا بعد : أطال الله بقاء أمير المؤمنين وأعزّه ، ويُدعى له في الفصول وعند الذكر بأبقاه الله[١] ، وأعزّه الله ، وأيّده الله ، وأكرمه الله ، فافتتح سليمان[٢] بن وهب الزيادة بأن جعل مكان وأعزّه : وأدام عزّه . وتعدّدت الحال الى أن ذُكر [١٤٥] بالسيادة ، وانتقلت من سيّدي أمير المؤمنين الى سيّدنا أمير المؤمنين ، وتقرّرت من بعد على سيّدنا ومولانا أمير المؤمنين ، ويُستوفى الدعاء في أوّل الكتاب وآخره على ما قدّمنا ذكره ، فيُدعى له في الفصول وعند الذكر بأدام الله عزّه وأدام تأييده وأدام تمكينه . وكان ذلك جارياً الى أيام الطائع لله ، رحمت الله عليه . فأمّا الآن فقد فارقت الحال المستأنفة تلك الرسوم السالفة ، وصار ذكْر الخليفة فيما يكاتب به : سيّدنا ومولانا الامام أمير المؤمنين ، والدعاء له بأطال الله بقاءه وأدام له العزّ والتأييد والنّصر والتمكين والرفعة والقدرة والسلطان والبسْطة وأعلى كلمته وثبّت وطأته وحرَس دولته وأظهر ألويته ، وعلى ما يختاره الانسان من زيادة على ذاك ومبالغة فيه .

ووجدتُ يمين الدولة أبا القاسم محمود[٣] بن سُبُكْتِكِين قد كان

---

(١) راجع : الرسالة العذراء ، ص ١٢ ، وصبح الأعشى ٦ : ٣٣١ .

(٢) كان أحد كتّاب الدنيا ورؤسائها فضلاً وأدباً وكتابة . كتب للمأمون ، وولي الوزارة للمهتدي ، ثمّ للمعتمد . مات سنة ٢٧٢هـ .

(٣) ملَك خراسان وسجستان ، وفتح قلاعاً كثيرة من بلاد الهند . وأقام الخطبة للقادر بالله في سمرقند وفرغانة وتلك النواحي . ولقّبه الخليفة بـ « يمين الدولة وأمين الملّة » ، ثمّ أضيف الى ذلك « نظام الدين ناصر الحقّ » . مات سنة ٤٢١هـ .

وللعُتْبيّ الكتاب « اليمينيّ » ، صنّفه ليمين الدولة محمود بن سبكتكين . وقد طُبع .

[١٤٦] يكتب الى القادر بالله ، صلوات الله عليه ، في العنوان : بسم الله الرحمٰن الرحيم لحضرة سيّدنا ومولانا عبدالله أبي العبّاس أحمد الامام القادر بالله أمير المؤمنين من عَبْده وخادمه وصنيعته وغرسه محمود بن سُبُكْتِكِين ، وذلك في سَطْر واحد . وفي الصَدْر : بسم الله الرحمٰن الرحيم لحضرة سيّدنا ومولانا عبدالله أبي العبّاس أحمد الامام القادر بالله أمير المؤمنين عبده[1] وخادمه وصنيعته وغرسه محمود بن سُبُكْتِكِين ، سلام على سيّدنا ومولانا الامام القادر بالله أمير المؤمنين ورحمت الله وبركاته ، فانّ العبد يحمد اليه الذي لا اله الاّ هو ويسأله أن يصلّي على محمّد عبده ونبيّه ، صلّى الله عليه وعلى آله الكرام ، وخصّ سيّدنا ومولانا الامام القادر بالله أمير المؤمنين بأفضل التحيّة وأطيب السلام . أمّا بعد ، أطال الله بقاء سيّدنا ومولانا الامام القادر بالله أمير المؤمنين وأدام له [١٤٧] العزّ والتأييد ، والقدرة والتحميد ، والعلوّ والبسطة ، والسُمُوّ والغبطة ، وأمضى شرقاً وغرباً أحكامه ، ونَصَر بَرّاً وبحراً أعلامه ، ولا أخلى من الدولة مكانه ، ومن النضارة زمانه . وفي آخر الكتاب بعد انْ شاء الله[2] : والسلام على سيّدنا ومولانا الامام القادر بالله أمير المؤمنين ورحمت الله وبركاته . ويُعاد الدعاء الأول الى آخره .

ورأيتُ له كتباً أُخَر على عنواناتها من الجانب الأَيْسر : عبد سيّدنا ومولانا الامام القادر بالله أمير المؤمنين وصنيعته محمود بن سبكتكين . وفي صدر الكتاب : بسم الله الرحمٰن الرحيم ، سلام على سيّدنا ومولانا الامام القادر بالله أمير المؤمنين ، فانّ العبد يحمد اليه الله الذي لا اله الاّ هو ويسأله أن يصلّي على رسوله محمد وآله . وفي الدعاء بزيادة ونقصان عمّا أوردناه . ورأيتُ له كُتباً تخالف [١٤٨] هذا ، فدلّ ذلك على ان

---

(١) لعلّ الأصل « من عبده » .

(٢) قال الكتّاب : انّه يستحبّ للكاتب عند انتهاء ما يكتبه من مكاتبة أو ولاية أو غيرهما أن يكتب « ان شاء الله تعالى » تبرّكاً ورغبةً في نجاح مقصد الكتاب : (صبح الأعشى ٦ : ٢٣٢ — ٢٣٣) .

القوم غير معتمدين لنظام واحد في المكاتبات ، وانّما يكتبون على ما يعنّ لهم من هذه الترتيبات • وما كان الأمر على مثل ذلك فيما مضى من الأوقات • نعم ، ولم أجده ذكر ألقابه عند ايراد اسمه ، ولا لقب أبيه ولا مولى أمير المؤمنين ولا ولي أمير المؤمنين ، فانْ ظَنّ الفاعل لذاك ، انّ اسقاط ما أسقَطَه تعظيم واجلال ، فليس كذاك ، وانّه لتقصيرٌ واخلال • وقد قدّمنا في أمر الألقاب ما قَدّمْناه وايراد مولى أمير المؤمنين وولي أمير المؤمنين تعبُّد •

رُسوم الـكتب عن الخلفاء

الذي جرت العادة به فيما يصدر من حضرة الخلافة ، أن يكون عنوانه : بسم الله الرحمٰن الرحيم من عبدالله عبدالله أبي جعفر الامام [١٤٩] القائم بأمر الله ، أمير المؤمنين الى فلان بن فلان ، ويذكر اسمه واسم أبيه . فانْ كان مُكَنّىً ، قيل : الى أبي فلان ، بغير اسم ، ولا اسم أب ، أو مُلَقَّباً مُكَنّىً ، قيل : الى كذا من الدولة أبي فلان ، فانْ كان من الأعاجم والموالي ، قيل : مولى أمير المؤمنين . وانْ كان أبُ المكاتب مُلَقَّباً ، ذُكِر ، فقيل : الى كذا من الدّولة أبي فلان بن كذا من الدّولة مولى أمير المؤمنين . وكلّ ذلك في سطر واحد . وفي الصدر : بسم الله الرحمٰن الرحيم من عبدالله عبدالله أبي جعفر الامام القائم بأمر الله أمير المؤمنين الى كذا من الدولة ، أبي فلان مولى أمير المؤمنين سلام عليك . فانّ أمير المؤمنين يَحْمَد اليك الله الذي لا اله الاّ هو ، ويسأله أن يصلّي على محمد عبده ورسوله ، صلّى الله عليه وسلّم . أمّا بعد ، أحسن الله حفظك وحياطتك وأمتع أمير المؤمنين بك ، [١٥٠] فقد وصل كتابك الى أمير المؤمنين يذكر كذا ، وتَقَنَّص مضمونه وفهمه ، ويُورد في الجواب ما يُراد ايراده . هذا انْ كان جواباً ، وانْ كان ابتداءً ، فعلى حسب الغرض فيه ، وتجعل الاشارة من الخليفة الى نفسه بأمير المؤمنين ، فيُقال : قال أمير المؤمنين ، ورأى أمير المؤمنين ، وأمر أمير المؤمنين ، كما يُقال عن الملوك والأمراء : فعلنا ، وصنعنا ، ورَأَيْنا ، وأَمَرْنا . وقد يقول الخليفة هذا أيضاً في الكتب والتوقيعات الخاصّة . فأمّا الكتب الصادرة الى البلاد ، فلا تكون الاشارة منه الى نفسه الاّ بأمير المؤمنين ، واذا انتهى القول في معنى

الـكتاب الى آخره ، قيل : فاعلم ذلك مِن رأي أمير المؤمنين وأَمْرِه ، واعمل به ، وافعل ، واصنع . ولا يجوز أن يُقال عن خليفة : فاعمل بذلك ، ولا : وأنت تفعل ذلك ، ولا : فرأيك في العمل بذلك . واذا استتمّ الـكتاب بان شاء الله [١٥١] قيل : والسلام عليك ورحمت الله ، وأُسْقِطَت بركاته ، ليكون بين السلام على الخلفاء والسلام منهم فرق . ثمّ يُكْتَب بعد ورحمت الله : وكتب فلان بن فلان لوزير الوقت الذي يلي الأمور . وان لم يكن مُكَنَىً ولا مُلَقَباً . فانْ كان مُكَنَىً ، قيل : وكتب أبو فلان ، أو مُكَنَىً مُلَقَّباً ، قيل : وكتب كذا من الدولة أبي فلان . ومن الرسوم أيضاً أن يُقال على عنوان الـكتاب في جانبه الأيسر بذكر كذا ، اشارة الى الأمر الذي أُصدِر الـكتاب فيه . فانْ كان الـكتاب بتكنية أو بلقب لم تُذْكَر الـكنية ولا اللقب في صَدْر الـكتاب ، وذكر بعد أن يُقال : وقد كنّاك أمير المؤمنين أو لقّبك بكذا ، وعلى العنوان من بعد .

[١٥٢] الدُّعاء للمكاتبين عن الخلفاء ، وما كان الرسم أولاً جارياً به ، وانتهى أخيراً إليه

كان أجلّ منازل الدعاء للأمراء عن الخلفاء : أحسن الله حفظك وحياطتك ، وأمتع[١] أمير المؤمنين بك ، وبالنعمة فيك ، وبه كان يُدعى لولاة العهود ولأمراء[٢] بني بويه ، رضي الله عنهم . ويُقال في الفصول : أمتع الله بك ، وأحسن الله امتاع أمير المؤمنين بك وكلأك الله ورعاك الله . ودون ذلك لولاة خراسان ، وأصحاب الأطراف : أحسن الله حفظك وحياطتك وأمتع بك ، ويُدعى لهم في الفصول بكلأك الله ، وحاطك الله ، وتولاك الله . فلمّا توفّي ركن‌الدولة[٣] ووقعت المُباينة بين عضدالدولة وعزّالدولة[٤] ، كُتب عن الطائع لله كتاب تولّي [١٥٣] انشاه ابراهيم بن هلال جدّي ، عظّم فيه عزّالدولة وجعل له التقدّم بعد ركن‌الدولة ، وقرّر له الدعاء في صدره بأطال الله بقاءك وأدام عزّك وتأييدك وأمتع أمير المؤمنين بك وبالنعمة فيك . وفي الفصول واندكر بأيّده الله .

وكانت نسخة ما نُفذ الى عضدالدولة في ذلك[٥] :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبدالله عبدالكريم الامام الطائع لله أمير المؤمنين الى عضدالدولة أبي شجاع بن ركن‌الدولة أبي عليّ مولى

---

(١) عيون الأخبار (١ : ٥١) .

(٢) خ « والأمراء » ، والألف زائدة .

(٣) أبو عليّ الحسن بن بويه بن فناخسرو الملقّب بـ « ركن‌الدولة » . كان صاحب أصبهان والريّ وهمذان وجميع عراق العجم . وهو والد عضدالدولة واخو معزّالدولة . مات سنة ٣٦٦هـ .

(٤) ابو منصور بختيار الملقّب بـ « عزّالدولة » . ولي مملكة ابيه معزّالدولة البويهي بعد وفاته . قتل سنة ٣٦٧هـ .

(٥) راجع رسائل أبي اسحاق الصابىء (١ : ٢١٦ ـ ٢٢٣) .

أمير المؤمنين : سلام عليك : فانّ أمير المؤمنين يحمد اليك الله[1] الذي لا اله الاّ هو ويسأله أن يصلّي على محمد عبده ورسوله صلّى الله عليه وسلّم ٠ أمّا بعدُ : أحسن الله حفظك وحياطتك ، وأمتع أمير المؤمنين بك وبالنعمة فيك [١٥٤] فانّ من سُنَن العدل التي يؤثر أمير المؤمنين أن يُحْيِيها ، وآداب الله التي يرى أن يأخذ بها ويقتفيها : اثابة المُحْسِن باحسانه والايفاء به على أقرانه ، والمجازاة له عن راشد[2] مساعيه ، وصائب مراميه ، بما يكون قضاءً لما أسلف وقدّم ، وكفاءً لما أكّد وألزم ، واضعاً ذلك مواضعه ، ومطبِّقاً[3] فيه بين أولياء دولته وأنصار دعوته ، بحسب الذي عُرِف من مقامات بلائهم ، وشُهِر من مواقف غنائهم ٠ فلا يستكثر جزيلاً استحقّه أكابرهم ، ولا يحتقر قليلاً استوجبه أصاغرهم شحذاً لبصائرهم في طلب الغايات ، وبعثاً على ادراك النهايات ، وتوفيةً لهم ما صار في ضِمْنِه من اطالة أيديهم الى ما تَصَدَّوا لنيله ، وتقديم أقدامهم الى حيث [١٥٥] « هَلْ جَزَاءُ الاحْسَانِ الاَّ الاحْسَانُ »[4] ، وعلى مثله استمرّت سيرة السلف الصالح مِن أمراء المؤمنين وأئمّة المسلمين الذين أمير المؤمنين متّبع لدليلهم وحاذ على تمثيلهم ، وذاهب على آثارهم ، في كلّ غرس غرسوه ، وبناء أسّسوه ، ومفخرة أثّلوها ، ومكرمة أصّلوها ٠ وأمير المؤمنين يستمدّ الله في ذلك هداية تؤدّيه الى المقصد ، وتوصله الى المُعْتَمد ، واصالة تؤْمنه من غلط الرأي وخطأ الاختيار ، ومعونة تُفضي به الى سداد المنحى ، واصابة المغزى ، وما توفيق أمير المؤمنين الاّ بالله عليه يتوكّل ، واليه ينيب ٠ وقد علمتَ ، رعاك الله وعلم غيرك ، بعين[5] ما أدركته الأعمار ، وسماع ما نقلته الأخبار : انّ الدولة العبّاسيّة التي رفع الله عماد

(١) عيون الأخبار (١ : ٩٣) ، وصبح الأعشى (٦ : ٣٩٦ ـ ٣٩٧) ٠

(٢) في رسائل الصابىء : أسدّ ٠

(٣) رسائل الصابىء : مطيفاً به ٠

(٤) سورة الرحمن ٠ الآية ٦٠ ٠

(٥) رسائل الصابىء : بعيان ٠

الحقّ بها ، وخفض منار الباطل لها ، لم تزل على سالف الأيّام ، ومتعاقب [١٥٦] الأعوام ، تعتلّ طوراً ، وتصحّ أطواراً ، وتلتاث مرّة وتستقلّ مراراً ، من حيث أصلها راسخ لا يتزعزع ، وبنيانها ثابت لا يتضعضع ، فاذا لحقها الالتياث ، وحدثت فيها الأحداث ، كان ذلك على سبيل التقويم والتأديب والاصلاح والتهذيب لمعشر كانوا كالأنعام ، رتعوا في أكلائها سائمين ، ولهوا عن شكر آلائها ذاهلين ، فيوقظهم الله من تلك السنة وينهضهم عن[1] مضاجع الغفلة ، ويجعل ما يحلّه بهم ، في خلال ما يضطرب من دهمائهم[2] ، ويشتدّ من لأوائهم[3] ، عظة لهم ، ان امتدّت بهم السنون أو لغيرهم ، ان اخترمتهم المنون ، حتى اذا انتهت هذه الحال الى حيث أراد الله بهم من الكفّ والردع ، وسبّبه لهم من النفع والصنع ، بعث لاقرار الأمر في نصابه ، وحفظه [١٥٧] على أصحابه ولياً نجيباً من أوليائهم ، وعبداً مخلصاً من أصفيائهم ، فلا تلبث أن تعود الدولة على يده غضّة العود ، معتدلة العمود ، جديدة اللباس ، متينة الأمراس[4] ، وهنالك يكذّب الله آمال المعاندين ، ويخيّب ظنون المحادّين ، ويردّهم بغصّة الصدور ، وشجى النحور ، ويكون النفر الذين تجري هذه المنقبة على أيديهم ، وتتمّ النعمة فيها بمساعيهم ، أعياناً لتلك[5] العصور ، وولاة فيها على الجمهور ، وكالشركاء للأئمّة المساهمين ، وذوي اللحمة المناسبين •
وتلك كانت منزلة معزّ الدولة أبي الحسين مولى أمير المؤمنين ، نفعه الله بما توفاه عليه من عزّ الطاعة ونظم أُلفة الجماعة ، والاجتهاد فيما ربّ الدين ولمّه ، وتلافى نشره وضمّه ، فانّه لبس الأمر وقد دبّ الفساد فيه ، وصدئت بصائر أهليه [١٥٨] وصار حظّهم منتهياً مضاعاً ، وفيئهم مقتسماً

---

(١) رسائل الصابىء : « من » ، وهي أولى من « عن » •

(٢) الدهماء : العامة •

(٣) اللأواء : الشدّة •

(٤) الأمراس جمع المرس : الحبال •

(٥) رسائل الصابىء : على •

شعاعاً[١] ، وآثار دينهم طامسة ، ومعالمه دارسة ، ورؤوس أوليائه ناكسة ، وعيون أعدائه مُتَشاوِسة[٢] ، فلم يَدَع ، أحسن الله مجازاته ، طرفاً مأخوذاً الاّ ارتجعه ، ولا حقاً مغلوباً[٣] عليه الاّ انتزعه ، ولا عدواً باغياً الاّ قمعه ، ولا جبّاراً طاغياً الاّ صرعه ، شاهراً سيفه على كلّ مُنْتَمٍ الى الولاية بزعمه ودعواه ، أجنبي منها بسرّه ونجواه ، الى أن ذلّل الرقاب بعد استصعابها وابائها ، وأضرع الخدود بعد صَعَرها والتوائها ، ورتق الفتوق بعد تفاقمها واستفحالها ، وأدمل الجروح بعد اعيائها واعضائها ، وأعاد الى السلطان ما كان خُرِق من هيبته ، وصان ما انتهك من حرمته ، وصاحَب خدمة المطيع لله [١٥٩] صلوات الله عليه ، منذ أَفْضَى الله بخلافته اليه مُصاحبة ، سلك فيها سبيل وفاقه وبَعُدَ عن غشّه ونفاقه ، وأخلص له اخلاصاً ساوى فيه بين سرّه وجهره ، وألّف بين عالنه وباطنه ، واستمرّ على ذلك بقيّة عمره وثميلة مدّته ، الى أن قبضه الله نقيّ الصحيفة من دون العيوب ، خفيف الظهر من محمل الذنوب ، فاتبعه المطيع لله ، صلوات الله عليه الدعاء الذي هو خير الزاد وأنفع العتاد ، وأقرب الوسائل الى ربّ العالمين ، وأعودها بأجر المأجورين ، وجازاه بأن أقرّ تلك الرتبة العليّة ، والمحلّة السنيّة على ولده وسليله ، ونظيره في النجابة وعديله : عزّ الدولة أبي منصور بن مُعِزّ الدولة أبي الحسين مولى أمير المؤمنين أمتع الله به [١٦٠] لا اقرار المحابي له فيما لم يستحقّه ، ولا السّامي به الى ما ليس من أهله ، بل عن فضائل تكاثفت ، وآثار تناصرت ، لم يكن له في شيء منها مقارن يزاحمه بمنكبه ، ولا مقارب يُجاريه بسعيه ، ذلك أنّهُ تقيّل خلائق مُعِزّ الدولة أبي الحسين وراثة ، واشتمل عليها حيازة ، وتوقّل[٤] في هضاب معاليه صاعداً ، وفي صعاب مراقيه سامياً ، واستولى على شرف

(١) الشعاع : المتفرّق . ومنه تطاير القوم شعاعاً .

(٢) التشاوس : النظر بمؤخّر العين كبراً أو غيضاً .

(٣) رسائل الصابىء : معاوناً عليه .

(٤) توقّل : صعد .

التَّرتُّب والتأدُّب بين امام تلك صنائعه ، ووالد هذه ذرائعه ، وقَرَنَ الى تلك المناقب التي كسبه اياها عظيم سعادته وحبسها عليه كريم ولادته ، مناقب توابع استأنفها ، ومحاسن شوافع استقبلها ، ومطالب لذوايب[١] الفخر والمجد أدركها وتناولها ، ومغانم من عوائد الشكر والحمد ملكها [١٦١] وتخوَّلها ، ولم يزل للمطيع لله ، رحمت الله عليه ، خير ظهير ، حفظ سريره ، وأفضل نصيح دَبَّر أموره ، يَدْأَبُ له وهو قارٌّ ، ويحوط من ورائه وهو غارٌّ[٢] ، ويسهر عنه اذا رقد ، ويهبُّ معه اذا استيقظ ، ويوليه في كلِّ ما يجتمعان عليه يداً من الطاعة ، يلين له لمسها ، ويخشن على أعدائه مسّها ، الى أن استوفى في الخلافة أمداً لم يستوفه أحد من الخلفاء قبله ، ناجياً فيه من الغوائل التي كانت تغول أعمارهم وتقصّر آجالهم ، وتجري على أيدي السّفهاء من خَوَلهم[٣] ، والجهال من جندهم ، مذوداً عنه في ذلك العمر الطويل ، والأجل المديد كلّ عدوّ ممنوعاً منه كلّ مكروه وسوء ، ممتَثلاً رأيه في كلّ مطلوب ، متّبعاً هواه في كلّ محبوب ، [فلمّا صار رضوان الله عليه [١٦٢] من السنّ العُلْيا ، والعلّة[٤] العظمى ، بحيث يحرج أن يقيم معه على امامةٍ قد كَلَّ عن تحمّل كلّها ، وضعف عن النهوض بعبئها ، خلع ذلك السربال على أمير المؤمنين خلع الناصّ[٥] عليه ، والمسلم اليه][٦] ،

(١) كذا ما في المخطوط . وفي رسائل الصابىء : لذواهب . وهو المقبول .

(٢) غارّ : غافل .

(٣) رسائل الصابىء : خواصّهم .

(٤) ذكر بعض المؤرّخين (تجارب الأمم ٢ : ٢٨٣ ، ٣٢٧ — ٣٢٨) : انّ في أول صفر سنة ٣٦٠هـ ، غلبت على المطيع لله علّة الفالج ، فآل الأمر فيها الى استرخاء جانبه الأيمن ، وثقل لسانه ، وتعذّرت الحركة عليه . ثمّ تماثل وتماسك وعاش على هذه الحال الى الوقت الذي سلّم فيه الأمر الى الطائع لله .

(٥) الناصّ من النصّ . ونصّ عليه : عينه .

(٦) ما بين العضادتين [ ] ، نقله الثعالبي (يتيمة الدهر ٢ : ٢٢٧) في كتاب تقليد المطيع ابنه الطائع ما كان اليه من الخلافة .

خارجاً الى ربّ العالمين ، وجماعة المسلمين ، من الحق[١] في ايالتهم وسياستهم ما استقلّ واضطلع ، وفي حسن الارتياد لهم حين حسر وظلع[٢] وعزّ الدولة أبو منصور ، أمتع الله ببقائه ، ودافع عن حوبائه ، متصرّف في جميع ذلك على حُكمِ التزمه ، وفرضٍ افترضه في رعاية ما سلف من الصَّنيعة واستحفظ من الوديعة ، لا يخرجه عن الطاعة هوًى يميل اليه ، ولا غرور يُعَرِّج عليه ، لكنه فيها على المنهج الأوضح والمَتْجَر الأربح [١٦٣] والسنن الأقوم ، والمعتقد الأسلم ، فكان فِعله بعد عجز المطيع لله خَصَّه الله بالرحمة والصلاة ، ونصّه على أمير المؤمنين ، أنهضه الله بما ولاّه[٣] واسترعاه في قَوْد الأولياء الى الرِّضى[٤] به ، وجَمْع كلمتهم على الدّخول في بَيْعَته وازالتهم عمّا كانوا عليه من اختلاف الآراء ، وتشتت الأهواء[٥] ، جازياً لفعل المطيع لله ، رضوان الله عليه ، به بعد وفاة معزّ الدولة أبي الحسين رحمه الله ، اذْ أقَرَّهُ مَقَرَّه ، ونصبه منصبه ، وجرى ذلك مجرى الديون المتقارَضَة[٦] ، وانْ كان كلّ من الفريقين قد أضاف الى الحقّ فيما ابتدأ ، وقضى احراز الحظّ للأمّة فيما ارتأى وأتى . هذا على نوائب قاساها عزّ الدولة أبومنصور ، أحسن الله الامتاع به ، [١٦٤] وعاناها ، وشدائد باشرها وصابرها ، وحوادث كانت مزّقت بين دار أمير المؤمنين وداره ، وباعدت جوارَه عن جوارِه ، ولم يكتب الله في شيء منها عليه ، استحالة عن الولاء ، ولا على أمير المؤمنين اخلالاً بالوفاء ، ولمّا كان أمير المؤمنين قد استفاد في زمان تلك الفرقة تجربة ، تَثَبَّت له انّ لعزّ دولته حظّاً في كرم الضريبة لا يُدانى ، وشأواً في يُمْن النقيبة لا يُجارى ، ووجده وأهله ،

(١) رسائل الصابىء : في حسن ايالتهم .

(٢) أعيى وضعف .

(٣) رسائل الصابىء : أولاه .

(٤) رسائل الصابىء : الرّضا .

(٥) رسائل الصابىء : من اختلال الروية وتشتت الآراء .

(٦) رسائل الصابىء : الديون المقارضة والحقوق المفاوضة .

أمتع الله أمير المؤمنين بهم ، وحرس عليه الموهبة فيهم ، مشرَّفين شرفاً أولاً بالتكنية والتلقيب لهم ، وشرفاً ثانياً باجابتهم الى مثل ذلك في اللائذين المتعلّقين بهم ، رأى ، انّ من أوجب الحقّ عنده ، وألْزَم الأمر له أن يُبَيّن عزّالدولة أبا منصور [١٦٥] بشعار من الاكرام ، وميسم من الاعظام ، لا يُساويه فيهما مُساوٍ[١] ، اشارة الى موقعه اللطيف ، ودلالة على محلّه المنيف ، وتمييزاً له عن الأكفاء وايفاءً به على النظراء ، اذْ هو مستبدّ عليهم بأثرة مغاداة مجالس أمير المؤمنين ومراوحتها ، والتمكّن منه في أوقات حَشْدها وخلوتها ، والاقتدار فيها على تقديم[٢] الرُتَب وتأخيرها ، واقرار النعم وتخويلها . [فجدَّد له أمير المؤمنين مع هذه المساعي السّوابق ، والمعالي السّوامق ، التي يلزم كلّ دانٍ وقاصٍ ، وعامٍّ وخاصٍّ ، أن يعرف له حقّ ما كُرِم به منها ويتزحزح[٣] له عن مقام[٤] المماثلة فيها][٥] مزايا ثلاثاً ، أولاهنّ أن شابكه في اللحمة ، كما شاركه [١٦٦] في النعمة ، وناط ما بينه وبينه بصهر يتّصل سببه يوم انقطاع الأسباب ، ويستمر غَرْسه في الولد والأعقاب ، فيكون الناشىء منهم في مستقبل الأعمار ومستأنف الأدوار ، ضارباً بعِرْقَيْه الى أمير المؤمنين واليه . — والثانية : أن أمَر بالدعاء له في المكاتبات عنه بما لم يكتب به عن امام الى وليٍّ لعهد ، ولا ماتٍّ بحقّ واقفاً به في ذلك على حدّسأل عزالدولة ، أمتع الله أمير المؤمنين به ، الوقوف عليه ،

---

(١) في رسائل الصابىء زيادة « ولا يوازيه في احرازهما موازٍ » .

(٢) رسائل الصابىء : ترتيب .

(٣) هذه هي الفقرة التي أغضبت عضدالدولة البويهي ، وحفظها لأبي اسحاق الصابىء ، فانّه أنكر عليه هذه اللفظة أشدّ انكار ولم يشكّ في التعريض به ، وأسرها في نفسه ، الى أن ملك بغداد وسائر بلاد العراق ، فنكبه تلك النكبة التي هاضت جناحه وصيّرت الى الشقاء غدوه ورواحه . راجع : يتيمة الدهر (٢ : ٢٢١ — ٢٢٢) ، تفضيل الأتراك على سائر الأجناد (ص ١٣ — ٢٠) .

(٤) رسائل الصابىء : سرير .

(٥) ما بين العضادتين [ ] نقله الثعالبي (يتيمة الدهر ٢ : ٢٢١) وياقوت (معجم الأدباء ١ : ٣٢٧ — ٣٢٨) في الكلام على نكبة أبي اسحاق الصابىء .

واستعفى من التجاوز له لزوماً لعادته في اعظام الامامة والاخبات[1] للخلافة ، وخفض الجناح لها ، وغَضّ الطَرْف دونها ، والاستكثار للقليل من تشريفها ، والاستعظام لليسير من تكريمها . وانْ كان أمير المؤمنين موجباً له من ذلك استغراق [١٦٧] الغايات ، واستيعاب النهايات ، وهو ، أن يُصدَّر الكتب اليه بأطال الله بقاك ، وأدام عزكّ وتأييدك ، وأمتع أمير المؤمنين بك ، وبالنعمة فيك ، ويُدعَى له عند ذكره في الكتب الى أمير المؤمنين وعنه بأيَّده الله . ـ والثالثة : أن جمعه أمير المؤمنين الى نفسه في استخدام الوزراء ، وأشركه معه في تقليد الأولياء ، وانْ عرف لنصيرالدولة أبي طاهر[2] حقّ تقدّمه في الكفاية والغَناء ، وابرازه في الاستقلال والوفاء ، وقيامه بكلّ مُهِمّ طرق ، ودفاعه لكلّ مُلم أرهق ، وسَدَّه من هذه الحَضْرة التي هي قبّة الاسلام وواسطته وسنامه وغاربه ، مكاناً لم يَسُدّه مثله ولا يملأه غيره . فعزّالدولة أبو منصور بن معزّالدولة أبي الحسين [١٦٨] مولى أمير المؤمنين ، أيّده الله . الآن المستعلي على الأقران ، الفائت لغايات أهل الزمان ، المُتَبَوّىء للرتبة العليا ، المستقرّ في غايتها القصوى ، ونصيرالدولة ، الناصح أبو طاهر ، أمتع الله به ، الجامع لوزارتَيْهما ، الحامل للأثقال دونهما ، الحائز شرف المناب عنهما ، الجاري مجرّى واحداً منهما ، وقد أمر أمير المؤمنين بأن يُوَفّى من الحقّ أكبر[3] ما وُفّيَه وزير وازر وظَهير ظاهر ، في قديم وحديث ، وبعيد من العهد وقريب ، وحَظَر على سائر الأولياء والخدم من ذي سيف وقلم ، أن يسمو بنفسه[4] الى تَسَمّ باسمه ، وارتسام برسمه[5] ، لأنّه حقّ من حقوق الخلافة ،

---

(١) الخشوع والتواضع .

(٢) هو محمد بن بقيّة وزير عزّالدولة . وقد مرّ ذكره .

(٣) رسائل الصابىء : أكثر .

(٤) رسائل الصابىء : أن تسمو نفسه .

(٥) رسائل الصابىء : وأن يوسم بوسمه .

(٣) أي الاشراف والعلوّ .

لا يَنْحَلَه(١) أمير المؤمنين من صنائعه أجمعين وانْ كثر عددهم [١٦٩] واختلفت مَقارّهم ، وتقدّمت مراتبهم ، وتَوَجّهَت وسائلهم الاّ من كان ماثلاً بين يديه ، وعارضاً للأعمال عليه ، وجارياً هذا المجرى في تمكّن السبب عنده وحسن الأثر(٢) لديه ، فاعرف كلأك الله لعزّالدولة أبي منصور أيّده الله ، قَدْر ما وُفّر من النعمة عليه ، ولنصيرالدولة الناصح أبي طاهر ما خُصّ به ، وأُزلّ اليه ، وقم بذلك الحقّ الأول بادياً ، وبهذا الحقّ التالي مُثنياً مُوَفّياً ، وأجب أمير المؤمنين بوصول كتابه اليك وامتثالك الأمر الوارد فيه عليك وتلقّيك اياه بما يعدّك به في الأوضَحين سبيلاً ، والأرشدين دليلاً ، ان شاء الله والسلام عليك ورحمت الله . وكتب نصيرالدولة الناصح أبو طاهر يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ستّ وستين وثلثمائة . .

وهذا الكتاب ، الكتاب الذي نَقَمَه عضدالدولة على ابراهيم بن هلال جدّي وحبسه لأجله أربع سنين وشهوراً . ومَلَك عضدالدولة العراق ، فطلب من الطائع لله الزيادة على ذلك ، فزاده ، وسعادتك ونعمتك ، وأمتع أمير المؤمنين بك وبالنعمة فيك وعندك . وجَعل الدعاء له في الفصول وعند الذكر بأدام الله عزّه . وبُدىء بذلك في الكتاب اليه بتلقيبه تاج الملّة ، مضافاً الى عضدالدولة . وقيل له في عرض القول فيه . وقد رأى أمير المؤمنين الايفاء(٣) بك على الاكفاء ، وَوَسَمَك بامارة الأمراء . وكانت هذه الرتبة أفخم وأعظم من كلّ ما تقدّم ، وصار هذا الدعاء رسماً لمن بعده من اخوته وولده . وأفضت الخلافة الى أمير المؤمنين القادر بالله ، صلوات الله عليه ، فجعل الدعاء لبهاءالدولة في الفصول [١٧١] وعند الذكر بأدام الله تأييده ، وانتقل الى ولده بعده . ووقف الأمر الى هذه الغاية عنده . وأمّا وزراء الخلفاء المُدبّرون كانوا للأمور من قبلهم ، فكان الدعاء لهم في الكتب العامّة بأمتع الله به . وفي التوقيعات بأمتعنا الله بك .

(١) نحله الشيء ينحله أعطاه اياه .

(٢) رسائل الصابىء : البرّ .

الانتساب الى مولى أمير المؤمنين

انّما يُنْسَب أو ينتسب الى ذلك الأعاجم والموالي . فأمّا العرب الصُرحاء فلا يفعلونه . وأذكر ـ وقد كَتَب رافع بن محمّد بن مقَن[1] على كتبه : من رافع بن محمّد ابن عمّ أمير المؤمنين ـ . فأنكر أمير المؤمنين القادر بالله صلوات الله عليه فعلَه ، وأمر بمنعه منه ، فتردّد معه خَوْض طويل ، حضرتُ بعضه وتَرَسَّلْتُ فيه ، وقال : أَلَسْتُ [١٧٢] عربياً من مُضَر . فأنا ابن عمّ أمير المؤمنين . فقيل له : ليس كلّ مَن كان من مُضَر ، وجبتْ له هذه النسبة . وهذا ما لا يجوز ، ولا يُجاز لك . فترك بعد مراجعات . وكان محمد بن عبدالواحد بن المقتدر بالله ، رضي الله عنه ، يُترجم رقاعه : محمد بن عبدالواحد عمّ أمير المؤمنين . وما علمتُ ذلك فُعِل في الصدر الأول . وكثر المنتسبون الى مولى أمير المؤمنين في أيّام بهاءالدولة ، فميُّز بصَفيّ أمير المؤمنين ، واتسع المدخل الى ذاك وكثرت فيه المطالب . وقد دخل في الانتساب الى مولى أمير المؤمنين ، المُلَقَّبون من الكُتّاب والعمّال والحواشي واعتقدوا به زيادة في المنزلة ورتبة مقرونة باللقب . وأمّا الأتراك فليس لهم فعل ذاك ، لأنّهم موالي غير الخليفة ، اللهمّ [١٧٣] الاّ أن يكون فيهم مَن رقّه وولاؤه له ، فله أن يفعله . وقد كان سُبُكتكين[2] حاجب مُعزّالدولة عند عصيانه على عزّالدولة وتلقّبه بنَصْرالدولة ، كتب من نَصْرالدولة أبي نَصْر مولى أمير المؤمنين ، انتفاءً من مواليه واعتزاءً الى ولاء الخليفة ، وتشرّفاً به . وسلك أبو منصور الفتكين[3] لمّا انتصب منصبه مسلكه ، وكتب : من أبي منصور مولى

---

(١) شهابالدولة أبو درع رافع بن محمد بن مقن ، له شِعْر حسن . مات سنة ٤٠٦هـ . أخباره في : تاريخ هلال الصابيء (ص ٤١٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥٢) ، والكامل في التاريخ (٩ : ٩٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٨٣) .

(٢) أبو منصور سبكتكين : حاجب معزّالدولة البويهي وقائد جيشه . مات سنة ٣٦٤هـ .

(٣) اشتهر بالفتكين المعزّي ، نسبة الى معزّالدولة البويهي .

أمير المؤمنين ، لأنّه امتنع من اللقب ، فاقتصر على الكنية . وفعل بجكم وتوزون من قبل مثل ذاك وهما من موالي مَرْدَاويج[١] بن زيار . وأصل هذا الأمر وانتساب من تقدّم في الدولة العبّاسيّة حرس الله أيّامها من الناقلة الى الاسلام ومماليك الخلفاء من الأتراك وغيرهم من الأجيال والأجناس وأولادهم الى الولاء تشرّفاً به .

[١٧٤] وقد كان المتوكّل على الله ، رحمت الله عليه ، كتب لعبيدالله بن يحيى بن خاقان كتاباً بنسبته الى ولائه مشهورة حاله ، وجعل ذلك على وجه الرّفع منهُ والتنويه به ، وهو مع ذاك من أولاد الموالي .

---

(١) مرداويج بن زيار الجيلي الديلمي . صاحب بلاد الجبل وغيرها . عظم امره في أيام الراضي بالله . قتل سنة ٣٢٣هـ .

ما يُذْكَر في أواخِرِ الكتب مِن قولهم : وكَتَبَ فلانٌ بن فلانٍ

كَتب عليّ بن أبي طالب ، عليه السلام ، ذلك في كُتُب كتبها عن النبيّ صلّى الله عليه . وكتب معاوية وزيد بن ثابت مثله . ولم يكن الغَرَض فيه يومئذٍ الرُتْبَة ، وانّما أُريد به تعريف الكتاب بذكر كاتبه ، لأَنَّ النبيّ صلّى الله عليه ، كان أُمّيّاً لا يكتب بيده . وكتب كتّاب الخلفاء [١٧٥] ما كتبوه من ذلك فيما بعد اتباعاً لهذه السُنَّة . وقرأتُ في أواخر كتب من عبدالملك بن مروان[١] : وكتب سالم[٢] مولى أمير المؤمنين ، وكان كاتبه[٣] ومولاه . وشاهدتُ كتاباً بخطّ المأمون ، صلوات الله عليه ، وفي آخره : وكتب أمير المؤمنين بيده . ثمّ اعتُدَّت هذه الحال منزلة ، فيها نباهة وجلالة ، فأضافها الوزراء الى نفوسهم ، وجعلوا ما يصدر من الكُتُب تولّوها أو تولاّها كُتّابهم عنهم بأسمائهم . وجرى الأمر على ذلك الى أن قبض عزّالدولة على أبي طاهر بن بقيّة في آخر أيّامه ، وخَلَت الوزارة من مرتسم بها ، فكتب ابراهيم جدّي : وكتب ابراهيم بن هلال بحُكْم تقلّده ديوان الرسائل ، ووافى عضدالدولة فأجرى عبدالعزيز بن يوسف على ذاك واستمرّ هذا الرسم بعده لمن [١٧٦] يتقلّد ديوان الرسائل ، الى أن صُرِف محمد بن الحسن بن صالحان عنه ، وحصل بهاءالدولة بفارس ، وصارت المكاتبات السلطانية من دار الخلافة العزيزة ، فكتب ابن حاجب

---

(١) كان كاتباً على ديوان المدينة ، ثم صار خليفة سنة ٦٥هـ .

(٢) هو سالم مولى سعيد بن عبدالملك . كان يكتب للوليد بن يزيد بن عبدالملك على ديوان الرسائل . ثمّ كتب له ابنه عبدالله بن سالم .

(٣) لم يذكر المؤرّخون انّ « سالماً » هذا كتب لعبدالملك بن مروان ، أنظر : أنساب الأشراف (١١ : ٣٥ ؛ ط . أوربة) ، تاريخ الطبري (٢ : ٨٣٦ ـ ٨٤٠) ، الوزراء والكتّاب (ص ٣٤ ـ ٣٧) ، لطائف المعارف (ص ٤٢ ، ٩٦ ـ ٩٧ ؛ ط . ليدن = ص ٦١ ، ١٥٩ ؛ ط . القاهرة) .

النعمان : وكتب عليّ بن عبدالعزيز ، وألِفَ ذلك ، وجرت الحال عليه . هذا في الكُتُب عن الخلفاء . فأمّا الكتب عن الأمراء فلم أرَ أحداً فعل هذا فيها ، الاّ ما كان من عبدالعزيز بن يوسف ، فانّه كتبه فيما كتب به عن عضدالدولة من عهود الولاة والقضاة ، لأنّها نُقلت الى اسمه ، فقيل : هذا ما عهد عضدالدولة وتاجالملّة أبو شجاع بن ركنالدولة أبي عليّ مولى أمير المؤمنين الى فلان . متأوّلاً في ذلك بأنّ جميع الأمور منوط بتدبيره وداخل في تقليده . ولمّا نظر ابراهيم بن هلال جدّي في ديوان الرسائل أيام صَمْصامالدولة [١٧٧] قال : لا يصحّ عقد القضاء وتَوْليته الاّ من الخليفة ، وكره تغيير السُنّة العَضُديّة ، فكتب : هذا ما عهد صَمْصامالدولة وشمسالملّة أبو كاليجار بن عضدالدولة وتاجالملّة أبي شجاع بن ركنالدولة أبي عليّ مولى أمير المؤمنين الى فلان ، بأمر أمير المؤمنين الطائع لله ، أطال الله بقاءه . وانتقل النظر في أمور القضاة والمُقَلَّدين والملقّبين من أصحاب الأطراف الى دار الخلافة العزيزة . فأُعيدت العهود الى رُسُومها الأُولى ، وكُتِبت عن أمير المؤمنين القادر بالله ، صلوات الله عليه .

الطُرُوس(١) التي يُكْتَبُ فيها إلى الخلفاء وعنهم ، والخَرائِط التي تَحمِل الكُتُب صادرةً وواردةً فيها ، والخُتُوم التي تُوَقَّع عليها

[١٧٨] الذي جرت به العادة القديمة في الكُتُب السلطانية ، أن تكون في القراطيس(٢) المِصْريّة العريضة . فلمّا انقطع حملها . وتعذّر وجودها(٣) ، عُدِل الى الكاغد الشيطاني(٤) العريض . هذا في كُتُب العهود والولايات والألقاب ، وما يُكتب به الى أصحاب الأطراف ويكتبون(٥) به .

(١) الطُروس ، مفردها : الطِرْس . بمعنى الصحيفة . راجع في هذا الموضوع :

١ ــ صبح الأعشى ٦ : ١٨٩ ــ ١٩٦ .
٢ ــ الوراقة والورّاقون في الاسلام : لحبيب زيّات (بيروت ١٩٤٧ ؛ ٤٧ ص . مستلّ من مجلّة المشرق ١٩٤٧) .
٣ ــ صحف الكتابة وصناعة الورق في الاسلام : لحبيب زيّات (المشرق ٤٨ [بيروت ١٩٥٤] ص ٤٦٢ ــ ٤٦٣) .
٤ ــ الورق أو الكاغد : صناعته في العصور الاسلامية : لكوركيس عوّاد (دمشق ١٩٤٨) .

(٢) القراطيس ، واحدها القرطاس . اضطرب كلام القوم في تفسير لفظ القرطاس الذي كان يُطْلَق على صحف البرديّ . وهو من الرومية ، تكلّموا به قديماً . وجاء في القرآن الكريم (سورة الأنعام : الآية ٧ و٩١) : « وَلَوْ نَزَّلْنا عليكَ كتاباً في قِرْطاسٍ » . « قُلْ مَنْ أنْزَلَ الكتابَ الّذي جاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِلنّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ » .

وفي لسان العرب ٨ : ٥٤ ــ ٥٥ : القِرْطاس : الكاغد يُتَّخَذ من برديّ يكون بمصر . ثمّ أطلقه على الصحيفة من أيّ شيء كانت . وفي صبح الأعشى (٢ : ٤٧٤) ، انّ القرطاس والصحيفة بمعنى واحد وهو الكاغد ، وانّ كلّ كاغد قرطاس . وهو تفسير مُوَلَّد تُنوسي فيه الأصل لانّ الكاغد من القنّب والكتّان . والقرطاس من قصب البرديّ . ثمّ لمّا ظهر الورق السمرقندي وعمّ استعماله وانقطع بسببه عمل الورق البرديّ ، تحوّل لفظ القرطاس الى معنى الكاغد واشترك المعنى بين الكلمتين .

(٣) انظر ما كتبه حبيب زيّات في (المشرق ٤٨ [بيروت ١٩٥٤] ص ٤٧٨ ــ ٤٨٣) ، بعنوان : « غلاء القراطيس وأثمانها » .

(٤) لعلّ اللفظة مصحّفة من « السلطاني » أو « السليماني » .

(٥) كذا ما في المخطوط . وصوابه « وما يكتبون به » فانّ التغاير يستوجب تكرار الاسم الموصول .

فأمّا ما يجري من الخليفة مجرى التوقيع ، ومن وزيره المقيم بحضرته مجرى المطالعة ، فالمُسْتَحَبّ فيه الكاغد النصْفي(١) . وأمّا اسْحاءَة الكُتُب ، فشَرَّابَة إبريسم سوداء ، وخَتْمُهُ إمّا عَنْبَر ومسك ، أو طين أسود مخلوط بعَنْبَر . وأمّا الخرائط فمن ديباج أسود ، ويُشَدّ رأس الخريطة بشَرَّابَة أخرى في إشْرِيجة(٢) مختومة . وأمّا كُتُب العُهُود التي يُقال في أولها : هذا ما عهد فلان الى فلان ، فلا حاجة الى خَتْمها لأنه لا عنوان لها . [١٧٩] فانْ خُتِمت ، ففي أواخرها . على(٣) انني لم أرَ ختماً في أواخر العُهُود . وأكثر ما رأيتُه في كُتُب المقاطعات والشروط الامامية ، واذا كان فعلى إشْرِيجة فضّة بشَرَّابة ابريسم .

وأمّا نقوش الخواتيم(٤) ، فخَتْم الخلافة خاتم رسول الله صلّى الله عليه ، ونقشه محمد رسول الله في ثلاثة أسطر ، وما سوى ذلك فعلى حسب الاختيار . وكان على خاتم أبي بكر رحمت الله عليه الخاصّ به : « نِعمَ القادِرُ الله » . — وعلى خاتم عمر بن الخطّاب ، رحمت الله عليه : « كفى بالموت واعظاً ، يا عمر » . — وعلى خاتم عثمان بن عفّان : « آمن عثمان بالله العظيم » . — وعلى خاتم عليّ بن أبي طالب ، عليه السلام : « الله الملك ، عليٌّ عَبْدُه » . واختلف من بعد هذه الطبقة فيما نقشوه على خواتيمهم(٥).

---

(١) مقادير قطع الورق في القديم ، هي : الثلثان والنصف والثلث والربع والسدس .

(٢) سبق لنا كلام على هذه اللفظة : (الحاشية ٣ ، ص ١٠٠) من هذا الكتاب .

(٣) خ : وعلى ، الواو زائدة .

(٤) بشأن الخواتيم ونقوشها ، أنظر : عيون الأخبار (١ : ٣٠٢ — ٣٠٣) ، الرسالة العذراء (ص ٢٨) ، أدب الكتّاب (ص ١٣٩ — ١٤٣) ، محاضرة الأوائل (ص ٢٧) ، مجلّة الآثار — زحلة (ج ٩ ، السنة ٢ [١٩١٣]) .

(٥) كُتب على الحاشية بقلم يختلف عن الأصل ، ما هذا نصّه : « ما أقلّ أدب مؤلّف هذا الكتاب ، فانّه يترحّم على من شأنه الترضّي ، ويترضّى على من شأنه الترحّم . أو لا هذا ولا ذا كبني بويه ، فانّهم أرفاض ، ولا يقال فيهم الاّ قبّحهم الله » .

الألقاب

أمّا الألقاب ، فهي قديمة[١] ، وكان منها في الجاهلية ذو نُواس ، وذو رُعَيْن ، وذو قرن ، وذو فائش ، وذو جَدَن ، وغير ذلك . ووافى الاسلام ، فوَسَم بها رسول الله صلّى الله عليه ، جماعة من أصحابه ، منهم : أسدالله حمزة بن عبدالمُطّلب ، وذو اليدَيْن عمرو بن عبد عمرو بن نضلة ، وذو السَّيْفَيْن أبو الهَيْثَم مالك بن التَّيهان الأنصاريّ ، وكان يحضر الحرب بسيفَيْن . ولقّب ممن استشهد في الحروب خُزَيْمَة بن ثابت الأنصاريّ بذي الشهادتَيْن ، وجعفر بن أبي طالب بالطيّار ، وغير هؤلاء ممّن اسمُه مذكور وخبره مشهور . وكان أصحاب النبيّ صلّى الله عليه يدعونه بالأَمين . ولقّب هو أبا بكر بالصدّيق ، وعُمَر بالفاروق ، وعثمان بذي النورَيْن . ولقّب الناس بعد وفاته عليّ بن أبيطالب بالوصيّ . فلمّا توفّي [١٨١] رسول الله صلّى الله عليه ، دعا الناس أبا بكر بخليفة رسول الله ،وكتب على كُتُبه مثل ذلك . وقام عمر بعده ، فدُعِي بخليفة خليفة رسول الله مُدَيْدَةً ، ثمّ نُقِل الى أمير المؤمنين . وكان السبب على ما رُوِيَ : انّ عمر رحمت الله عليه ، كتب الى عامله بالعراق ، بأن يبعث اليه رَجُلَيْن عارفَيْن بأمور العراق ليسألهما عمّا يريد سؤالهما عنه . فأنفذ اليه لَبِيد[٢] بن ربيعة ، وعَدِيّ[٣] بن حاتم . فلمّا وَصلا الى المدينة ، أناخا راحِلَتَيْهما بفناء المسجد ، ودخلاه ، وفيه عمرو بن العاص ،

---

(١) راجع : الوسائل الى مسامرة الأوائل (ص ٧٦ ـ ٨٥) ، محاضرة الأوائل (ص ٧٦ ـ ٨٣) .

(٢) أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية . وهو أحد أصحاب المعلّقات . أدرك الاسلام ووفد على النبيّ ويعدّ من الصحابة . سكن الكوفة . مات سنة ٤١هـ .

(٣) أمير ، صحابي . من الأجواد العقلاء . كان رئيس طيىء في الجاهلية وفي الاسلام ، أسلم في سنة ٩هـ . وشهد فتح العراق . وهو ابن حاتم الطائي . مات بالكوفة سنة ٦٨هـ .

فقالا له ، استأذن لنا على أمير المؤمنين . فقال لهما : أنتما أصبتما اسمه . وقام فدخل على عمر ، وقال له : السلامُ عليك يا أمير المؤمنين . فقال : ما بَدا لك يابن العاصّ في هذا القول ، لتخرجنّ من ذلك . قال : نعم ، وَرَدَ لَبيدٌ وعَديٌّ ودخلا المسجد ، وقالا : استأذن لنا على أمير المؤمنين [١٨٢] فقلتُ لهما : أنتما أصبتما اسمه ، وأنتَ الأمير ونحن المؤمنون . ودعا له به على المنبر أبو موسى الأشعريّ ، واستمرّ الأمر على مثله نكلّ مَن انتصب منصبه ، ولم يتلقّب أحد من بني أُميّة . فلمّا انقضت أيامهم وعاد الحقّ الى أربابه ، وظهرت الدولة العبّاسيّة ، ثبّت الله أركانها ، وأُخذت البيعة لابراهيم بن محمد ، رحمت الله عليه ، قيل : الامام . وتلقّب الخلفاء الراشدون ، صلوات الله عليهم ، منذ لدُن أبي العبّاس عبدالله بن محمد بن عليّ بن عبدالله بن العبّاس الذي اختُلف في لقبه ، فقيل : القائم ، وقيل : المهتدي . وقيل : المُرْتَضَى ، لمّا غلَب عليه السفّاح . وانّما ذكر بذلك لكثرة ما سفح من دماء بني أميّة[١] . وتعددّت الألقاب الى وزراء الدولة [١٨٣] فتلقّب أبو سَلَمة حَفْص بن غياث بن سليمان الخلاّل بوزير آل محمد ، وكتب ذلك على كتبه . وقال فيه سليمان بن مهاجر البَجليّ :

انّ الوزيرَ وزيرَ آلِ محمد
أَوْدَى ، فَمَن يَشْناك كان وزيرا[٢]

ولَقّب المهدي ، صلوات الله عليه ، يعقوب بن داود بن طَهْمان وزيره :

---

(١) راجع مقالنا : « عَوْد الى لقب السفّاح » : (المعلم الجديد ١ [بغداد ١٩٤٦] ، ص ٤١ ــ ٤٢) .

(٢) البيت ورد في مراجع شتّى ، منها :
الطبري (٣ : ٦٠) ، مروج الذهب (٦ : ١٣٦) ، التنبيه والاشراف (ص ٣٣٩) ، نشوار المحاضرة (٨ : ١١٧) ، الكامل في التاريخ (٥ : ٣٣٥) ، الظرائف واللطائف لأبي نصر المقدسي (ص١٤) ، وفيات الأعيان (١ : ٢٣٠) ، الفخري (ص ٢١٠ ، ٢١١) ، صبح الأعشى (٦ : ٣١٠) ، تاريخ دول الأعيان شرح قصيدة نظم الجمان : لابن أبي عذيبة ، المتوفّى سنة ٨٥٦هـ (٢ : ١٧ ؛ مخطوط في خزانة الأستاذ عبّاس العزّاوي ببغداد) .

الأخ في الله ، حتى قال فيه سَلْم الخاسر[١] :

قُــلْ للامــامِ الذي جــاءت خلافتــه
تُهْــدَى اليــه بحــقٍّ غــير مَرْدود
نِعْمَ المُعينُ على التّقـوى أُعِنْتَ بــه
أخــوك في الله يعقــوبُ بن داود[٢]

وكَنَّى المأمون ، صلوات الله عليه ، أبا العبّاس الفَضْل بن سَهْل ولقّبه ذا الرئاستَيْن[٣] ، وكَنَّى أبا محمد الحسن بن سَهْل [١٨٤] أخاه حين استوزره بعده ولقّبه ذا الكفايتَيْن . وتلقّب صاعِد[٤] بن مَخْلَد في أيّام المعتمد بالله[٥] بذي الوزارتَيْن[٦] ، اشارة الى وزارة المعتمد والموفّق . وتلقّب اسماعيل بن بُلْبُل بالشّكُور المناصر لدين الله ، وكتب ذلك على كتبه . وكَنَّى المكتفي بالله أبا الحسين القاسم بن عبيدالله ولقّبه بوَليّ الدولة . وكان أوّل من لُقّب في الدولة . وكَنَّى المقتدر بالله أبا الحسن ابن الفرات ، وأبا عليّ بن مقلة[٧] . وكَنَّى أيضاً أبا عليّ الحسين[٨] بن القاسم بن عبيدالله ، ولقّبه عميدالدولة . وقد لُقّب من أصحاب السيوف وقوّاد الجيوش أبو مسلم[٩] عبدالرحمن بن محمد بأمين

---

(١) من شعراء الدولة العباسية . مات في خلافة الرشيد سنة ١٨٦هـ .

(٢) البيتان وردا في : الوزراء والكتّاب (ص ١٥٥) ، وفيات الأعيان (٢ : ٤٩٢) ، نكت الهميان (ص ٣١٠) .

(٣) رئاسة الحرب ، ورئاسة التدبير ، أي السياسة .

(٤) استكتبه الموفّق ثم استوزره . مات سنة ٢٧٦هـ .

(٥) المشهور فيه « المعتمد على الله » . خلافته ٢٥٦ ــ ٢٧٩هـ (٨٧٠ ــ ٨٩٢م) وهو ابن المتوكّل .

(٦) يعنون وزارة المعتمد ووزارة الموفّق .

(٧) هو صاحب الخطّ الحسن المشهور . استوزره المقتدر والقاهر والراضي . مات سنة ٣٢٨هـ .

(٨) من وزراء المقتدر ، صرف عن الوزارة سنة ٣١٩هـ .

(٩) هو المشهور بأبي مسلم الخراساني .

آل محمد ، وقيل : سيف آل محمد . وطاهر بن الحسين [١٨٥] في أيام المأمون ، رحمت الله عليه ، بذي اليَمينَيْن . ولَقَّب المعتصم بالله ، رحمت الله عليه ، حيدر بن كاوس بالأَفْشين ، لأنه أَسْرُوشَني والأَفْشين اسم الملك بأَسْروشنة(١) ، كما يقال لملك الروم قَيْصر . ولَقَّب المعتمد على الله رحمت الله عليه ، اسحاق بن كنداج بذي السيفَيْن . ولُقِّب مؤنس في أيام المقتدر بالله رحمت الله عليه بالمظفَّر ، وسَلامة أخو نُجْح في أيام القاهر بالله بالمؤتمن ، ومحمد بن طُغْج في أيام الراضي بالله بالاخْشيذ ، والاخْشيذ اسم الملك بفَرْغانة . والحسن بن حمدان في أَيام المتَّقي لله بناصر الدولة . وعليّ أخوه بسيف الدولة . وتلقَّب تُوزون في أيام المستكفي بالله بالمظفَّر ، وكتب على كُتُبه : من المظفَّر أبي الوفاء مولى أمير المؤمنين .

ووافت الأيام البويهيّة [١٨٦] فافتتحت الأَلقاب فيها للثلاثة الاخوة الذين هم : أبو الحسن عليّ(٢) ، وأبو عليّ الحسن ، وأبو الحسين أحمد : بعماد الدولة ، وركن الدولة ، ومعزّ الدولة . واستمرّت بعد ذاك . فأمّا معزّ الدولة فانّه اقترح عزّ الدولة ، فمنعه المستكفي بالله منه وكسره الى معزّ الدولة . ولقَّب المطيع لله ، رحمت الله عليه ، بعد ذلك أبا منصور بَخْتيار: عزّ الدولة . وكان عضد الدولة اقترح عند استقرار الأمر على تلقيبه تاج الدولة ، فلم يُجَب اليه ، وعُدِل به الى عضد الدولة . فحدّثني ابراهيم بن هلال جدّي ، قال : لمّا ورد عضد الدولة في سنة أربع وستين وثلاثمائة للمعاونة على الأتراك ، قال لي في بعض ما تجاذبنيه(٣) ، قد عرفت يا أبا اسحاق ما كان [١٨٧] من العمّ معزّ الدولة في منعنا من اللقب بتاج الدولة ، وردّنا عنه ، ولو جئنا نتلقّب الآن به لقَبُح أن يقال

---

(١) مدينة بما وراء النهر . وفي اسمها اختلاف .

(٢) أوّل الملوك الذين افتتحت بهم الدولة البويهية وأكبر اخوته . لقّبه الخليفة المستكفي بالله بعماد الدولة ، وأمر أن يضرب لقبه وكنيته على الدنانير والدراهم . توفي بشيراز سنة ٣٣٨هـ .

(٣) لعلّ الأصل « جاذبنيه » .

عضدالدولة وتاجالدولة . فقلتُ : ولِمَ لا يُقال : وتاجالمِلّة فيجمع في اللقبَيْن بين الدولة والملّة . قال : صدقتَ ، فاكتم هذا الأمر الى أن يحضر وقته . فلمّا عاد في سنة سبع وستين وثلاثمائة ، تلقّب به ، وصارت الألقاب مثناة بعد ذلك . ثمّ لُقّب بهاءالدولة في أوّل الدعوة القادريّة بلقب ثالث في الأمّة ، وبعده بلقب رابع في الدين[1] . واستمرّ الأمر على ذاك . فأمّا ولاة خراسان فلم يلقّب أحد منهم من قبل ، وانّما كانوا يُكَنّون . فافتتح ذاك بما لُقّب به محمود[2] بن سُبُكْتكين في الأيام القادريّة .

(١) ذكر هلال الصابىء في تاريخه (ص ٤٤٣) ، انّ « في يوم الجمعة التاسع من [جمادى الأولى سنة ٣٩٢هـ] خُطِب لبهاءالدولة ببغداد بزيادة قوامالدين صفيّ أمير المؤمنين » .

وذكر ابن تغري بردي في أحداث سنة ٤١٦هـ (النجوم الزاهرة ٤ : ٢٦٢) : انّه « خلع على الوزير أبي سعيد بن ماكولا ، ونُقّب : علمالدين سعدالدولة أمين الملّة شرفالملك . وهـذا ثاني لقب سـمعناه من اسـم مضاف الى الدين . وأوّل ما سمعنا من هذه الألقاب : لقب بهاءالدولة بن بويه (ركنالدين) . قلنا : لعلّ ذلك كان تعظيماً في حقّه لـكونه سلطاناً . فيكون هذا على هذا الحكم هو أوّل لقب لقّب به في الاسلام . ومن يومئذ ظهرت الألقاب وتغالت فيها الأعاجم ، حتّى انّهم لم يدعوا شيئاً الاّ وأضافوا الدين له » .

(٢) لُقّب أولاً سيفالدولة . ثمّ لقّبه الخليفة القادر بالله بيمينالدولة وأمينالملّة . ثمّ أضيف الى ذلك نظامالدين ناصرالحقّ .

الخُطْبة على المَنابر

[١٨٨] أمّا ما كان يُخْطَب به على المنابر للخلفاء ، فأَنْ يُقال في الخُطْبة الثانية بعد الجلسة ، وبعد اعادة حمد الله والصلاة على محمد ، صلّى الله عليه وسلّم : « اللهمّ ، وأصلح عبدك وخليفتك عبدالله ، ويذكر الاسم واللقب ، الامام أمير المؤمنين بما أصلحت به الخلفاء الراشدين والأئمة المهتدين الذين يقضون بالحقّ ، وبه كانوا يعدلون . اللهمّ أعنْه على ما طَوّقْتَه ، وبارك له فيما أعطيته ، واحفظ له ما استرعيته ، واجعله لأنعُمك من الشاكرين ، ولآلائك من الذاكرين » .

وأمّا أمراء الحضرة ، فلم تجرِ العادة بذكرهم على منابرها ، وانّما كان يُخطَب لهم على منابر البلاد البعيدة الجارية في ولاياتهم . وقد كان محمد[١] بن ياقوت ، أيام استيلائه وافق الخطباء بمدينة السلام [١٨٩] وهم حمزة بن القاسم بن عبدالعزيز ، امام المسجد بالمدينة[٢] ، وعبدالله بن الفضل بن عبدالملك ، امام المسجد[٣] المتّصل بدار الخلافة ، وأحمد بن الفَضْل بن عبدالملك ، امام المسجد بالرّصافة ، على أن يدعوا له ويذكروه في الخطبة بعد الدُعاء للراضي بالله ، رحمت الله عليه ، ففعلوا ذاك في يوم جمعة ، وعرفه الراضي فأنكره وأمر بصرفهم عمّا كانوا مرسومين به ، وأقام غيرهم مقامهم فيه . وقد ذُكِر ناصرالدولة ابن حمدان في الخطبة عند كونه بالحضرة في جُمَع كثيرة ذِكْراً افتتح بذِكْر مؤازرته للسلطان ومدافعته عنه . ثمّ وُصِل الدعاء باسمه ولقبه واسم أبيه ، ولم يكن ذاك على قاعدة

(١) ولي شرطة بغداد على الجانبين ، وتقلّبت به الأحوال . مات سنة ٣٢٣هـ .

(٢) أي مدينة المنصور بالجانب الغربي من بغداد .

(٣) هو جامع الخليفة المعروف أيضاً بجامع القصر . ومن بقاياه « جامع سوق الغزل » في بغداد الحالية . أمّا اتصاله بالقصر ودار الخلافة فكان بديماس مؤزج يعرف بالمطبق .

مستقرة ، ولا أمر خرج من حضرة السلطان . فلمّا ورد [١٩٠] عضدالدولة ، وملك الأمور ، وتقرّب اليه الخواصّ والعوام ، ذكره هرون بن المطّلب الخطيب في المسجد الجامع بالرصافة ، بما قال فيه : الحمد لله المحمود بلائه(١) ، المعبود في أرضه وسمائه ، الذي منّ علينا بخلافة الامام الطائع لله ، وجميل رأيه في عضد دولته وتاج ملّته وكهف خلافته ، وسيّد أمرائه . ومن فتح الله على يديه ما استصعب من البلدان بقتل أعدائه ، وحسن سياسته لطاعة أوليائه ، ومن مدحه الله كما مدح سلالة أبنائه ، فقال في محكم كتابه : « انّما وليّكُمُ اللهُ ورسُولُهُ والّذين آمنُوا الّذين يُقيمُونَ الصّلاةَ ويُؤتُونَ الزّكاةَ وهُم راكعُونَ » ، « ومن يتَوَلَّ اللهَ ورسُولَهُ والذين آمنُوا فانّ حزبَ اللهِ هُمُ الغَالبُونَ »(٢) ، الذي عمّر المساجد وحفر الأنهار وسعى بالصّلاح [١٩١] في جميع الأمصار ، وقام بحقّ الله في الليل والنهار ، فقال : « انّما يَعمُرُ مَساجدَ اللهِ مَنْ آمنَ باللهِ واليومِ الآخرِ وأقامَ الصّلاةَ وآتى الزّكاةَ ولَمْ يَخْشَ الاّ اللهَ فعَسى أُولئكَ أن يكُونوا منَ المُهتَدينَ »(٣) ، فابتهلوا الى الله شاكرين ، واكثروا من الدّعاء لأمير المؤمنين ولعضد دولته وتاج ملّته ، السيّد الأمين ، الذابّ عن الحريم ، والفزع من المسألة عن النعيم . « كَلاّ لَوْ تَعلَمُونَ علْمَ اليَقينِ » ، « لتَرَوُنَّ الجَحيمَ » ، « ثمّ لتَرَوُنّها عَيْنَ اليَقينِ » ، « ثُمَّ لتُسْئَلُنَّ يَومَئذٍ عَنِ النّعيمِ »(٤) . قال الله أصدق القائلين : « يا أيّها الّذينَ آمَنُوا أطيعُوا اللهَ وأطيعُوا الرّسُولَ وأُولي الأمْرِ منكُم »(٥) ، وطاعة أمير المؤمنين الطائع لله

---

(١) خ : بلايه . والصواب ما ذكرنا .

(٢) سورة المائدة . الآية ٥٥ ، ٥٦ .

(٣) سورة التوبة . الآية ١٨ .

(٤) سورة التكاثر . الآية ٤ ـ ٨ .

(٥) سورة النساء . الآية ٥٩ .

مرضـاة لربّكم ومثراة(١) في أموالـكم وأولادكم ، وأطيعوا لعضـد دولته [١٩٢] ترشدوا ، واتبعوا تاج ملّتكم تهتدوا ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده ، لا شريك له ، وتمّم الخطبة . وكان فعل هرون بن عبدالمطّلب(٢) ذلك على غير أصل ، وعرفه عضدالدولة ، فراسل الطائع لله ، وسأله التقدّم بذكره في الخطبة ، ففعل(٣) . وجرت الحال عليه الى هذه الغاية .

---

(١) من الثروة .

(٢) كذا ما في المخطوط . ولعلّ الأصل « بن عيسى بن المطّلب » ، مات سنة ٣٧٣هـ . ترجمته في تاريخ بغداد للخطيب (١٤ : ٣٤ ـ ٣٥) .

(٣) راجع : تجارب الأمم ٢ : ٣٩٦ .

ضَرْبُ الطَبْل في أوقات الصلوات[١]

لم تجرِ العادة قديماً بأن يُضْرَبَ الطبل للصلوات بالحضرة لغير الخليفة ، وانّما أُطلق لولاة العهود وأمراء الجيوش ، أن يُضرَب لهم في أوقات الصلوات الثلاث التي هي الغداة والعشاءَان ، اذا كانوا في سَفَر أو بُعْد عن حضرة [١٩٣] السلطان ، ثمّ كان الضَرْب بالطبول لا بالدُنبُلة[٢] . فلمّا مَلَك معزّ الدولة[٣] ، تَشَوّفت نفسه الى الضرب على بابه بمدينة السلام ، وكان نازلاً في دار مؤنس المجاورة لدار الخلافة . وسأل المطيع لله رحمت الله عليه ، ذلك ، فلم يُجِبْه اليه مع قلّة خلافه عليه ، وقال : هذا لم تجرِ عادة به . وبنى معزّ الدولة داره[٤] بباب

(١) راجع في هذا الموضوع : تجارب الأمم (٢ : ٢٦٤) ، تحفة الأمراء (ص ٣٧٧) ، ذيل تجارب الأمم (ص ١٦٧) ، المنتظم (٧ : ٩٢ ، ١١٤ و ٨ : ٣٠ ، ٥٧ ، ١١٩) ، معجم الأدباء (٥ : ١٦٤) ، الكامل في التاريخ (٨ : ١٦١ و ٩ : ٢١٥ و ١٠ : ٧٢) ، مرآة الزمان (حوادث سنة ٦٠٢هـ ، ص ٣٤٢ ؛ ط. شيكاغو = ص ٥٢٥ ؛ ط. حيدرآباد) ، تاريخ مختصر الدول (ص ٢٩٨ ؛ بيروت ١٨٩٠) ، تاريخ آل سلجوق (ص ٥٢ – ٥٣ ، ٧٣) ، الفخري (ص ٢٧ ؛ ط. أهلورت) ، خلاصة الذهب المسبوك (ص ١٩١) ، الحوادث الجامعة (ص ٩٣) ، تاريخ أبي الفداء (٢ : ٩٤ ؛ القاهرة ١٣٢٥هـ) ، رحلة ابن بطوطة (١ : ٤٢٣ ؛ باريس) ، مقدّمة ابن خلدون (ص ٢٠٣ – ٢٠٥ ؛ مطبعة التقدّم – مصر) ، خطط المقريزي (٣ : ٣٤٦) ، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك (ص ١١٣ ، ١٢٥) ، النجوم الزاهرة (٤ : ١٣٢) ، تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ٢٧٠) ، بدائع الزهور (٢ : ٧٨ ؛ بولاق) .

(٢) كذا ما في المخطوط ، ولعلّها « الدُنبُكَة » ، والكلمة عراقية . والدُنبُك أو الدُنبُكَة فارسية لفظاً ومعنىً . وهو طبل صغير بوجه واحد ، وله عنق طويل يتأبّطه من يضرب عليه . هذا ما لم تكن محرّفة عن « الدبادب » .

(٣) كان ذلك في سنة ٣٣٤هـ (٩٤٦م) .

(٤) أراد بها « الدار المعزّية » وهي غير « دار المملكة المُعِزّية البويهية » التي سبق ذكرها ص ١٤ من هذا الكتاب . راجع في شأنها : « الدار المعزّية : من أشهر مباني بغداد في القرن الرابع للهجرة » : لكوركيس عوّاد (بغداد ١٩٥٤) .

الشَمَّاسِيَة ، فعاود الخطاب والسؤال ، وقيل للمطيع : انّ الدار في طرف البلد ، وبحيث تكون المعسكرات . فأَذِن له اذْناً شَرَط فيه أن لا يجاوز بالضرب الباب البارز الى الصحراء . فضُرِبت عنده خيمة لأصحاب الدَبادِب ، وكانوا يضربون هناك في أوقات الصلوات الثلاث المذكورة . فان اتفق أن يدخل معزّ الدولة الى داره في البلد لم ينتقلوا عن مكانهم . ووَرَد عضدالدولة[1] والأمر جارٍ على ذلك [١٩٤] لعزّ الدولة فسأل الطائع لله الاذْن له في ضَرْب الطبل على باب داره بالمُخَرَّم التي هي اليوم دار المملكة ، وكانت من قبل لسُبُكْتكين الحاجب ، ففعل ذاك . وجرت الحال عليه لمن تقلّد الأمر من بعده من وُلْدِه .

(١) كان ذلك في سنة ٣٦٧هـ (٩٧٧م)

خُطَبُ النِّكاح[١]

خَطَبَ المُحَسِّن[٢] بن علي التنوخي القاضي عند وقوع العَقْد للطائع لله على بنت عضدالدولة ، خطبة افتتحها بالحمد لله ، والصلاة على محمد رسوله ، صلّى الله عليه . ثمّ قال : « أمّا بعدُ ، فانّ الله جَلّ جلاله ، جعل النكاح سبباً وَشَجَ به الأرحام ، وشرّف به الأنام ، وصيَّر أعظمه فضيلة ، وأقربه اليه وسيلةً ما اتصل بالنبوّة ، وتعلّق بالخلافة ، وأفاد الدين جلالةً وسُمُوّاً ورفعةً وعُلوّاً . وانّ مولانا أمير المؤمنين عبدالله عبدالكريم ، الطائع لله ، أطال [١٩٥] الله بقاءه وأدام علاءه ، لما عرف موضع عضدالدولة وتاجالملّة أبي شجاع مولاه ، أدام الله عزّه ونعماه ، في الذبّ عن الدّين ، والمحاماة على المسلمين ، والمراماة بنفسه دون الدعوة والمناضلة في نصرة الخلافة ، رأى أن يُجازيَه عن ذلك بأشرف المجازاة ، ويكافئه عنه بألطف المكافاة ، ويصل نسبه بنسب رسول الله ، صلّى الله عليه ، الذي رُوِيَ فيه عنه أنّه قال : « كلّ سببٍ ونسبٍ منقطع يوم القيامة ، الاّ سببي ونسبي »[٣] . فخطب اليه سيّدة نساء عصرها فضلاً وجلالاً ، وواحدة بنات دهرها نُبْلاً وكمالاً ، فلانة بنت عضدالدولة وتاجالملّة أبي شجاع بن ركنالدولة أبي عليّ مولى أمير المؤمنين ، أدام الله عزّه ، وبذل لها من الصّداق مائة[٤] ألف دينار ذهباً عيناً مثاقيل وازنةً جياداً عُتُقاً .

(١) عيون الأخبار (٤ : ٧٢ ـ ٧٦) .

(٢) هو صاحب التصانيف الجليلة ، منها : الفرج بعد الشدّة ، ونشوار المحاضرة ، والمستجاد من فعلات الأجواد . مات سنة ٣٨٤هـ .

(٣) أنظر النهاية لابن الأثير ، مادة : « سبب » .

(٤) وفي بعض المراجع : مئتي الف دينار . أنظر : المنتظم ٧ : ١٠١ ، النجوم الزاهرة ٤ : ١٣٥ .

وكونوا الى الشـرف بمواصلته مبادرين ، والى ما دعاكم اليه [١٩٦] من لُحمته مسارعين ، وللفرصة في حيازة الشرف بمصاهرته منتهزين ، ولأمره العالي ممتثلين سامعين طائعين • أقول قولي هذا ، واستغفر الله العظيم لمولانا أمير المؤمنين ، ثمّ لي ولـكم ولجميع المسلمين » •

وقد كان محمد بن عبدالرحمن بن قُرَيْعة القاضي ، خَطَب بحضرة الطائع لله عنـد تزوّجه بنت بختيار عزّالدولة ، خطبة سَلَك فيها هـذه السبيل ، وكان الصّداق أيضاً مائة ألف دينار[١] •

(١) تمّ ذلك في سنة ٣٦٤هـ • أنظر : المنتظم (٧ : ٧٦) ، وتاريخ الاسلام ، أنظر (تجارب الأمم ٢ : ٣٥٥ ، ح ١) ، والبداية والنهاية (١١ : ٢٨٠) • وفي تكملة تاريخ الطبري (ص ٢٢٨) : سنة ٣٦٥هـ •
وورد أسمها : شاهناز ، شاهباز ، شاهزنان •

فَصْل خَدَم به الخادم فيما قَطَع عنده الكتاب

قد قُدِّم من ذِكر الحضرة المعظَّمة النبويّة المطهَّرة ، لا زالت سُعودها طالعة ، وأنوارها ساطعة ، وعزّها مستعلياً ، وسلطانها [١٩٧] مستولياً فيما افتَتَح القول به ما اقتضاه أن يحدّده في اختتامه ببعض التفصيل لا كلّه ، ومجموع التّلخيص لا جميعه ، اذْ كانت غاية ذلك لا تبلغ ، والاحاطة به لا تُمكن ، لاتصال المُدَد وتطاول الأمد ، وانّما يبذل الوسع في نشر ما ينشر وايراد ما يورد ، اتباعاً لأمر الله سبحانه في قوله : « وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ »[1] . ومعلوم أنّ أكبر أمور الدنيا التي أسْكَنَ في ذراها خلقه ، وأوجب عليهم فيها حقّه ، أمر الاسلام الذي أنار به برهانه ، وأقام فيه سلطانه ، وجعل أهله خير الأُمَم وأَوْفاهم ذِمّة ، وأظهرهم حجّة ، وأوضحهم محجّة ، وأولاهم منه بمزيد الرّعاية وزيادة العناية ، اذْ كانوا لأمره قابلين وبطاعته عاملين ، وبرُبوبيّته عارفين ، وبوحدانيته معترفين ، واذا كان ذلك كذلك ، فلم يكن ، تبارك اسمه ليَسْتَخْلف عليهم الاّ أكرمهم محتداً ، وأطيبهم مولداً ، وأعظمهم أرومةً ، وأفضلهم [١٩٨] جرثومة ، وأشرفهم أسرة ، وأعزّهم زمرة ، ولا ليَجْتَبِيَ من هذه الطبقة الاّ أطهرهم نسباً ، وأكبرهم حسباً ، وأكثرهم علماً ، وأوفرهم حلماً ، وأوفاهم حزماً ، وأقواهم عزماً ، وأكملهم خليقةً ، وأقومهم طريقة ، وأحسنهم للأمور ملاحظةً ، وعلى الصلاح محافظة ، وذلك سيّدنا ومولانا الامام القائم بأمر الله أمير المؤمنين ، أطال الله بقاءَه ما امتدّ البقاء[2] في أدوَم

---

(١) سورة الضّحى . الآية ١١ .

(٢) صبح الأعشى (٦ : ٣٣٦) .

العزّ والعلاء ، على الافصاح لا الادماج ، والايضاح لا الادراج ، والتحقيق لا المثال ، والتخصيص لا الاجمال ، والاعلان لا المواراة ، والافراد لا الموازاة ، حتّى لو قيل انّه الأوّل[1] اذا تميّز الناس ، والأوحد اذا وقع القياس ، والسابق اذا وُضع الرّهان [١٩٩] والراجح اذا رُفع الميزان الذي رام الأمد فَفَصَل ، ورمى الغرَض فَنَصَل ، وطلب الغاية فابتدرها ، وحاول النهاية فأحرزها ، لما روعي منازع ، ولا خيف مدافع ، الاّ ما كان من جاحد حقّ لا يُعْتَدّ بقوله ، وحاسد فَضْل قد ردّه الله بغيظه • وليس الاخبار عن الموقف الأكرم ، أدام الله ملكه ، كالاخبار عن غيره ، اذ كان ما يورد من أحاديث الماضين عن روايات قد تحكّمت فيها الآراء المختلفة ، وتسلّطت عليها الأهواء المتشعّبة ، وأحالتها الدهور المتصلة المتقلّبة ، وحرّفتْها الأسانيد المتنقلة ، فلا سبيل لنا فيها الى غير التقليد والتسليم اللذين لا يَفْصُلان بين المعتَل[2] والسليم ، وأما يورد فيما يتعلّق بالحضرة المقدّسة أعزّ الله نصرها ، ما يشوبه شكّ ، أو يسوء به ظنّ ، [٢٠٠] أو يتطرّق عليه ردّ ، لأنّنا ندعو الى أمْر يُصدّقه العيان ، ويُحقّقه البرهان ، ويُصحّحه الامتحان • فشاهده قائم ، ودليله ثابت ، وما كان الله تبارك اسمه ، لينزل رسالاته الاّ على مَن اصطفى ، أو يجعل خلافته الاّ فيمن ارتضى ، أو يستودع أمّته الاّ الأمين الوافي ، أو يستحفظ ملّته الاّ القَوّوم الكافي ، لتطّرد السّيرة العادلة ، وتُبْأَى المصلحة الشاملة ، ويُعْلَم انّه ، جلّ وعزّ لخلقه حافظ ، ولدينه حائط ، ولحكمته مبرم ، ولمشيئته مُتمّم • ذلك لطفٌ منه وتوفيق ، وفضل يؤتيه مَن يشاء ، انّه ذو فضل عظيم • وقد روي في الأخبار المأثورة والأحاديث المنقولة ، من مواقف المجتهدين ، في أمر الدنيا والدين ، ما اذا قيس بمواقف الموقف الأشرف ، [٢٠١]

(١) في كتاب الفخري (ص ٣٩٢ ؛ ط • درنبرغ) انّ القائم بأمر الله كان من أفاضل خلفاء بني العبّاس وصلحائهم ، وطالت مدّته في الخلافة ، وزاد به وقار الدولة ونمت قوّتها •

(٢) نظير هذا ما ذكره التنوخي في نشوار المحاضرة ١ : ٦ •

النبوي ، والامام المهدي ، عرف موقعه من الفضيلة ، وترقّيه منها في المنزلة الجليلة . هذا على أنّ وجه الزمان كالح ، وقياده جامح ، وأبواب الصلاح مُنْسَدّة ، وأسباب الفساد مشتدّة ، وعقود الاستطاعة محلولة ، وعهود الاستقامة مستحيلة ، لكنّه ، حرس الله أيامه بالرفق المقرون بالتوفيق واللطف المعضود بمساعدة المقدور والفعل المنوط بحسن الاعتقاد والعزم المتصرّف على بذل الاجتهاد ، أمسك هذه البقيّة فتماسكت ، وراعى هذه الثميلة فانحرست ، وعصم هذه الأمّة فاستعصمت ، وحفظ هذه الملّة فثبتت ، ولولا ذاك لأعْضل الداء ، وتعذّر الدواء واتسع الخرق وامتنع الرتق :

وانّ أمرءاً ، لم يَدرِ أنّكَ نِعْمَةٌ ، حَقيقٌ عليه شكرُها ، لجَهُولُ

[٢٠٢] والله لطيف بعباده ، وهو المحمود على أن كَشَفَ بالحضرة المقدّسة ما كشف وصَرَفَ ما صَرَفَ ، وأزال من الشبهة ما أزال ، وأنزل من الرحمة ما أنزل ، والمسؤول لها تمام التمكين والتأييد ، وللناس بها دوام الخير والمزيد . « انّ اللهَ مَعَ الّذينَ اتّقَوا وَالّذينَ هُم مُحْسِنُونَ »[١] .

وما يزال الخادم[٢] يقف من التوقيعات العالية الشريفة ، وما يتضمّن من الألفاظ البليغة الفصيحة ، والمعاني البارعة الصحيحة ، ما يورد عند عيانه وسماعه قول الله تعالى الله أعلم ، حيث يجعل رسالاته .

ولمّا علم انّ بضاعته المزجاة في صناعته المجتواة ، نافقة على العَرْض السامي وجائزةً على النقد العالي ، أَقْدَم بوسيلة الثقة بتلك المكارم الفائضة [٢٠٣] على ما يمنع من مثله الهيبة الفائضة . وأمّل من المسامحة ما يرجوه مثله من أهل الادلال بالحرمة وأُولي الحرْص على الخدمة ، وهو يرجو أن يظفر فيما فعل بلطف القَبول ، فيجمع الله له بين التوفيق وبلوغ المأمول بمنّه وجوده وقدرته .

---

(١) سورة النحل . الآية ١٢٨ .

(٢) يقصد به نفسه ، أعني هلال بن المُحَسِّن الصابىء مؤلّف هذا الكتاب .

عُورِض به الأصل بخطّ المصنِّف
وصحّ والحمد لله ربّ العالمين
الحمد لله وصلواته على سيّدنا محمّد وآله وسَلّم تسليماً
وحَسبنا الله ونعم الوكيل .

كان الفراغ من نسخه يوم الثلاثاء التاسع من رجب سنة خمسٍ وخمسين وأربع مائة ، من الأصل بخطّ الأستاذ أبي الحسين هلال بن المُحَسِّن بن ابراهيم رحمه الله . هـ.

فهارس الكتاب *

*

١ ـ خلت هذه الفهارس من أسماء التآليف والأشخاص والأمكنة وغير ذلك ممّا سبق درجه في الصفحات ٤٧ ـ ٦٧ من المقدّمة .

٢ ـ اتخذنا ، في هذه الفهارس ، الرموز الآتية ، التماساً للاختصار :

ت	تحقيق
ج	جريدة
خ	مخطوط
ض	ضائع
ط	طبعة
ظ	أنظر
ق	مقالة
م	مجلّة

٣ ـ ما طُبع من الأرقام بالحرف « الأسود » ، يشير الى صفحات المقدمة . وما طُبع بالحرف « الأبيض » ، يشير الى صفحات المتن .

١ ــ فهرس أسماء الأشخاص

(ب)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ع)

(غ)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

٢ ـ فهرس أسماء الأُمَم ، والقبائل ، والجماعات ، والمِلَل والنِحل

فهرس أسماء الأُمَم ، والقبائل ، والجماعات ، والمِلَل والنِحل

٣ ـ فهرس الأمكنة والبقاع

٤ ـ فهرس عمراني عام

فيه : الألفاظ الدخيلة والمُعَرَّبة ، والمصطلحات ، ولغة الحضارة ، والنبات ، والحيوان ، والأحجار ، والطيّب ، والطعام ، واللباس ، والآلات ، والمسكن ، وغير ذلك من الموضوعات

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ك)

(ل)

(م)

فهرس عمراني عـام

٥ ـ فهرس الكتب والمراجع

(أ)

(ت)

تكملة المعجمات العربية ــ دوزي ــ ١٨٨٤م .
(عربي ــ فرنسي . ليدن ١٩٢٧) : ٤٦
تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب : ابن الفُوَطي ــ ٧٢٣هـ .
(ت : مصطفى جواد ؛ دمشق ١٩٦٣) : ١٧ ٢٢ ٢٤
التنبيه والاشراف : المسعودي ــ ٣٤٦هـ .
(ت : دي غويه ؛ ليدن ١٨٩٣) : ٤٧ ١٢٩
التواليف الاسلامية في العلوم السياسية والادارية (ق) : ٤٧

(ث)

الثقافة (م ــ القاهرة) : ١٦ ٧٢
ثمرات الأوراق : ابن حجّة الحموي ــ ٨٣٧هـ .
(بهامش الجزء الاول من محاضرات الراغب الأصفهاني : بولاق ١٢٨٧هـ) : ٣٥

(ج)

جمهرة خُطَب العرب : أحمد زكي صفوة .
(القاهرة ١٩٣٣) ٦٥

(ح)

الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري : متز ــ ١٩١٧م .
(الترجمة العربية : لمحمد عبدالهادي أبو ريدة ــ القاهرة ١٩٤٠) : ٣٧
الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة : (المنسوب الى) ابن الفُوَطي ــ ٧٢٣هـ .
(ت : مصطفى جواد ؛ بغداد ١٣٥١هـ) : ١٣٦
حياة الحيوان الكبرى : الدميري ــ ٨٠٨هـ .
(بولاق ١٢٩٢هـ) : ٣٦ ١٠١
الحيريّ بِكَمُشْيَن (ق) : ١٦
الحيوان : الجاحظ ــ ٢٥٥هـ .
(ت : عبدالسلام محمد هارون ؛ القاهرة ١٩٤٠) : ٣٥ ــ ٣٦

(خ)

(د)

ديوان الشريف الرضي ـ ٤٠٦هـ •
(بيروت ١٩٦١) : ٧٤ ٨٢
ديوان الشريف المرتضى ـ ٤٣٦هـ •
(ت : رشيد الصفّار ؛ القاهرة ١٩٥٨) : ١٩ ٣٣
ديوان العَرْجيّ ـ ١٢٠هـ •
(ت : خضر الطائي ورشيد العبيدي ؛ بغداد ١٩٥٦م) : ٥٤
ديوان المتنبّي ـ ٣٥٤هـ •
(ت : عبدالوهاب عزام ؛ القاهرة ١٩٤٤)
(ت : مصطفى السقا وزملائه ؛ القاهرة ١٩٥٦) : ٦٢ ٦٣
ديوان مهيار الديلمي ـ ٣٩٤هـ •
(ط : دار الكتب المصرية ؛ القاهرة ١٩٢٥) : ٣٣

(ذ)

الذَيْل (في التاريخ) : الفرغاني •
(ض) : ١٦
ذيل تاريخ بغداد (المعروف بِـ « التاريخ المجدّد لمدينة السلام ») : ابن النجّار ـ ٦٤٣هـ •
(خ « نسخة مصوَّرة في خزانتنا عن نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ، برقم ٢١٣١ عربي ») : ٨ ٢٣ ٣١ ٣٤
ذيل تاريخ دمشق : ابن القلانسيّ ـ ٥٥٥هـ •
(ت : آمدروز ؛ بيروت ١٩٠٨) : ١٦
ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد : ابن الدَبِيثي ـ ٦٣٧هـ •
(خ « نسخة مصوَّرة في خزانتنا عن نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ، برقم ٥٩٢١ عربي ») : ١١ ـ ١٢٠
ذيل تجارب الأمم : أبو شجاع ـ ٤٨٨هـ •
(ت : آمدروز ؛ القاهرة ١٩١٦) : ١٤ ٣١ ٣٤ ١٤ ١٥ ١٧ ٨١ ١٠٢ ١٣٦
ذيل كتاب بغداد : طيفور (عبيدالله بن أحمد بن أبي طاهر) ـ ٣١٣هـ •
(ض) : ١٦

(ر)

ربيع الأبرار : الزمخشري ـ ٥٣٨هـ •
(خ) ١٤
رحلة ابن بُطْلاَن البغدادي : المختار بن الحسن بن عبدون ـ ٤٤٤هـ •
(في معجم البلدان ، وتاريخ الحكماء نُبَذ من هذه الرحلة • أمّا الأصل فقد ضاع) : ٢٠

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ظ)

(ع)

العقد الفريد : ابن عبد ربّه ـ ٣٢٧هـ .
(ت : أحمد أمين وزملائه ؛ القاهرة ١٩٤٠ ـ ١٩٥٠) : ٣١ ٥٠
٥١ ٥٧ ٥٩ ٦٤ ٨٦
علم التاريخ عند العرب : محمد عبدالغني حسن .
(القاهرة ١٩٦١) : ٣٧
علم التاريخ عند المسلمين : فرانز رُوزنثال .
(ترجمة الدكتور صالح أحمد العلي ، بغداد ١٩٦٣) : ٣٦ ٤٨
العمائم : رُسُوم لبْسها ونزْعهـا في دُور الخلفـاء والأمراء والسلاطين وبحضرتهم (ق) : ٧٢
عَوْدٌ الى لَقَب السفّاح (ق) : ١٢٩
عيون الأخبار : ابن قُتَيْبَة الدِّينَوَرِيّ ـ ٢٧٦هـ .
(ط : دار الكتب المصرية ؛ القاهرة ١٩٢٥ ـ ١٩٣٠) : ٣٦
٤٧ ٥١ ٦٤ ٨٦ ١١٣ ١١٤ ١٢٧ ١٣٨
عيون الأنباء في طبقات الأطباء : ابن أبي أُصَيْبعة ـ ٦٦٨هـ .
(ت : أ.ملر ؛ القاهرة ١٨٨٢) : ٥ ٢٦ ٣٥ ٨٧
عيون التواريخ : ابن شاكر الكتبي ـ ٧٦٤هـ .
(خ) : ١٧
عيون التواريخ : غَرْس النِعْمة (ظ : تاريخ غرْس النِعْمة) .

(غ)

غرر البلاغة : هلال بن المُحَسّن الصابىء ـ ٤٤٨هـ .
(خ) : ٣٢
غرر الخصائص الواضحة : الوطواط ـ ٧١٨هـ .
(بولاق ١٢٨٤هـ) : ٢٣
غلاء القراطيس وأثمانها (ق) : ١٢٦

(ف)

الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية : ابن الطِّقْطَقَى ـ ألّفه سنة ٧٠١هـ .
(ت : درنبرغ ؛ باريس ١٨٩٥) : ٦٠ ٦١ ٦٧ ١٢٩ ١٤١
(ت : أهلورت ؛ غوطا ١٨٦٠) : ١٣٦
الفرج بعد الشدّة : التنوخي ـ ٣٨٤هـ .
(القاهرة ١٩٠٣ ـ ١٩٠٤) : ٦٢ ١٣٨
فَصْل مِن كتاب فضائل بغداد (ق) : ٣٦

فَصْل من كتاب : فضائل بغداد العراق : يَزْدَجرد بن مَهْمَنْدار الفارسيّ ـ من أهل المئة الثالثة للهجرة .
(ت : ميخائيل عوّاد ؛ بغداد ١٩٦٢) : ١٨؛ ٢١
فضائل بغداد العراق : يَزْدجرد بن مهبندار الفارسيّ .
(ض) : ١٨ ٥٠
الفنون : أبو الوفاء عليّ بن عقيل ـ ٥١٣هـ .
(ض) : ٢٤
فهرس دار الكتب المصرية : ٣٧
فهرس مجلّة المجمع العلمي العربي ـ دمشق : عمر رضا كحّالة ٣٧
فهرس مخطوطات جامعة الدول العربية : ٤٨ ٥٤
الفهرست : ابن النديم ـ ٣٨٥هـ .
(ت : فلوجل ؛ ليبسك ١٨٧١) : ٥
(القاهرة ١٣٤٨هـ) : ٥٠
فهرست المخطوطات التي اقتنتها دار الكتب المصرية من سنة ١٩٣٦ ـ ١٩٥٥ : فؤاد سيّد .
(القاهرة ١٩٦٢) : ٣٣
فهرست مخطوطات دار الكتب المصرية من سنة ١٩٣٦ ـ ١٩٥٥ : فؤاد سيّد .
(القاهرة ١٩٦١) ٣٧
فهرست المخطوطات العربية في مكتبة چستر بيتي .
(آربري : دبلن ١٩٥٦) : ٣٣
فهرست المخطوطات المصوَّرة : فؤاد سيّد .
(القاهرة ١٩٥٤) : ٢٣
فهرست المكتبة الأزهرية ـ أبو الوفا المراغي .
(القاهرة ١٩٤٩) : ٣٧ ٤٠
فوات الوفيات : ابن شاكر الكتبي ـ ٧٦٤هـ .
(بولاق ١٢٨٣هـ) : ٥٩

(ق)

قابو سنامَه (= كتاب النصيحة) : الأمير عنصر المعالي كيكاوس ـ ٤٦٢هـ .
(ترجمة محمد صادق نشأت وأمين عبدالمجيد بدوي : القاهرة ١٩٥٨) : ٨٧
قانون ديوان الرسائل : ابن الصيرفي ـ ٥٤٢هـ .
(ت : علي بهجت ؛ القاهرة ١٩٠٥) : ١٢
قانون السياسة ودستور الرياسة : أُلّف لخزانة السلطان شاه شجاع .
(خ : في خزانتنا) : ٣٣

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

٦ ـ فهرس الآيات القرآنية

رقم السورة	اسم السورة	رقم الآية		الصفحة
١١٠	النَّصْر	١	إذا جـاءَ نَصْـرُ اللهِ والفَتْحُ .	٩
٢	البَقَرة	٢١٨	أُولَئِـكَ يَرْجُـونَ رَحْمَتَ اللهِ .	٤٥
٧	الأعْراف	٥٦	إنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَـرِيبٌ مِنَ المُحْسِنِينَ .	٤٥
١١	هود	٧٣	رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ .	٤٥
١٩	مَرْيَم	٢	ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ .	٤٥
٣٠	الرُّوم	٥٠	إلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللهِ .	٤٥
٤٣	الزُّخْرُف	٣٢	أهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ .	٤٥
٤٣	الزُّخْرُف	٣٢	وَرَحْمَتُ رَبِّـكَ خَيْـرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ .	٤٥
٩	التَّوْبَة	١٢٩	حَسْـبِيَ اللهُ لا إلَـهَ إلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ .	٥٨

فهرس الآيات القرآنية

رقم السورة	اسم السورة	رقم الآية		الصفحة
٩	التَّوْبَة	٣٣	محمَّد رسول الله أرسله بالهُدَى ودِين الحَقّ ليُظْهِرَهُ على الدِّين كلّه ولو كَرِه المُشْرِكون ٠	٩٥
٢	البَقَرة	١٣٧	فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ٠	٩٥
٢٢	الحجّ	٤٠ ، ٤١	وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَن يَنْصُرُهُ انَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُم في الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وآتَوُا الزَّكَاةَ وأَمَرُوا بالمَعْرُوفِ وَنَهَوا عن المُنْكَرِ وَللهِ عاقِبَةُ الأُمُورِ ٠	٩٥ ـ ٩٦
٥٥	الرَّحْمٰن	٦٠	هل جَزَاءُ الاحْسَانِ إِلاَّ الاحْسَانُ ٠	١١٤
٦	الأَنْعام	٧ ، ٩١	وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتاباً في قِرْطَاسٍ ٠ قُلْ مَن أَنْزَلَ الكِتَاب الَّذي جاءَ بهِ مُوسَىٰ نُوراً وهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَه قَرَاطِيسَ ٠	١٢٦
٥	المائِدَة	٥٥ ، ٥٦	إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ والَّذينَ آمَنُوا الَّذين يُقِيمُونَ الصَّلاةَ ويُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم	١٣٤

فهرس الآيات القرآنية

٧ ـ فهرس القوافي

فهرس القوافي

٨ ـ فهرس الحوادث التاريخية

الصفحة	السنة (هـ)	(م)	
٨١			معركة بدر ٠
٢٨	١٧٩	٧٩٥	أَمَرَ يحيى بن خالد بن برمك ، صاحب ديوان الخراج ، أن يخرج وظائف الآفاق ٠
٦	٢١٥	٨٣٠	اجتياز المأمون بديار مضـر ، يريد بلاد الروم للغزو ٠
٧	٢٩٦	٩٠٨	خَلْع المقتدر بالله ، وعَوْده إليها ٠
٦٨	٣٠٣	٩١٥	إسقاط مال التكملة عن أهل فارس ٠
١١	٣٠٥	٩١٧	قدوم رسول قسطنطين ملك الروم ٠
٢١	٣٠٦	٩١٨	عمل عليّ بن عيسى الوزير « عَمَلاً » لارتفاع المملـكة ، ونعى به الدنيا بتقاصر مَوادّها وتناقص أموالها ٠
٧	٣١٧	٩٢٩	خَلْع المقتدر بالله ثانيـة ، وعوده إليها مرّة أخرى ٠
٧	٣١٧	٩٢٩	خَلْع القاهر بالله ، ثمّ ردّه إليها ٠
١٣٦	٣٣٤	٩٤٥	تَمَلّك مُعِزّالدولة البويهي العراق ٠
٨٧	٣٦٤	٩٧٤	قـــدوم عضدالدولة البويهي الى الحَضْـرَة [بغداد] ، وانهـزام الأتراك المُعِزّيّة ، وخروج الطائع لله معهم ٠

فهرس الحوادث التاريخية

الصفحة	السنة (هـ)	(م)	
١٢١	٣٦٦	٩٧٦	كُتِب عن الطائع لله كتاب أنشأه ابراهيم الصابىء ، عَظّم فيه عِزّ الدولة وأنفذه الى عضدالدولة . وهذا الكتاب ، هو الكتاب الذي نَقَمَه عضدالدولة على ابراهيم الصابىء وحبسه لأجله أربع سنين وشهوراً .
٨٠	٣٦٧	٩٧٧	الخَلْع على عضدالدولة البويهي ، وتلقيبه تاج المِلّة ، والعهد إليه بولاية الأمور .
١٠٢	٣٧٢	٩٨٢	قيام صمصام الدولة بالمُلْك ، وتلقيبه والخَلْع عليه ، وإفضاء الأمر إليه .
١٤	٣٧٥	٧٠٢	حضور « وَرْد » عظيم الروم في دار المملكة ببغداد .
١٠٢	٣٧٩	٩٨٩	عَهِد شرف الدولة البويهي بالمُلْك الى ولده أبي نصر فيروز . وخَلَع عليه الطائع لله الخِلَع السلطانية ولقّبه بَهاءالدولة وضياءالمِلّة .

٩ ـ محتويات الكتاب

محتويات الـكتاب

الصفحة

تاليف

أبي الحسين هلال بن المُحَسِّن الصابىء

المتن ـ التعليق

١٤٥ـ١٩٨ فهارس الكتاب


Bibliotheca Alexandrina
0429994